كتاب شجرة اليقين

تأليف

الداعي القرمطي عبدان

تحقيق

عارف تامر

دار الآفاق الجديدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتاب شجرة اليقين

تصميم الغلاف
نجدت قلعجي

كتاب شجرة اليقين

تأليف

الدّاعي القرمطي عبدان

تحقيق

عارف تامر

دكتور في الآداب

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

المقـدّمـة

هذا الكتاب:

لهذا الكتاب « قصة » تأتي كواحدة من سلسلة قصص متشابكة عن المخطوطات « الاسماعيلية » التي تداولتها الأيدي الغريبة في هذا العصر، فأعملت فيها تحريفاً وتشويهاً، ومرّت عليها مروراً عابراً دون ان تستطيع تقديم اي تفسير لرموزها الفلسفية، او بيان ينير السبيل عن مضمونها، وكأن طبعها ونشرها ما جاء الآَ ليضفي عليها غموضاً فوق غموض، وحجاباً فوق حجاب.

اقول هذا، وانا على يقين بان الربح المادي، والغرور، وحب الظهور، والسعي وراء الشهرة هو من الاسباب الرئيسية لهذا الاضطراب الذي تعرّض ويتعرض له هذا التراث القيِّم على ايدي هذه المجموعة من « العلماء » الذين وقفوا حتى الان عاجزين عن التمييز بين التراث الاسماعيلي اليمني او العراقي، او بين المصري والسوري..... وهكذا اختلط الحابل بالنابل، وغابت الحقيقة في طيات الظلام.

قصة هذا الكتاب... انه وجد في مدينة دمشق لدى اسرة اسماعيلية هاجرت من القدموس اليها منذ مئة وخمسين عاماً. وقد جاء على غلافه الخارجي ما يلي:

شجرة اليقين . . .للداعي عبدان

في الحقيقة انها مفاجأة غير متوقعة، وحدث كبير في عالم البحث والتاريخ والتراث، فعبدان كما نعلم من دعاة القرامطة الذين لعبوا دوراً بارزا في الحياة الفكرية والسياسية لهذه الثورة الكبرى . . . ومخطوطات القرامطة كما نعلم لم تسلم من ايدي الغزاة ولا تزال نادرة ومفقودة .

والآن

اذ اقدم هذه النسخة الاصلية والوحيدة لكتاب « شجرة اليقين » لا يخامرني الشك بانها من تراث القرامطة ـ وانها المخطوطة الاولى والوحيدة من هذا التراث الذي نحن بأمس الحاجة اليه في وقت كثر فيه التحدث عن القرامطة وحركتهم .

من هو عبدان:

كل ما نعرفه ان انتساب هذا الداعي للدعوة الاسماعيلية قد تمّ على يد حمدان بن الاشعث المعروف « بقرمط » وممّا نعرفه عنه ايضاً انه تزوج ابنة حمدان، وانه تثقف في مدرسة الدعوة بسلمية ـ سورية وكان من ابرز الدعاة وأغزرهم علماً وفلسفة، ومن الجدير بالذكر انه قتل اخيراً على يد « زكروية بن مهروية » الذي قاد جيوش القرامطة في الدور الأول وازاح من امامه المعارضين ومنهم عبدان .

محتويات الكتاب:

كتاب فلسفي على جانب كبير من الاهمية ـ فيه رموز واصطلاحات وارقام مغلقة قد لا يفهمها ويدرك معانيها الاّ من كان من ذوي الاختصاص، ولكن المؤلف استشهد واستند على جملة كتب لدعاة قرامطة اخرين ككتاب: البيان، والبرهان، والميزان، والحاصل، والمحصول، وجميع هذه الكتب مفقودة وغير واردة في عداد كتب الاسماعيلية المعروفة . ومن

المستغرب جداً ان المؤلف ولأول مرة يعرفنا بأنّ كتاب « المحصول » المنسوب خطأ للداعي الاسماعيلي « النسفي » هو من وضع الامام « احمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » مؤلف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلاّن الوفاء » وقد رمز اليه باسم « الحكيم الصادق » وهذا اصطلاح اسماعيلي كان يطلقه الدعاة على الامام في عصر الستر . امّا كتاب « المحصول » هذا فقد وضع قبل رسائل اخوان الصفاء واعتبر الاساس او الدعائم التي قامت عليه مبادىء الفلسفة الاسماعيلية، وقد سبق ان تطرق الى ذكره والاشادة فيه كل من الدعاة، ابو يعقوب السجستاني وأبو حاتم الرازي، وحميد الدين الكرماني في كتبهم الثلاث: النصرة، والاصلاح، والرياض... ومن المؤسف حقاً ان يكون كتاب « المحصول » هذا قد فقد من المكتبة الاسماعيلية، ولم تجدِ نفعاً الجهود التي بذلت وتبذل للعثور على نسخة منه .

والان :

عندما نقدم هذا الكتاب للطبع نفعل، ونحن على ثقة بانه اول كتاب يظهر في البلاد العربية لهذه المجموعة القرمطية الثورية التي صالت وجالت على مسرح هذا الوطن العربي قرابة قرن كامل . ولا ندري فيما اذا كانت الايام ستساعدنا على العثور على مزيد من مخطوطات القرامطة النادرة ممّا ينير السبيل، ويرشد الى معرفة الكثير من افكارهم واعتقاداتهم وثورتهم الفكرية .

سلمية ـ سورية
عارف تامر

﴿بسم الله الرحمٰن الرحيم﴾

الحمد لله الذي عجزت افكار العارفين عن ادراك حقيقته، وقصرت عقول الباصرين عن الوقوف على اسرار مبدعاته.

مُبدع المسمّى والاسم، وخالق النفس والرسم، والمقدس عن الشكل والجسم، والمنزه عن اللحم والدم.

فهو الذي فتح لنا من ابواب رحمته ما هو عن ابصار قلوبنا محجوب، وبلّغنا من فيض جوده واحسانه غاية السؤال، ونهاية المطلوب.

باري البرايا... باعث المرسلين... مصوّر نفوس العارفين... مظهر الاصلين... ممد الثقلين... صانع المصنوعات... وموجد الموجودات.

الذي منّ على اوليائه بصورة الوجود، وخصّهم بمعرفة الامام الموجود.

وصلّى الله على سيدنا محمد (ﷺ) الغفور الودود، وعلى وصيه امير المؤمنين صاحب الحوض المورود، وعلى ذريتهما الحجج على كل موجود، وعلى القائم بالامر، صاحب الزمان والعصور، الذي خصّنا الله بعهده وطاعته، وجعلنا من تابعيه، والسائرين على خطاه بمنه وكرمه.... انه على كل شيء قدير.

وبعد... فان من ينظر في ايات كتابنا هذا الدالة على الآفاق والانفس ويطلب حقائقها، ويقف على علومها، ومطابقتها للشرائع والاحكام، ويتقبلها بالشكر والقبول... يكون في جملة من اطاعوا الله جل ذكره،

وائتمروا بأمره، فاستحقوا الثواب في الدارين، ونجوا من العذاب الأدنى والأكبر، وهؤلاء هم الذين ذكرهم جلّ ثناؤه، وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة.

وانَّ كل من ينظر في هذه الآيات الموجودة في الآفاق والانفس، والدلالات الباطنة فيها، ولا يطلب حقائقها وتأويلاتها من ارباب الدين، وأصحاب اليقين، فيكون من الأبالسة والشياطين الذين استوجبوا غضب الله وخذلانه وحرمانه. كقوله تبارك اسمه:

﴿وإذْ قلنا للملائكة﴾ اي اللواحق...﴿اسجدوالآدم﴾ اي اخضعوا للناطق وناطق كل دور من الادوار مثل آدم ـ ومعنى آدم اي انه خلق من اديم الارض وأديم الارض هو ظاهرها.

﴿فسجدوا الاَّ ابليس﴾ ففسق عن امر ربه ـ اي خرج عن امر الناطق وأصبحت ذريته من «القشريَّة» وهم الذين وضعوا انفسهم في غير موضعها، وعندما اخبرهم جلَّ ذكره فيما ينظر الى ما خلقه في الآفاق والانفس من الدلالات والآيات، لم يتفكروا فيها، ولم يطلبوا حقائقها. فتبرأ منهم، وحرمهم من رحمته ورضوانه.

وقد جاء انه لابدِ لكل ناطق من النطقاء السبعة من ابليس يكاشفه ويعاديه ويضل امته عن الصراط المستقيم، والدليل على ذلك قصة آدم المكررة سبع مرّات في القرآن الكريم، وقد اراد جلَّ ذكره من تكرارها سبع مرَّات ان يذكّر بان مثل آدم ستة نطقاء... اولهم آدم وآخرهم القائم. ونحن نذكرهم:

فابليس آدم هو عزرائيل وشيطانه قابيل، وابليس نوح حام، وقد جاء في الخبر انه رأى عورة ابيه وهو نائم، فأطلع على ذلك اخوته كنعان وسام ويافث، ولم يستره... والمعنى: انه كشف عن كل ما وصل اليه من ابيه من العلم الذي لا ينبغي كشفه الا لاهله، وقد نصحه ابوه فلم يرتدع، واصرَّ على المعصية، ولم يتب فاكتسب مقام الابليسية، وغرق في الطغيان، ولمّا رآه

نوح غريقاً اخذته الشفقة عليه، كما جاء في الآيات البينات.

وابليس ابراهيم هو النمرود بن كنعان، وشيطانه آزر الذي ربّاه على احكام شريعة نوح وكان يسميه بالأب، وأخذته الشفقة عليه.

وابليس موسى هو الوليد بن مصعب المعروف بفرعون، وقد كان ظهور موسى عوناً للامام شعيب في ايصال العلم للمستجيبين، فنفر عنه لمّا سلّم الامر الى موسى. امّا شيطانه فهو هامان.

وابليس عيسى = يهوذا = وهو الذي ارتشى عليه بثلاثين مثقال من الفضة. امّا شيطانه فهو صارماس اليهودي. وانّ لكل واحد من هؤلاء النطقاء امر وشريعة.

فآدم لم تكن له شريعة لأنه امر باعمال ولم ينه عن تركها، وحد العمل ما لا يجوز تركه، وحد الشريعة ما لا يجوز تركها... وان اعماله كانت تطوعاً ولذلك سمي دوره دور التطوع.

امّا نوح فانه قرن التطوع بالشريعة، لانه امر بالاعمال ولم يشرع بتركها، وسمّى الاعمال التي امر امته باستعمالها شرائع، ولذلك سمّى دوره دور الشريعة.

وامّا ابراهيم فانه قرن التطوع والشريعة، وذلك لانه اول من نهى عن الشيء لذلك سمّى دوره دور المناهي.

امّا موسى فانه قرن التطوع والشريعة والمناهي بالحدود ـ وذلك انه اول من امر بالحد والقصاص والرجم ولذلك سمّى دوره دور الحدود والاحكام.

وامّا عيسى فقد قرن التطوع والشريعة والمناهي والحدود بالتقية، وأبطل الحد والقصاص والرجم وسفك الدماء. فقال:

« ارتدوا عن الذنوب خوفاً من عذاب الآخرة، لا من عذاب الدنيا »، ولذلك سمي دوره دور التقيّة.

واما محمد فانه قرن التطوع والشريعة والمناهي والحدود التي هي عذاب الدنيا والعقوبات التي هي عذاب الآخرة بالمعرفة لان فيها عرفان جميع الشرائع كما ذكر في كتاب «الميزان»[١] في هذا المعنى مما فيه غنى عن اعادة ذكره في كتابنا هذا.

اذن يكون آدم صاحب التطوع، ونوح صاحب التطوع والشريعة، وابراهيم صاحب التطوع والشريعة والمناهي، وموسى صاحب التطوع والشريعة والمناهي والحدود التي هي عقوبات الدنيا، وعيسى صاحب التطوع والشريعة والمناهي والحدود والتقية وعقوبات الآخرة، ومحمد صاحب التطوع والشريعة والمناهي والحدود والتقية والمعرفة وعقوبات الدنيا والآخرة جميعاً.

واما القائم سلام الله عليه، فهو صاحب التأويل الذي يجمع به جميع شرائع النطقاء واعمالهم وهو صاحب يوم الكشف الذي ذكره الله عز وجل في كتابه ﴿هل ينظرون الاّ تأويله...﴾.

ان ربكم الله الذي خلق السموات ـ التي باطنها الأئمة... والارض التي باطنها اللواحق... وفي ستة ايام باطنها النطقاء الستة، وأوليائها باطنها الاسس الستة... واستوى على العرش باطنها صاحب الدور السابع الذي هو صاحب الكشف والتأويل... ويغشى ـ الليل باطنه الاسس، والنهار باطنه الناطق، والشمس باطنها العقل، والقمر باطنه النفس، والنجوم باطنهم الجد، والفتح والخيال... مسخرات بامره... تبارك الله رب العالمين.

ولم يذكر في جملة هؤلاء «اصحاب الادوار الثلاثة الذين ذكرناهم في كتاب «البرهان»[٢]... فاثنان منهما معروفان بالخلقتين: احدهما الخامس من الكور السادس، والآخر الخامس من الكور الثالث وهو المعروف

(١) كتاب «الميزان» من كتب دعاة القرامطة، ولم يرد اسمه بين كتب دعاة الإسماعيلية التي ذكرها و. ايفانوف في كتابه: الدليل الى الآداب الاسماعيلية، ومع كل أسف فان كتاب الميزان لم يعثر عليا حتى الآن.

(٢) يبدو أن كتاب «البرهان» هذا للمؤلف، وهو أيضاً من الكتب المفقودة.

بالغضبان الآيس من رحمة الله... وهو الثاني من الكور الثالث[٣].

فكتابنا هذا هو واسطة بين الايقان - الذي هو علم الآيات - وبين الايمان الذي هو علم الحقيقة لا عين الحقيقة، كما ان الرسم هو واسطة بين الاسلام الذي هو علم الاسماء وبين الايقان الذي هو علم الآيات، ولهذا صارت الحقائق منغلقة في هذا الكتاب، وواضحة في كتاب «البرهان» الذي هو عين الحقيقة. اذن فالكافر من اقرَّ ببعض الادوار ونطقائها، ولم يقر ببعضها، والمسلم من اقرَّ بالادوار الماضية واستعمل الشرائع الناسخة، ووقف على معرفتها.

وربما يقول قائل:

ان المسلم هو من يستعمل الشرائع الناسخة... لانَّ نوح سمَّى امته المسلمين - كما أنَّ ابراهيم سمَّى امته أيضاً المسلمين... فنقول لهذا القائل:

ان الشريعة لا تتم بالأمر دون النهي، ولا بالنهي دون الأمر. فالناهي في دور نوح، كان في حد القوة، لانَّ نوح امر باشياء، ولم ينهِ عنها، لانَّ النهي كان مرموزاً في حد القوة، وأمر الشيء هو النهي عنه، وقد خرجت المناهي في دوره الى ابراهيم من حد القوة الى حد الفعل، فتمَّت الشرائع في دوره ولهذا سمَّى امته المسلمين.

والمسلم هو من يقبل جميع الشرائع بتمامها... وهناك وجه آخر اشفى ممَّا قلت:

وهو ان المخاطبه في قوله جلَّ ذكره: ﴿ملة ابيكم ابراهيم هو سمَّاكم المسلمين﴾ فالمسلمين والمؤمنين ليسوا فريقاً واحداً لان المسلم هو الذي يؤدي حق الشرائع ولا يقف على تأويلها، وابراهيم كان هو الامام السابع

(٣) اننا نحيل هذه الرموز الى من يسمون انفسهم ويدعون بانهم من ذوي الاختصاص بالفلسفة الاسماعيلية وكل ما نقوله لهم: اشفقوا على انفسكم ايها الادعياء ودعوا ما انتم عليه من الغرور... وكفاكم كذباً وتدجيلاً على العلم.

في دور نوح، وفي هذا الدور لم يعمل بالشرائع التي امر بها نوح ولم يقف على تأويلها ولو انه فعل لما تهيأ له الارتقاء الى درجة النطقاء. وقد صحّ أن المسلم هو من عمل بالشرائع الناسخة وقد ثبت ان نوح اول من شرع الشريعة، وأول من سمّى امته المسلمين، وان ابراهيم اقتدى به في هذه التسمية... فالاشياع يقتدون بمن هم من شيعتهم، وقد تأكّد انه لم يكن في دور نوح مؤمن الاّ بعد ان يكون مسلم، لانّ الرجل لا يصير مؤمناً حائزاً على درجة الايمان الاّ بعد ان يصل الى التأويل، ولا يصل الى التأويل الاّ بعد ان يقرأ شرائع صاحب الدور ويعمل بها، فكل من عمل بشرائع صاحب دوره فهو مسلم، ولكنه لا يكون مؤمناً الاّ اذا وقف على تأويلها... وفي هذا الحال يجتمع العلم والعمل... وهما الغاية.

وربما يقول قائل:

اليس المسلم من عمل على الشرائع التي شرعها محمد؟.. وهل كانت شريعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى مشابهة؟

وجوابنا:

ان المسلم من عمل على شريعة محمد لانها ناسخة للشرائع التي قبلها، والمسلم قبله من عمل على شريعة عيسى، وان كانت شريعته مخالفة لشريعة محمد، وهكذا قبل عيسى من عمل على شريعة موسى، وقبل موسى من عمل على شريعة ابراهيم، ولذلك قبل ابراهيم من عمل على شريعة نوح. لان المسلم هو من ائتمر بأوامر الله ونواهيه في اوقاتها، لا من وقف على شريعة من الشرائع وان كانت منسوخة، ولا يتجاوزها الى غيرها... ودليلنا:

انّ من يصلي اليوم الى بيت المقدس لا يسمّى مسلماً، ومن صلّى اليه في الوقت الذي امر فيه رسول الله بالصلاة اليه يسمّى في ذلك الوقت مسلماً. اذن فالمسلم من عمل بالشرائع الناسخة وليس بالمنسوخة اذ لو لم تكن الشرائع مختلفة عن بعضها البعض لما عرفت الناسخة من المنسوخة.

ونعود الى ما كنّا بصدده عن الأبالسة فنقول:

ان الابالسة بالقوة هم المرتدون عن الحقيقة، والابليس بالقوة هو المرتد عن مذهب الباطن، فقد تتغيَّر صورته الروحانية عندما تفسد خلقته فيصير ابليس بالفعل، ولا يستطيع تغيير صورة الابليسية. والفرق بين الابليسين هو:

ان الابليس بالقوة، المرتد عن الحقيقة، وقد يستطيع عند توبته ورجوعه الى الحق تغيير صورته الابليسية القبيحة. والابليس بالفعل لا يستطيع ذلك. وعلى وجه آخر من التأويل:

ان ابالسة القوة هم فقهاء «القشرية» وعظماءهم ورؤساءهم، فاذا فسدت قوالبهم تصير صورهم الروحانية حينئذٍ ابالسة بالفعل معاقبون نادمون فلا تنفع عند ذلك الندامة، وكما ان الشياطين تابعون الابالسة ومتبوعون كذلك القشرية يتبعون فقهاءهم.

وهناك وجه آخر من التأويل:

وهو ان الجني بالفعل اذا عصى الله جل ذكره وخالف امره ونهيه يصير عند النفخة الاولى ابليساً بالفعل، فيعذب حينئذٍ في عذاب جهنم خالداً فيها ابداً سرمداً.

ووجه آخر:

ان الابالسة بالقوة هم الذين اقتصروا على العلم دون العمل كالفلاسفة الذين تفسد قوالبهم فيصيروا بعد ذلك ابالسة بالفعل.

الفرق بين الانسان بالقوة والانسان بالفعل:

الانسان بالقوة:

الانسان على نوعين:

انسان بالقوة، وانسان بالفعل... فالانسان بالقوة هو المختار الفاعل

المأمور المنهي المستطيع المثاب الممدوح المحمود... وهو الروح الناطقة... وامّا سائر ما يمتلكه من الادوات كاليد والرجل واللسان وباقي الاعضاء فهي آلات له يستعملها في افعاله، واني وجدت الاخبار والقصد والارادة والاعتماد والعلم والعقل والتمييز والتمثل والترجيح والمماثلة والموازنة والدعاوي والخواطر في الارواح دون الاعضاء والجوارح. فعلمت ان الله عز وجل انمّا خاطب الروح بقوله:

يا ايها الانسان ـ دون الجسد ـ لان الحكيم لا يخاطب من لا معرفة له ولا عقل ولا فهم ولا تمييز وايضاً فان الخواص ترد عليه دون سواه، ووجدته هو المميز وحده، وعلمت انه هو المختار دون غيره، ورأيت الجوارح والاعضاء مسخرات له لا تقدم الاّ بعد اقدامه، ولا تمسك الاّ بعد امساكه، وهنا تكون هي المضطرة اليه وانه هو المختار دونها، وان هذه الجوارح آلة له يستعملها في افعاله كالفأس والسيف والقلم وما اشبه ذلك من الآلات، وانمّا سميت الارواح الناطقة انسان لظهور قدرتها وافعالها من بين جميع الارواح الغير ناطقة.

وقد قال الله عز وجلّ حكاية عن موسى:

﴿هل اتاك حديث موسى اذ رأى ناراً فقال لاهله امكثوا اني آنستُ ناراً لعلي آتيكم منها بقبسٍ او اجد على النار هُدى﴾.

وجاء في الحديث ان رسول الله قال:

﴿اذا جاء الليل استأنس كل انس، واستوحش كل وحش﴾.

والمعنى:

ان اهل الباطن الذين هم انس بالقوة ينتفعون بارواحهم الناطقة لاستئناسهم بمذهب اللب وأهل القشرية الذين هم شياطين بالقوة لا ينتفعون بها لاستيحاشهم من اللب وتشبههم بالانعام والوحوش. ومن هنا قيل: آنست من فلان علماً وعقلاً وحرفاً اي ابصرت منه، ففي المعقول يعلم

انه لا يبصر عقله ولا علمه، وانما يبصر اثار علمه وافعال عقله، وكذلك الانس بالقوة لا يبصرهم احد من الجسمانيين وانما يبصرون اثارهم وأفعالهم. وقد روي عن ابن عباس انه قال:

انّما سمي الانسان انساناً لانه عهد اليه فنسي... والقالب هو قشر الانسان بالقوة لذلك سمي القالب انساناً على جهة الاستعارة والمجاز لا على جهة الحقيقة، وهذا يجري على لسان العرب. لأنهم يسمون الشيء باسم شيء آخر اذا كان مجاوراً ودانياً منه، لان الاسم الواقع على القالب دون الروح هو البشر. ومن هنا قيل ظاهر الوجه والجسد بشره والجميع بشر، وجمع الجمع ابشار ومنه اشتقّت مباشرة الرجل والامرأة ليعلم ملامستها. وقيل للسلطان معذب الابشار وضاربها، ولا يطيق تعذيب الارواح الناطقة ولا ضربها، وانما يضرب القوالب دون الارواح الناطقة، ولو ان عذاب الله جلّ ذكره يقع على القوالب لما كان بين عذابه وعذاب المخلوقين فرق، كما ان السلطان لو انه يعذب الأرواح الناطقة كتعذيب القوالب لما كان بينه وبين الله فرق... وربما قال قائل:

لمّا رأينا القالب اذا اعدم الحياة لا يحس بالآلام... علمنا ان السلطان يعذب الروح لا القالب... قلنا:

ان الالم لا تحسه الاّ الروح الحسيّة دون الروح الناطقة... وقلنا:

ان الروح الناطقة هي الانسان بالقوة لا الروح الحسيّة، واذا عدم القالب الروح الحسيّة ثم تشبثت الروح الناطقة بزوالها فلا تحس بعد ذلك، لان الروح الناطقة هي بمنزلة القلب للروح الحسيّة.. والدليل على ذلك: ان البهائم وغيرها من الحيوانات غير الناطقة تحس في الالم وتجده، ولكن ليس لها من الروح الناطقة حظ، فصحّ عندنا ان البهائم تتألم لان وجود الألم منسوب الى الروح الحسيّة دون الروح الناطقة، وان السلطان لا يطيق تعذيب الروح الحسيّة وايلامها الاّ بتوسط القالب، والله عز وجل يعذب الروح الحسيّة لا بتوسط شيء لانها تصير قالب الروح الناطقة، ولو انه عزّ وجل

يؤلم الروح الحسيَّة بتوسط القالب لما كان بين عذابه وعذاب المخلوقين اي فرق، ولمّا كان عذابه ابدياً، لان القالب لا ثبات له بالعذاب الابدي، ولو لم يكن عذابه عزّ وجلّ ابدياً لكان عذابه وعقابه كعذاب سائر المخلوقين... جلّ الله عن ذلك جلالاً مبينا.

ونعود الى ما كنّا في صدده عن تأويل البشر... فنقول:

ان البشر هو القالب مقابل الاعمال الظاهرة، والانسان بالقوة هو الروح الناطقة مقابل العلوم اللبيّة، لان القوالب تستطيع ضبط العلوم في الدنيا، امّا الارواح فتستطيع ضبط العلوم في الدنيا والآخرة معاً... وكما قلنا في صدر كتابنا هذا: ان الشياطين لاتتصرف في اللغة الاّ الى وجه واحد لانهم لا ينظرون الاّ من عين واحدة، وان الجن تتصرف في اللغة على وجوه كثيرة لانهم ينظرون من عيون كثيرة لذلك نقول:

ان البشر في اللغة ايضاً لا يتصرف الاّ منْ وجه واحد، لانه ليس له وجهان، ولا يقع في قسمتين بين الذكر والانثى... مثل قولك:

المرأة هي بشر، وهما بشر، وهنّ بشر، والرجل هو بشر، وهما بشر، وهم بشر... اي انه لا يجمع و لا يثنّى، لان البشرية الذين هم اهل الظاهر لا ينظرون الاّ الى وجه واحد، وان الانس تتصرف في اللغة على وجوه كثيرة لانهم ينظرون الى وجوه شتى.

ومن هنا كنّى آدم ابو البشر، ولم يكنّى ابو الانس لانه ابوهم من جهة قوالبهم، وليس من جهة ارواحهم، ولأنه لم يأتِ الاّ بالظاهر المحض الذي هو مقابل القوالب دون الباطن الذي هو مقابل الارواح.

وفي وجه آخر:

ان آدم وزوجته هما ابو البشر، والعقل والنفس هما ابو الانس... وقد فهم هذا المعنى من فهمه، وجهله من جهله، ولا اريد شرح اكثر ممّا شرحته، كما لا يتهيأ لي بيان اوضح ممّا بيّنته.

امّا تأويل حروف «بشر» فبالمشاكلة يبقيان في الشر ابد الآبدين، وذلك لان الباء من بشر اثنان وهما دليلان على القالب والدنيا، فلم يبقَ بعد

الباء سوى شر. وامّا تأويل حروف انس فهو ان الروح التي هي الانسان بالقوة تصير مع تأويل الاساس بالمشاكلة انسان بالفعل فتبقى بالانس ابد الآبدين، وذلك ان الألف من انس واحد، وهو دليل على الصورة الواحدة الروحانية التي هي الانسان بالفعل، فلم يبق بعد الألف الاّ النون والسين وهما اسم «الاساس» بحساب الجمّل.

وفي وجه آخر ايضاً:

ان بشر ثلاثة حروف تدل على ثلاثة اشياء هي القالب والدنيا والظاهر، فحـــرف الظاهر منه ثلاث سنّات والمعنى ان هذه الثلاثة اشياء تجتمع في الظاهرين في اوسط امورهم لا في اولها ولا في آخرها لان الظاهر وذلك اذا ولد لا يكون معه الاّ شيئان وهما: القالب والدنيا وذلك في اول امره، ولهذا كانت الباء التي هي اول حروف بشر حرفين، وفي حساب الجمل اثنين. فاذا بلغ خمسة عشر سنة واحتلم اعتقد بمذهب الظاهر فاجتمع فيه ثلاثة أشياء القالب الذي هو بمذهب الظاهر يتنعم في الدنيا، فلذلك كانت السين هي الحرف الاوسط ثلاث سنّات وبالاحرف ثلاث احرف وفي حساب الجمل ثلاث اصول. فاذا فسد قالبه لا يبقى معه الاّ شيئان: الصورة المعكوسة، والعذاب الخالد، فلذلك كانت الراء التي هي اخر حروف البشر حرفين وفي حساب الجمل اصلين،

وفي وجه آخر:

ان حروف انس ثلاثة دلائل على الروح والعلم والآخرة، فالحرف الآخر ثلاث سنّات يعني ان هذه الثلاثة اشياء تجتمع في الباطنيين في عاقبة امورهم لا في اولها ولا في اوسطها وذلك ان الباطني اذا ولد وهو عند معلمه اخذ عليه العهد، فلا يكون معه في ذلك الوقت الاّ ثلاثة اشياء ـ القالب والظاهر والدنيا، فلذلك كانت الالف التي هي اول حروف انس ثلاثة، فاذا احتلم وذلك عند عرفانه اسماء الائمة والخلفاء، اذا ادار الى ما كان معه ثلاثة اشياء اخرى، وهي الروح الحسيّة تقابل القالب والعلم المحي

ـ مقابل الظاهر، والشوق الدائم ـ والآخرة مقابل الدنيا ـ ولذلك كانت النون التي هي الحرف الثاني من انس ثلاثة احرف، فاذا خرج من هذا العالم السفلي خرج جميع ما كان مهيأ فيه من حد القوة الى حد الفعل فيصير صورة مهيأة لقبول آثار الآخرة، وحينئذٍ تجتمع فيه الاشياءالثلاثة هي: الروح المنعمة بالعلوم الالهية في الآخرة، وذلك لان كل واحد من الالف والنون ثلاثة احرف بالرمز، ولها ثلاثة نقط من تحت. فالانسان في حدها يخرج من حد القوة الى حد الفعل، فيصير مجمعاً للأحوال التسعة الجارية عليه من بداية امره الى عاقبته، وذلك لان النقط الثلاث دليل على القالب والظاهر والدنيا، والاحرف الثلاثة رمز له دليل على الروح والعلم والشوق، والاحرف الثلاثة النقشيَّة دليل على الصورة الروحانية والعلوم الالهية والآخرة.

وكما ان الانس محصول جميع الحيوان وسائر الاشياء التي تقدمته، كذلك «القائم» محصول جميع الانس، فهو ذو ثلاثة مراتب، وكل مرتبة منها ذات حاشيتين وواسطة. فالمراتب الثلاثة هم آخر الائمة في دور محمد (ﷺ)، وآخر النطقاء السبعة التي يتم به الكور العظيم، وصاحب آخر حرف من الحروف السبعة العلوية المحظورة على من تقدمه، وهو يؤدي الى ثلاثة مراتب:

احدها ظهوره بالولادة بجسده اسوة باقرانه من ابائه الأئمة الراشدين، والثاني عدم ظهور خليفة في العالم باسمه ودعوته او ينال الظفر مثله، او يظهر على الاديان كلها. والثالث ظهوره بهويته البسيطة بالبعث، وامداده صور الانس كلها بالنفخ وهي المادة المقدرة من الله للانس جميعهم باظهارها منه، فتنبعث الصور بما تستمد من قوة النفخ... ومثل هذه الاشياء الثلاثة تقسُّم كل واحد منها على ثلاث، موجودة في كل علم وحكمة تصديقاً لما حكيناه عن الانس والقائم.

وفي الحساب: ان ثلاثة اذا ضربتها في ثلاثة تنقسم كل ثلاثة منها لثلاثة

تكملة التسعة - ومنها علم الفلسفة الموضوع على ثلاثة اصول: الكيمية، والكيفية، والمضاف، وقد اضيف الى كل واحد منها شيئان حتى صار كل واحد منها ثلاثة تكملة التسعة، وذلك اذا اضيف الى الكيمية المكان والزمان، والى الكيفية التقنية والجدارة، والى المضاف الفاعل والمفعول، فهي اذ اصدر ثلاثة في ثلاثة تصير تسعة، ومنها القوى الثلاث وهي: قوة الحس، وقوة الوهم، وقوة العقل، وكل واحدة منقسمة على ثلاث، لان قوة الحس تدرك الاشخاص وليس لها قوام ولا ظهور فعل الآ مع مشُدة المحسوس، فاذا انتهى المحسوس عن الحاسة بطل الحس، فثبت بذلك ان قوة الحس لا تدرك الآ الاشياء والاعراض، فقوة الحس والاجسام والاعراض ثلاثة اشياء. وامّا قوة العقل فانها تدرك الاشياء المحسوسة والاشياء العقلية، وهاتان القوتان هما متضادتين وكل واحدة في غاية البعد عن نظيرتها، وفي الطرف الاقصى، وامّا قوة الوهم فانها متوسطة بين هاتين القوتين، وذلك لان لها اتصال بالعقل فهي تأخذ منه الحس وتدفعه الى العقل، فالوهم اثّر تأثيراً قوياً في الروح من سور الاشياء المحسوسة فبقي فيها بعد زوال الاشياء المحسوسة على الحواس، وذلك كتوهمها صور اقوام وأمكنة وبلدان شاهدناها ثم غنبا عنها، فنحن نتوهمها، فالوهم كما ذكرنا يعرض ما يأخذه من الحس على العقل ليميزه ويحفظه عليه، فكل مدرك لم يكن مأخذه من الحس فلا سبيل الى وقوع الوهم عليه البتة.

امّا قوة الوهم، وما اخذه من الحس ودفعه الى العقل فثلاثة اشياء تكملة التسعة، ومنها العوالم الثلاث وهي:

الجسماني، والجرماني، والروحاني... فأضاف الى العالم الجسماني الامهات والمواليد، والى العالم الجرماني الآباء التي هي النجوم والحركات التي هي الدوران، والى العالم الروحاني العقل والنفس تكملة التسعة، ومن الحروف الثلاثة التي بها قوام الشهادة، فكل حرف منها ذو حاشيتين وواسطة تكملة التسعة، ومن الاكوار الثلاثة التي بها قوام العالم الوضعي، فكل كور منها

يجمع للظاهر والباطن تكملة التسعة، وغير ذلك من الشهادات التي لا اتعرض لها مخافة التطويل... وكل هذا يصدق ما قلناه في الانس من المراتب الثلاثة المنقسمة على تسعة اشياء.

الانسان بالفعل:

امّا الانس بالفعل فهم الصور التامة العقلية المجردة التي لا يقع عليها الحس... وهم اهل الجنة. امّا عن كيفية صور الملائكة والانس والجن والشياطين والابالسة، والبيان عن مراتبهم ومنازلهم وظهورهم، وكيفية ثواب الملائكة والجن والانس، وما به عقاب للشياطين والأبالسة... ففي هذا الباب نقف من حد التقليد الى حد المعقول. فان سألنا سائل عن كيفية صور الملائكة والجن والأبالسة والشياطين والانس بالفعل، وعن اقدارهم ومراتبهم؟ قلنا له:

لا بد لهذا الجواب من مقدمات كثيرة نقربها الى افهام الباحثين، ونحققها في افهام المستجيبين ولذلك نقول:

انّا لمّا رأينا ان اول مولود من مواليد العالم هو المعادن، وهو اقل المواليد حظاً من قوى النفس، وجب ان تكون الغاية مولوداً اوفر المواليد حظاً من قوى النفس، وانه لمّا كان هذا المولود الأول الذي هو المعادن مواتاً كله لا نمو له ولا حس ولا نطق، وكان بكليتيه أرضياً وفي الارض، وجب ان يكون ذلك المولود الآخر الذي هو الفرض والغاية في نهاية الشرف وغاية الفضل حياة كله ونطقاً كله ولطافة كله.

واننا نشرح لك شرحاً مفصلاً بقوة الله ومنة اوليائه... تقف عليه وقوف عيان، وتدركه ادراك برهان. فنقول:

ان هذا المولود الذي هو الحجر في الارض، لم يقبل من القوة العالية الاّ شيئاً يسيراً نذر لغيره، بانتقاله من الحجرية الى الجوهرية، ومن الفضيّة الى الذهبيّة ـ في الالوف من السنين، ومنه صفائه ولونه، وهو يغتدي

بجميع جسده.

والمولود الثاني هو النبات ـ الذي تخلّص جسده من الارض الاّ رأسه فانه في الارض راسب وبه يغتدي، ويظهر اثاره العجيبة، امّا رجله ففارقت الارض وعندها ظهرت فيه الحياة التي لم تكن في المولود الاول الذي هو المعدن، فصارت فيه الارايح والاذهان والمذاقات. ثم لمّا جاء المولود الثالث الذي هو الحيوان الخرس رأيناه قد فارق الارض بكامل صورته فليس شيء من رجليه ولا من رأسه راسب في الارض الاّ انه مطلع على الارض ينظر اليها بمنظار فيه الحس والحركة ، يأخذ ويتناول غذاءه بالفم. امّا ظهور اعماله فبسائر اعضائه.

ثم رأينا بعد ذلك المولود الرابع الذي هو الانس بالفعل قد تخلص من الانكباب على الارض ورفع رأسه وبدنه، وبقيت عليها اقدامه فقط، فلمّا تخلصت اعضاءه كلها عن الارض الاّ اقدامه صار الفم مغتدياً ناطقاً وصارت اليدان تعملان ما كانت تعمله افواه الحيوان الخرس من التناول بيده والاغتداء بفمه. والانسان بالقوة يشتاق ابداً الى ان تخلص اقدامه من الارض، كما تخلصت يداه لان غاية الانسان ان تفارق اقدامه الارض كما فارقتها جميع اعضاء جسده.

فلمّا رأى الانسان بالقوة تلك القوة موضوعة فيه لم يدع اظهار هذه العلامة في يقظته، ولم يفقه حقيقتها في منامه ايضاً، لانه جاء في يقظته استعجالاً للارتفاع من الارض والمفارقة لها، فسخّر الدواب لترفع قدماه عن الارض، ولم يصير مالكاً الاّ بركوب الدواب التي رفعت قدماه عن الارض... هذا في اليقظة، امّا في المنام فانه يرى نفسه وكأنه يطير ويذهب حيث يشاء لا يمنعه عن ذلك مسافة ولا بعد ولا حجاب.

اذن فالانسان بالقوة هو انتهاء امر المواليد برؤيا العين، ولم نجد مولوداً بعده تراه العين بالحالة الخامسة، لنعلم كيف حالة ذلك المولود، كما علمنا احوال هذه المواليد الأربعة. والمعنى اننا رأينا حال المعادن وانها في

الارض، وان فيها الصفاء واللون فقط، ورأينا حال النبات، وكيف ان رأسه في الارض وبه يغتدي ومن رجليه يستبين اثاره العجيبة من الارايح والمذاقات، ورأينا حال الحيوان الخرس وكيف انه مباين للارض غير راسب فيها كرسوب المعدن والنبات، الاّ انه منكب عليها يتناول ويغتدي بفمه، ورأينا حال الانسان بالقوة كيف ان رأسه في السماء ويداه مرتفعتان عن الارض ورجلاه ثابتتان على الارض ويتناول بيده ويغتدي بفمه وينطق بلسانه. فلو كانت النهاية لهذا المولود الرابع لوجب الاّ تنتقل صورته او تدثر، لان النهاية هي التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تنتقل... بل هي النهاية اذا بلغها المولود وقف عندها ولم يتجاوزها، وذلك ان التغيير في كل شيء انمّا هو انتقال شيء الى شيء آخر، فغرض المقصود هو علته المتممة، وذلك اذا كان الشيء ينفعل بنفسه بالقوة الموضوعة فيه كالنطفة التي تنتقل من حال الى حال وتنمو بالقوة النامية الموضوعة فيها حتى تتصور بالصورة الحيوانية التامة. فاذا بلغت في النمو مبلغ الذكر والانثى اللذان منهما تولدت النطفة سكنت عن النمو، ولا تزال ترد كالجواهر في المعادن التي تتغير من جوهر الى جوهر حتى تبلغ درجة الياقوت وهي الغرض من ذلك الجنس.

فأمّا الجواهر المذابة اذا بلغ كل واحد ما قلناه سكن عن التغيير والاستحالة، وهكذا الصور المستقيمة التي هي الانسان بالقوة لو كانت في النهاية لوقفت ولم تتلاش برأي العين، وان انتقالها وتغيرها دليل على انها لم تكن النهاية، بل فوقها ايضاً صورة تحتاج ان تتصور بها وتشتهي اليها، فكلما ان القوة الجسدانية انتقلت من صلب الذكر وبطن الانثى من حال الى حال حتى تصير في الحالة السابعة صورة مهيأة لقبول آثار ما في هذا العالم الجسداني، كذلك القوة الروحانية في الدنيا التي هي الامهات الأربع والافلاك التي هي الآباء، تنتقل من درجة الى درجة حتى تصير في الحالة السابعة صورة مهيأة لقبول آثار العالم الروحاني فتنعم هناك بما لا عين رأت، ولا اذن سمعت، ولا خطر على قلب البشر.

وكما ان ابوا الصورة الجسدانية في الحقيقة هما المحيطان على مواضع انتقالها من حال الى حال وهم الاسطقصّات التي هي الامهات، والافلاك التي هي الآباء... كذلك ابوا الصورة الروحانية في الحقيقة هما المحيطان على مواضع انتقالها من درجة الى درحة وهما: العقل والنفس. وقد ايّد ذلك كتاب «البيان». ثم نقول:

ان الصفاء والالوان اللذان كانا في الجواهر والاحجار هما الغرض الآخر بالقوة كالسلسلة من صورة الانسان التي لم تستكمل القوة البشرية في ذلك الحال، فانتقلت عنها لهذا الموضع الذي احتملت اثراً من اثاره، فكان ذلك الاثر الصفاء واللون الموجودان في الجواهر والمعادن من الصورة الروحانية التي هي الانسان بالفعل، وهي كالسلسلة من الصورة الجسدانية التي هي قالب الانسان بالقوة.

ولمّا انتقل ذلك الى النبات لم يتأمل فيه ايضاً، وجاوزه الى الحيوان البهيمي الخرس الاّ انه بقيَ منه في النبات اثر وهو النمو والأصباغ والارياح والمذاقات والاذهان، فالنبات من الصورة الروجانية التي هي الانسان بالفعل، كالنطفة من الصورة الجسدانية التي هي الانسان بالقوة.

ولمّا انتقل الى الحيوان الخرس لم يتكامل فيه ايضاً وجاوزه الى البشر الذي هو قالب الانسان بالقوة فبقي منه في الحيوان الخرس الحس والمعرفة والصورة العجيبة، فالحيوان الخرس من الانس بالفعل كالعلقة من الانس بالقوة، ثم انتقل الى البشر الذي هو قالب الانس بالقوة، ولم يتكامل فيه ايضاً لأنه لو تكامل فيه لكان هو النهاية، ولم يتغير عن حاله وجاوزه الى صورة آخر. وسنشرح كل هذا في آخر كتابنا.

امّا البشر فقد بقيَ منه النطق والفعل والتمييز والفكر، فالبشر الذي هو قالب الانسان بالقوة من الانسان بالفعل كالمضغة من الانسان بالقوة الذي هو مستور في البشر، وقد قلنا ان التغيير انتقالاً من المتغير يصير انتقالاً الى الفرض الذي هو التمام، والتمام هو الذي لا يتغير ولا يتبدل،

فالاضطرار اوجب ان يكون بعد هذا التغيير الذي هو الموت صورة ايضاً... فعلينا ان ننظر الآن كيف تكون هذه الصورة:

لمّا وجب ان تكون المعادن متغذية بجميع جسدها، والنبات برأسه، والحيوان الخرس بفمه، والانسان بالقوة بيديه وفمه للغذاء والنطق، فقد ثبت ان يكون غذاء الصورة التي بعد الموت موضع يأكل منه الغذاء وموضع ينطق به، وان الانسان بالقوة انّما يتغير عن هذه الصورة لان غرضه ان يفارق الارض بكليته، فاذا فارقها بكليته صارت الرجل عند تخلصها من وطيء الارض تفعل فعل اليد من التناول عن التخلص من وطيء الارض ، واليد تعمل عمل الفم من الاغتذاء والنطق والفم يعمل عمل الرأس... اعني ان رأس النبات غير متناول ومتغذي، وفم البهائم متناول ومتغذي، ويد الانسان بالقوة متناولة، وفمه متغذي ناطق.

فلمّا صار الفم للانسان بالقوة، ويداه القوتان اللتان هما النطق والتناول، ويكونا في افواه البهائم وأيديها، وجب ان يكون لليد عند الانتقال من هذا العالم قوة ايضاً ، فتصير ناطقة متغذية وتدفع تدبير التناول الى الرجلين عند استعادتها النطق والاغتذاء، كما دفع الانسان بالقوة تدبير التناول الى اليدين عند استعادة النطق والاغتذاء جميعاً. وذلك عند فراق الروح قالب الانسان بالقوة، فتصير هذه الروح في تلك الحال حيّة بالفعل، فالرجلان عند ذلك يعملان عمل اليدين في التناول، واليدان يعملان عمل الفم واللسان في الاغتذاء والنطق وهذه مرتبة ذكرها الله تعالى في عدة سور من كتابه الكريم.

وممّا يؤكد ما قلناه: انه لمّا جاز ان تغتذي المعادن بجميع جسدها وجاز ان يتغذّى النبات برأسه الراسب في الارض، وجاز ان يتغذّى الحيوان في بطن امه بسرته وفي الدنيا بفمه كذلك يجوز ايضاً ان ينتقل الانس الى حال يتغذون بايديهم وينطقون بها، والدليل على ذلك ايضاً ان اليد في هذا الحال ناطقة بالقوة لانها تكتسب وهي ترجمان اللسان، وتصور وتنقش

وتنطق بالاشارة، فاذا انتقلت عن هذا الحال، وذلك بعد فساد القالب خرجت من حد القوة الى حد الفعل فتصير ناطقة بالفعل.

والجن من الانسان بالفعل كالعظام من الانسان بالقوة. ولما كانت المعادن والنبات والحيوان الخرس والبشر وفراق الارواح من البشر مشاهدة معلومة محسوسة بالابصار، فلا نحتاج الى بيان دليل يدل على صدق ما قلناه.

وامّا الدرجات الباقيات فانّ الله تعالى قد بيّن ذلك في كتابه في سور عديدة كقوله:

﴿ونفخ في الصور، فصعق من في السموات ومن في الارض الاّ ما شاء الله، ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون﴾.

يعني: ان الانس بالفعل قيام ينظرون اشراق الارض بنور ربها. لان النفختين ـ يدلان على الدرجتين الباقيتين. امّا معنى قوله الاّ ما شاء الله اي الاّ من وصل الى هاتين الدرجتين او جازت عليه احدى النفختين او كلاهما.

وامّا قول العامة: بان النفختان «ثلاثة» فالله تعالى لم يذكر سوى اثنتين.. امّا الثالثة فهي دليل على التصور بصور الجن.. اذا كان نصف حاله مشاهداً ونصفه غائباً، ولذلك عظم على الناس اليوم الثالث من يوم الميت لانه يصير الى الغرض في الدرجة الثالثة من الاستحالة المسمّاة «موتاً» ولذلك عظموا اليوم السابع لانهم في التعظيم الثاني الأول خلود درجات الروحانية.

ونقول:

الاّ ان الجني ينتقل من النفحة الاولى الى الرتبة السادسة التي هي مرتبة الملائكة، فيصير ملكاً بالفعل، وتصير الرجل في هذا الوقت متغذية ناطقة فلا تحتاج الى اليد لتتناول بها، والآلات كلها قد انتقلت وصارت الى

مرتبة آخر، فدفعت امر اليدين الى الرجلين، والرجلان كانا في الدنيا على الارض لا يتناولان ولا ينطقان ولا يتغذيان، وقد وصف النبي (ﷺ) بعض الملائكة فقال:

«رؤوسهم تحت العرش والكرسي، وأرجلهم تحت الثرى... لان جميع صورهم واعضائهم الروحانية قد استغنت عن الاغذيات. وقد يسألنا سائل عن اغذية الملائكة؟ فنقول:

لا بد لكل مأكول ومشروب من ثلاثة اشياء هي: الطعم، والرائحة، واللون، فالرائحة الطف من اللون، واللون الطف من الطعم، فغذاء الانس بالقوة بالطعام، وغذاء الجن بالارائح، وغذاء الملائكة بالالوان ـ وقد رأينا الناس يبخرون للجن بانواع الطيب والبخور ـ امّا الانس بالقوة فغير مستغنين عن الرائحة والطعم واللون جميعاً، والجن مستغنين عن الطعم، وغير مستغنين عن الرائحة واللون، والملائكة مستغنين عن الطعم والرائحة وغير مستغنين عن اللون، وان كل من احتاج الى شيء فهو ناقص، وكما ان لون الشيء يرى من بعيد ولا تحس رائحته الاّ من قريب، ولا يعرف طعمه الاّ بالمماسة كذلك الانس بالقوة مأنوسون لهذا العالم الجسماني من جهة قوالبهم لانهم في الطرف الاعلى منه.

قال الحكيم الصادق في كتاب «المحصول» في آخر قصة آدم:

ان صور الملائكة هي في العالم العلوي، وفي هذا العالم السفلي من بدء تكوينه الى يومنا هذا، والى يوم القيامة، والجن هم بين الملائكة والانس. فالملائكة من الانسان بالفعل كاللحم من الانسان بالقوة... وقد قيل:

ان وصف الملائكة بالفعل ناري، وتيممهم هوائي، ثم ينتقل الملك في النفخة الثانية الى المرتبة السابعة التي هي مرتبة اهل الجنة الذين هم الانس بالفعل، فيدخل الجنة في العالم الروحاني، وهي الصورة الروحانية التامة الابدية الخالدة التي لا تندثر ولا تبيد ولا تتغير ولا تنتقل عن حالها، فتخلص الرجلان عند ذلك من الاغتذاء والنطق كما تخلصت اليدان والفم

والرأس فيصير الى غاية الشرف والفضل، ويحيا حياة ابدية لطيفة لا تبديل ولا تغيير ولا استمداد ولا اغتذاء ولا نطق ولا جسمانية طبيعية. ومثله مثل اول المتولدات التي هي الجبل، ويقال:

ان الجبل يصير انساناً يوماً، والانسان يصير جبلاً والمعنى ان القوة النفسية الكامنة في الجبل وهي الذهبية والياقوتية تصير خارجاً، والقوة الطبيعية تصير داخلاً، فعندها يكون التمام والنهاية، لان التمام هو لا يتغير ولا يحتاج الى عمل، وكل محتاج الى عمل فهو ناقص، وكل تغيير الى انتقال، والانتقال طبيعي وجبري، وبعثي واختياري.. وهنا معنى تأويل قوله تعالى لموسى:

﴿ولمّا جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه... قال ربي ارني انظر اليكَ... قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل، فان استقرَّ مكانه فسوف تراني، فلمّا تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخرَّ موسى صعقاً﴾

فلو لم يكن في تقدير الله تعالى، ان يصير موسى يوماً ما مثل ذلك الجبل، لما قال له لن تراني في اليوم ولا غداً، لان الذي هو في الصورة النفسيّة العقليّة مثل الجبل لا يمكنه رؤيتي، فكيف وانت في الصورة الجسدانية للانسان بالقوة.

ومماً يؤكد ذلك ان افعال الجبال والمعادن كلها سكون وليست طائعة ولا عاصية لانها مواد طبيعية مجبورة، وأفعال النبات مثلها على نوعين: سكون طبيعي وحركة نمو وليست بطائعة ولا عاصية لانها ايضاً مواد طبيعية مجبورة، وأفعال الحيوان الخرس كلها عصيان لانها حسيّة غير ناطقة، ولايقال لها افعال عاصية لانها ليست مكلفة، ولو كانت مكلفة لاستحقت العقاب. وافعال الانس بالقوة طاعات ومعاصي لانهم مكلفون، وهم ايضاً يستعملون الظواهر ويتعلمون بواطنها ويرتكبون الصغائر والكبائر جميعاً. وانهم معاقبون بمعاصيهم مثابون بطاعتهم، وان الصغائر مغفورة لمن اجتنب الكبائر منهم، فأرواحهم الحسيّة تدعوهم الى المعاصي

وأرواحهم الناطقة تدعوهم الى الطاعات، وهم الملكان اللذان ذكرهما الله تعالى.. ان احدهما يكتب الطاعة والآخر يكتب المعصية.

وقال النبي (ﷺ):

«ان ابليس يجري في بني آدم مجرى الروح والدم» والمعنى: الروح الحسيّة.. امّا افعال الجن بالفعل فهي طاعات وصغائر وذلك انهم يطيعون ولا يقع منهم من المعاصي شيء الاّ الصغائر التي هم مؤاخذون بها ومثابون بتركها لانهم مكلفون.

ومن هنا فان المؤيدين لا يرتكبون شيئاً من الكبائر، وانهم معصومون لان ارواحهم تصورت بصور الجن في قوالبهم، والصغائر مغفورة لهم لان احكامهم شبيهة باحكام الانس بالقوة وذلك لتشبصهم في القوالب. أمّا افعال الملائكة بالفعل فكلها طاعات لانهم لا يرتكبون لا كبيرة ولا صغيرة ولا يعصون ما امرهم الله وانهم مستحقون الثواب لانهم مكلفون ايضاً. امّا افعال الانس بالفعل فلا طاعات ولا معاصي لانهم ليسوا مكلفين، وذلك انهم خرجوا من حد التكليف الى حد الثواب والجزاء والتنعم وبهم تتم الدار وتكمل الحال.

وكما ان افعال المعادن التي هي اسفل المتولدات لم تكن طاعة ولا معصية في حال جبرها وموتها كذلك لم تكن افعال الانس الذين هم اعلى المتولدات طاعة ولامعصية لاجتيازهم حياتهم الابدية.

فالانس بالفعل هم اهل الجنة وهم الصور الروحانية التامة الخالدة مقابل الخلق الآخر الذي هو الصورة للجسدانية التامة. وكما ان الخلق الآخر الذي هو الانسان بالقوة آخر متولدات الجسمانية كذلك اهل الجنة الذين هم انس بالفعل آخر المتولدات الروحانية.

فالمؤمن هو المقر بجميع هذه الدرجات ظاهراً وباطناً، والكافر يقر بالدرجات الثلاثة الماضية ومن عجلته كفر بالدرجات الثلاثة الآتية، ولم

يؤمن الآّ بالواسطة المشاهدة وسمَّاها الدرجات الماضية والآتية جهلاً وحسداً وحماقة وذلك بغية الوصول الى الثواب الذي هو مرتبة الانسان بالفعل، ولا يعلم ان بينه وبين وصوله الى الثواب والجنة انتقالات ودرجات غير الذي رآه وعرفه.

والمؤمن من اقرَّ بالماضية والمستقبلة واغتذا من كل واحدة من موادها في وقتها وعرف انه لا يتغذا في هذا الوقت الآّ باسم الواسطة فقط دون غيرها من الاسماء، علماً منه وبياناً وتواضعاً وايمانا، وأمَّا ما ذكرناه من الانتقالات الى سبع حالات اسفلها حال المعادن التي هي مقابل السلالة وهي طبيعية مجبورة وليست مكلفة لان قوة الطبيعة اكثر من القوة النفسانية، فنسبناها الى الامهات الاربع في قولنا ان المعادن الطبيعية وان كان فيها شيئا أنوراً من قوى النفس، لان الغلبة للاعم والاكثر.

امَّا الحال الثاني في حال النبات الذي هو مقابل النطفة فهو طبيعي مجبور غير مكلف، لان قوة الطبيعة فيه اكثر من القوة النفسانية اعني بالجبر، فهنا يكون انتقاله الى الاشرف على طريق الجبر والاختيار.

وامَّا الحال الثالث ـ حال الحيوان الخرس الذي هو مقابل العلقة فهو مجبور طبيعي غير مكلف لان قوته الطبيعية اكثر من قوته النفسانية، مع ان الناس كلفوه لحمل اثقالهم، وصرفوه في منافعهم لان قوته النفسانية اكثر من قوة النبات والمعادن، ومن هنا كان له الحس والاختيار في الحركة والسكون.

والحال الرابع حال الانس بالقوة الذي هو مقابل المضغة، فهم مجبورون مختارون طبيعيون نفسانيون وهم مكلفون لان قوتهم النفسانية على مقدار قوتهم الطبيعية... اذن فهم من جهة قوتهم الطبيعية مجبورون، ومن جهة قوتهم النفسانية مختارون، فامَّا من الجهة التي هم مجبورن فيها مهملون، لانه لا يجوز ان يكلفوا بحسن خلقهم وصورهم، ولا بقبيحها ولا بقصر قاماتهم ولا بطولها، ولا بخلقة اعينهم، ولا احداث شيء من اعضائهم وما

يشبه ذلك.

ومن الجهة التي هم مختارون مكلفون، كما كلفوا الى الشرائع وتعلم تأويلها، وقد ثبت بما قلناه.

ان القوة الطبيعية توجب الجبر والاهمال، والقوة النفسانية توجب الاختيار والتكلف، فكل من كانت قوته الطبيعية اكثر وأغلب من قوته النفسانية، رفع عنه التكليف والامر والنهي والثواب والعقاب، وهو مثل البله والمجانين والاطفال والحيوان الخرس، وكل من كانت قوته النفسانية اكثر وأغلب من قوته الطبيعية صار مستجيباً او مأذوناً او داعياً او لاحقاً او اماماً او اساساً او ناطقاً، وذلك على مقدار مابينهم من التفاوت بالدرجات في القوة النفسانية ، فامّا الظاهريون فقوتهم النفسانية على مقدار قوتهم الطبيعية ، بل اقل في المثل، ولذلك شبههم الله تعالى بالحيوان الخرس فقال: ﴿اولئك كالانعام بل اضلّ سبيلاً﴾ ومن هنا جعلت قبور اهل الظاهر «مثمنة» فشبهها بظهور الانعام والحمير، وقد وصفهم الله تعالى بقوله:

﴿مثل الذين حُملّوا التوارة﴾ يعني ظاهرها ﴿ثم لم يحملوها﴾ يعني باطنها ﴿كمثل الحمار يحمل اسفاراً﴾ فهذا القول موجه الى من وقف على ظاهر القرآن او غيره من كتب الله تعالى المنزلة على رسله ولم يقف على تأويله فهو كالحمار يحمل اسفاراً دون ان يعرف ما فيها، ولهذا جعلت ايضاً قبور العلويّة والشيعة «مسطّحة» لتشبهها بظهور الانس ، لانهم مجتهدون على ان يصيروا انساناً بالفعل يوماً ما.

فامّا الحال الخامس ـ حال الجن الذين هم مقابل العظام، فهم مختارون مكلفون مأمورون منهيون، وانما قلنا انهم مكلفون لانهم نفسانيون الآ ان فيهم شيئاً من اثار الطبيعة والحسيّة، فطاعتهم اكثر من معصيتهم كما اوردنا.

والحال السادس ـ حال الملائكة الذين هم مقابل اللحم وهم مختارون

مكلفون مأمورون منهيون نفسانيون ، ليس فيهم من اثار الطبيعة شيئاً يصيرهم ويجرهم الى المعصية، فلذلك لا تقع منهم معصية لا صغيرة ولا كبيرة، وقد وصفهم الله تعالى فقال:

﴿لايعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾

والحال السابع ـ حال الانس بالفعل الذين هم مقابل الخلق الآخر، وهم اهل الجنة ـ وهم مختارون لا طبيعيون ولا جسمانيون ولا مهملون ولا مكلفون، بل عقليــون علميــون من الجوهر الذي هو من نور الرب الذي هو الاشراق الذي ذكره الله تعالى بقوله:

﴿وأشرقت الارض بنور ربها﴾

وعندها يستغني الانسان عن الاغتذاء والنطق والتناول، ويكون عند ذلك ولد ابويه الذين هما: العقل والنفس بالحقيقة، وكذلك كان حــيًّا بالعقل، والصورة المتولدة كانت حية بـالقـوة، وقـد احتـاجـت ان تنتقـل هـذه الانتقالات حتى صارت مثل ابويها كانتقال النطفة من الحيوان حتى صارت مثل ابويها وهنا تذكر قوله تعالى:

﴿يا ايها الذين آمنوا استجيبوا الى الله والرسول اذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا ان الله يحولُ بين المرءِ وقلبه وانّ اليه تحشرون﴾ .

فلا يخفى على كل ذي لب ان هؤلاء المؤمنين كانوا احياءً من جهة اجسامهم وأديانهم الآ انه امرهم بطلب العلوم الالهية من جهة صاحب تأويل شريعة محمد « صلعم » ليتهيأ لهم الوصول الى الدرجة السابعة من درجات الصور الروحانية المستقيمة الخالدة، وليخلص صورهم من حد القوة الى حد الفعل، وكما ان ابوا الصورة الجسمانية في الحقيقة هما: المحيطان على مواضع انتقالها من حال الى حال، وهم الامهات والافلاك، كذلك ابوا الصورة الروحانية في الحقيقة هما: المحيطان على مواضع انتقالها من درجة الى درجة وهما: العقل والنفس، وكما ان الصورة الجسمانية

انتقلت الى صلب الذكر وبطن الانثى من حال الى حال حتى صارت في الحالة السابعة صورة مهيأة لقبول آثار الدنيا، كذلك القوة الروحانية في الدنيا في الامهات التي هي الانثى، والافلاك التي هي الذكر فينتقل من درجة الى درجة حتى يصير في الدرجة السابعة صورة مهيأة لقبول آثار الآخرة، وكما ان الدرجتين من الصورة الجسمانية اللتان هما السلالة والنطفة في صلب الذكر، والدرجات الخمس في الانثى كذلك الدرجات من الصورة الروحانية اللتان هما المعادن والنبات ليستا حيتين، والدرجات الخمس احياء، وكما ان الصورة الجسمانية تتحرك في بطن امها في نصف مدة مكثها فيه، كذلك يقع الأمر والنهي على الصورة الروحانية في نصف المراتب السبع، وكما ان الدرجات الثلاثة من الصورة الجسمانية التي هي السلالة والنطفة والعلقة ساكنات، والدرجات الثلاث التي هي المضغة والعظام واللحم متحركات، والدرجة السابعة التي هي الصورة التامة مختارة في الحركة والسكون لا تشبه المتحركة الجبرية، كذلك الدرجات الثلاث الطبيعية من الصورة الروحانية التى هي المعادن والنبات والحيوان الخرس مهملون، والدرجات الثلاث النفسانية التي هي انس بالقوة، والجن والملائكة مكلفون، والدرجة السابعة التي هي انس بالفعل وهم اهل الجنة مختارون لا يشبهون المهمل، ولا المكلف، لان المهمل هو الذي لا جزاء له، والمكلف هو المأمور المنهي، واهل الجنة عقليون مثابون غير مأمورين ولا منهيين. وسنفسر هذا القول في آخر الكتاب عند ذكر الارواح والازمنة.

الولادة والمتولدات:

ان المضغة آخر درجة من درجات السكون، وأول درجة من درجات الحركة كذلك الانسان بالقوة آخر درجة من درجات الطبيعة الذي يوجب الاهمال، وأول درجة من درجات النفسانية الذي يوجب التكليف، الآ ترى ان الطفل يكون مهملاً فاذا رأى، صار مكلفاً، وكما ان ايام حمل المرأة

هي تسعة اشهر، كذلك المتولدات تسعة اجناس وهي: المعادن والنبات والحيوان الخرس والبشر والشياطين والأبالسة والجن والملائكة، وأهل الجنة، وان المرأة اذا ولدت في الثمانية اشهر يموت المولود. امّا اذا ولد في تسعة اشهر فيحيا ولا يموت، وهو ان الايقانية من السد الى السد من غير ذكر، والخليقة والساقط الواقف عليها بذاتها تام لا يحتاج الى ذكر شيء معها تشبيهاً بأزمنة الدور، ثم ان المولود اذا ولد في الثمانية اشهر يموت، وفي التسعة اشهر لا يموت، اي ان الايقانية تكون بعد الوقوف على مرتبة الثامن الذي هو ـ الخليفة الخارج من السد المذكور، شأنه في قوله تعالى:

﴿وثامنهم كلبهم﴾

الاّ أن ذلك ليس بتمام الاّ بعد الوقوف على مرتبة التاسع الذي هو تشبيه بالخلافة الداخل في السد تشبيهاً بتامية الدور. ولذلك قال الله تعالى:

﴿ولقد آتينا موسى تسع ايات بيّنات﴾

لان العاشر ليس شيئاً، بل هو ساقط عن البيان حتى لا يذكر معهم لخموله، ولا يحتاج الى الايمان به، ولولا حد العاشر الساقط الخامل والاّ لم يكن لشرطه في قوله «بيّنات» معنى.

وامّا ولادة المولود في اوائل الشهر العاشر من غير آن يتمه فهي دليل على العاشر الداخل في السد الساقط بارتداده عن مرتبته من غير ان يتمها. وهنا نبيّن تأويل قوله:

﴿فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾

وقول الفقهاء: اذا كان الماء نجساً... وتأويل قول النبي: النبي الامي، وتأويل مباهلة الفقهية، وتأويل الظواهر السبعة التي هي ابواب العذاب الادنى، وتأويل المساواة في الكونين جميعاً.

فكما ان العصيان الأول من جهة المؤيدين كان في اول الكور السد من اول اصحاب الكور، فلذلك اوجب القياس، كون العصيان الثاني من

جهتهم في ثاني الكورين، ثاني صاحب الكور.. وكما ان عصيان السابع بالقوة ـ وثمانية حد السابع جائز، كذلك عصيان السابع بالفعل من جهة حـد ما ليس منه اجوز، وكما ان حد القوة اضعف من حد الفعل، كذلك عصيان من في حد القوة كان ضعيفاً حتى تتهيأ له التوبة التي هي دليل على المثابين. وان عصيان من هم في حد الفعل كان قوياً حتى اصَّر عليه غير تائب وهذا دليل على المعاقبين، واسم هذا الساقط مذكور في القرآن على التقريب، كما ان اصحاب سائر الادوار مذكورين في القرآن على التقريب، وله اسم ثاني في القرآن يوافق المعرفة في حساب الجمل وذلك ان كل واحد من اصحاب الكور الاول السد له اسماً واحداً فقط، تأكيداً لانفراد ذكورهم، ولكل واحد من اصحاب الكور الثالث اسماء الازواج في كورهم، وكذلك «امته» مذكورة في القرآن مع امم سائر الرسل حتى انهم يؤدون الجزية وتشبيهاً بهم، والوقوف على امورهم في حد الايمان بعد جواز جزية العقبة وفك الرقبة في حد الايقان، ولذلك فرَّق الله بين السبعة الذين هم في حد الايقان، وبين الثلاثة الذين هم في حد الايمان بقوله تعالى:

﴿فصيام ثلاثة ايام في الحج﴾ ظاهره صحيح وباطنه. اي من الوقوف على الايمان الذي فيه معرفة صاحب الزمان، فيتهيأ له معرفة الحدين وهما الخليفة والساقط، ثم قال: وسبعة اذا رجعتم من الظاهر الذي هو حد الاسلام، والايقان اذا وقفتم على الحدود السبعة من السد الى السد دون الحدين الذين هما الخليفة والساقط.

ثم قال: تلك عشرة كاملة يعني ان اصحاب هذين الكورين نطقاء وهم وخلفاؤهم مع الساقط عشرة نفر: خمسة منها في الكور الأول، وخمسة في الكور الثاني، وهما السديـن واصحـاب الاول الحدود مقـابـل الاجسـاد، واصحاب الكور الثاني مقابل الحواس الظاهر، وأصحاب الكور الثالث مقابل الحواس الباطنة في طريق العالم الصغير. فامّا من طريق العالم الكبير

فأصحاب الكور الأول وهم الحدود - اي مقابل اصول العالم السفلي، وأصحاب الكور الثاني مقابل المحسوسات الخمس التي ينسب كل واحد منها الى اصل من اصول العالم السفلي الخمسة، وأصحاب الكور الثالث مقابل الأرواح الخمسة الموجودة في العالم السفلي من مولداتها، وقد ذكر ذلك في كتابي «البرهان» و «الميزان» من بيانها ما فيه غنىً عن اعادة ذكرها ثانيةً في كتابنا هذا.

ثم نعود الى ما كنا فيه من تأويل الولادة على قياس المتولدات. فنقول:

ان الامرأة اذا ولدت على رأس السبعة اشهر يحيا المولود ولا يموت، كذلك القوة الروحانية اذا جاوزت السبع مراتب التي هي: المعادن والنبات والحيوان الخرس والبشر بالقوة، والجن والملائكة واهل الجنة تصل الى الحياة الابدية التي لا تبيد ولا تستحيل بعدها، وكما ان الامرأة اذا ولدت على رأس التسعة اشهر يحيا المولود ايضاً، كذلك القوة الروحانية.

وان صار شيطاناً بالقوة، وابليساً بالقوة ثم رجع عن ذلك وجاوز المراتب السبع التي هي تكملة التسعة فلا يضره ذلك ويصل الى الحيأة الابدية. فالباطني يستحق ان يسمّى جنيّاً بالقوة وملكاً بالقوة وانساناً بالقوة، لانه يصير يوماً جنيّاً بالفعل، وملكاً بالفعل، وانساناً بالفعل.

والقشري يستحق ان يسمّى شيطاناً بالقوة لانه يصير يوماً شيطاناً بالفعل، والمرتد يستحق ان يسمّى ابليساً بالقوة لانه يصير يوماً ابليساً بالفعل. ولا يستحق الاثنان ان يسميّان جنيين ولا ملكين بالقوة ولا انسانين بالقوة لانهما لا يصيران شيئاً ممّا عددناه يوماً، وكما جاز انه قيل: أن السلالة بشراً بالقوة وان كان بينها وبين ان تصير بشراً بالفعل درجات، كذلك جاز انه قيل للبشر: انساناً بالقوة وان كان بينه وبين ان يصير انساناً بالفعل درجات، وكما جاز انه قيل: ان السلالة نطفة بالقوة، وعلقة بالقوة، ومضغة بالقوة، وعظاماً بالقوة، ولحماً وبشراً بالقوة، كحال

تصورها في هذه الصورة يوماً. كذلك يجوز ان يقال: البشر جنيّاً بالقوة، وملكاً بالقوة، وانساناً بالقوة، وشيطاناً بالقوة، وابليساً بالقوة، وكحال تصوره بهذه الصور يوماً.

كما ان التراب والارض الجسمانية كذلك البشر والارض الروحانية، وكما ان غرض الصانع في التراب هو الصورة المهيأة لقبول اثارها في العالم السفلي التي هي انساناً بالقوة، كذلك غرضه في البشر هو الصورة المهيأة لقبول اثارها في العالم العلوي الذي هو الانسان بالفعل، وكما ان بين الارض الجسمانية الجبرية ومقصودها جسمانين مجبورين وهم: النبات والحيوان الخرس كذلك بين الارض الروحانية والاختيارية ومقصودها روحانيين مختارين وهما: الجن والملائكة، وكما ان الارض الجسمانية ليست متحركة فارتفعت على سبيل الجبرية درجة درجة حتى صارت كلها متحركة في الحيوان غير عالمة، كذلك الارض الروحانية، الاختيارية ترقى على سبيل الاختيار درجة درجة حتى تصير كلها عالمة، وكما ان خلق آدم ذكره الحاشيتان السفلي والمقصود حتى قيل انه خلق من تراب، كذلك في خلق اهل الجنة ذكرت الحاشيتان ايضاً السفلي والمقصود... حتى قيل: ان الانسان يصل الى الجنة من غير ان ذكرت الواسطتان اللتان بينهما اعين الجن والملائكة، كما لم تذكر الواسطتان اللتان بين التراب وبين آدم اعني النبات والحيوان الخرس، لان ظاهر الواسطتين الجسمانيتين المجبورتين تدل على الواسطتين الروحانيتين المختارتين، فاذا الارض الجسمانية ميتة، والنبات نائم، والحيون الخرس مختطلة، والارض الروحانية مستيقظة، ثم اذا نظرت الى الارض الروحانية فوقها علمت انها مقابل الميت، والجن مقابل النائم، والملائكة مقابل المختلط والجنة مقابل المستيقظ.

ولذلك قال الله تعالى:

في الماضي المهمل ﴿يخلقكم في بطون امهاتكم خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾، وقال في المستقبل المكلف ﴿الاَّ تكلم الناس ثلاثة ايام الاَّ رمزاً﴾

اي على عدد النفخات الثلاث، لان حد الجن مرموز في البشر، وحد الملائكة مرموز في الجن، وحد المثابين مرموز في الملائكة، فهذا اذن ست استحالات اثنتان منهما طبيعيات كاستحالة الارض الى النبات، واستحالة النبات الى الحيوان الخرس، واثنتان ممتزجتان كاستحالة الحيوان الخرس الى البشر، واستحالة البشر الى الجن، واثنتان نفسانيتان كاستحالة الجن الى الملائكة، واستحالة الملائكة الى اهل الجنة، والاّ لم يتابع للمتزوجين دون استحالة الطبيعيين والنفسانيين، ولذلك قال الله تعالى:

﴿قالوا ربنا امتّنا اثنتين، واحييتنا اثنتين، فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل﴾

والمتولدات التي هي في الدنيا ستة ايضاً، على عدد الاستحالات، وهي عدد تام كعدد اصول الدنيا، واثنان منهما على غاية الكثافة مقابلان الارض والماء وهما: المعادن والنبات، واثنان على غاية اللطافة مقابلان الكواكب والافلاك وهما: الجن والملائكة، واثنان متوسطان وهما: مقابلان النار والهواء وهما: الحيوان الخرس والبشر. ثم ان من هذه المتولدات الستة مايقع عليها اسم الحيوان - اربعة اسفلها جاهل محض وهو الحيوان الخرس، واعلاها عالم محض وهم الملائكة، فكما ان المجاوز للجاهل المحض من الواسطتين اللتين هما: البشر والجن جهله اكثر من علمه، كذلك المجاوز العالم المحض منهما علمه اكثر من جهله، ولأن علامتهما ظاهر في الامهات، وذلك ان اسفلها جامد محض، وهي الارض واعلاها ذائب محض، وهي النار والمتوسطات - اللتان هما الماء والهواء - متقلبان بين الجمود والذائب، الاّ ان المجاوز للجامد المحض الى الجمود اميل لموافقته اياه بجوهره... ولذلك قلنا:

ان اسفل هذه المتولدات الاربعة التي هي في الدنيا عصان - وهي الجاهلة المحضة واعلاها طائعون وهي العالمة المحضة، والواسطات التقلبات بين المعاصي والطاعات لتقلبها بين الجاهل والعالم الاّ ان المجاورين للعصاة

معاصيهم اكثر من طاعتهم، والمجاورين للمطيعين طاعتهم اكثر من معاصيهم، وعلامة ذلك ظاهرة في الامهات ايضاً، وذلك ان الهيولى اسفلها غالب على صورتها حتى صارت تقبل المتضادات وصور اعلاها غالبة على هيولاها حتى صارت لا تقبل المتضادات والواسطات ممتزجان، الا ان المجاور الاسفل هيولاه من جهة نتيجته غالبة على صورته من جهة جوهره وهي البرودة، وصورته غالبة على هيولاه من جهة نتيجته وهي الرطوبة، فلذلك يقبل المتضادات الجوهرية ، ولا يقبلها نتيجة المجاور الاعلى لهيولاه الضعيفتان فلا يتهيأ لأحدهما غلبته على صاحبه، فهو منفعل قابل للتضاد، وكل شيء صورته غالبة على هيولاه فهو فاعل غير قابل للمتضادات. ثم ان هذه المتولدات الستة على ستة اقسام: احدهما نصف اصول العالم الذين هم مخلوقون على العدد التام، وهم مكلفون، والآخر سدسها وهم الذين غير مكلفين ولا موات، والثلاث ثلثها تأكيداً للتامية، وتصديقاً لصحبه وهم الموات. وهنا اذا سألنا سائل عن مقام الجن والملائكة بالفعل؟ قلنا له:

ان مقام الجن فيما بين فلك زحل الى الارض في كل مكان... الاّ ان اعين البشر لا تدركهم لكثافتهم... ولذلك قال الله تعالى:

﴿يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذونَ الاّ بسلطان﴾.

يعني لا تطيقون النفوذ الى العالم الروحاني الاّ بعد ان تتسلقوا على مراتب الملائكة بالفعل ومقام الملائكة فيما بين اعلى الفلك المستقيم الى اعلى فلك زحل. فامّا الانس بالفعل فهم اهل الجنة الذين يتنعمون في العالم الروحاني، وكما ان الدرجتين من الصورة الجسمانية في صلب الذكر، والدرجات الأربع في الانثى الى ان تصير في الدرجة السابعة مهيأة لقبول ما في هذا العالم السفلي، كذلك الدرجات من الصورة الروحانية في جوف الآباء، والدرجات الاربع في وسط الامهات الى ان تصير في الدرجة

السابعة صورة مهيأة لقبول آثارها في ذلك العالم الروحاني الذي هو دار الخلود فلا عدد له ولا انتهاء، ولا يصل الانسان بالقوة الى ما لا عدد له ولا انتهاء ما لم يجاوز البيوت التي لها انتهاء في عددها مثل الآحاد والعشرات والمئات والالوف، فصلب الأب بيت الآحاد، وبطن الأم بيت العشرات. والدنيا بيت المئات كقول الله تعالى:

﴿ولقد ارسلنا نوحاً الى قومه فلبث فيهم الف سنة الاّ خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون﴾.

فقبض من الألف خمسين عاماً لئلاّ يتوهم احداً ان الدنيا بيت الالوف. والافلاك بيت الالوف... كما قال الله تعالى:

﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وانَّ يوماً عند ربك كألف سنة ممّا تعدُّون﴾.

فالعالم الروحاني بيت الخلود الذي لا عدد له ولا انتهاء... فاذن صلب الأب غير موقت وبطن الام موقت، والدنيا غير موقتة والافلاك موقتة، والعالم الروحاني غير موقت.. فصارت دائرة راجعة الى اولها، فأولها غير موقت، وآخرها غير موقت... ولمّا كان الشاهد الظاهر من المتمكنين على ثلاثة انواع: وجب ان يكون الغائب الباطن منهم ثلاثة اقسام ايضاً... اي انه لمّا اجتمع أخصامنا معنا على ان المكان الغائب على نوعين في قولهم: ان الافلاك تسعة وسبعة لم يكن لأحد مشاهدة الآخر منها اولاً ثم يتهيأ له مشاهدة الاشرف منها ثانياً، ولولا هذه المراتب، والاّ لم يكن يتعسَّر علينا الوقوف على كيفية جسم الدنيا من لا جسم. ومن ادعىً لنفسه مرتبة فوق قدره فهو من الهالكين. كقول امير المؤمنين «علي»:

«ما هلك امرءٌ عرف قدره»

امَّا قولنا في مسكن الافلاك فنؤكد: ان الاشياء ثلاثة: جسم وجرم وروح، فلو كان للجنين قوة الرؤيا، فلا يرى بعينيه في بطن امه الاّ الجسم، فلذلك خرج منه الى العالم الجسماني، ونحن لمّا خرجنا الى هذا العالم

الجسماني رأينا الاجرام السماوية والكواكب العلوية باعيننا ، فوجب بذلك ان مصيرنا بعد مفارقتنا القوالب يكون الى العالم الجرماني ، ثم هناك اذا وصلنا نرى العالم الروحاني باعيننا ، فنعتقد عند النفحة الثانية الى العالم الروحاني خالدين مخلدين ، ومما يزيد قولنا تأكيداً انه لمّا صحّ ان غير المؤيدين لا يدخل الجنة ، وصحّ عند المستجيبين والدعاة انهم لا يصيرون في الدنيا مؤيدين ، ثبت ان لهم مقاماً غير مقامهم في هذا العالم الجسماني حتى يصيروا هناك مؤيدون ، فيتحولوا حينئذٍ الى الجنة .

ومما يزيد القول ايضاحاً انه لمّا وجب مكث الانس في هذا العالم الجسماني لما فيهم من اثاره وأجزائه المشبهة بهم كذلك وجب مكثه في العالم الجرماني بما فيه من اثاره المتشبهة بهم ايضاً ، ومما يزيد ايضاحاً ايضاً : ان البشر ينسب في الدنيا الى الأب لان اول كونه في صلبه وان كان بعد ذلك اقام في بطن الام ، كذلك الانسان بالفعل ينسب في الآخرة الى الام ، لان اول كونه كان في الامهات ، وان كان بعد ذلك اقام في جوف الآباء التي هي الافلاك ، لان البشر ينتقل من صلب ابيه وبطن امه من الألطف الى الأكثف ، لأنه الصورة الجسمانية ، والانسان بالفعل ينقل من الأكثف الى الألطف لأنه الصورة الروحانية ، والذكر في كل شيء الطف من الانثى ، والنسبة ثابتة أبداً للأول دون الثاني ، والدليل على أن الأفلاك بمنزلة الذكر ، والامهات بمنزلة الانثى :ـ ان الفلك ابداً متحرك والارض ساكنة ، والمتولدات تتولد فيما بينهما بحركة الذكر وسكون الانثى وقت المجامعة .

وان سألنا سائل عن كيفية نطق الجن والملائكة وأهل الجنة ؟

قلنا له :

ان اول النطق العقل ، والثاني الفكرة التي تنبعث من العقل ، والثالث صورة الكلام التي تنبعث من الفكرة ، والرابع الكلام المؤلف من الحروف الذي تنبعث من صورته ، والكلام المؤلف بالحروف لا يكون الاّ من الصوت ، والصوت لا يكون الاّ من حركة خارجة ، والحركة الخارجة

لاتكون الآَّ بعد سكونها اولاً فهذه اذن سبعة أحوال. وان الكلام المؤلف بالحروف هو الذي يفهمه الجسماني عن جسماني مثله كفهمه جميع البشر كلامهم فيما بينهم وصور الكلام التي يفهمها مؤيد عن روحاني، كفهم رسول الله (ﷺ) كلام جبريل.. وكما قال الله تعالى:

﴿نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين﴾

ولم يقل على سمعك. لان صورة الكلام لا يفهم بالسمع، وانما يفهم في القلب، ثم قال:

﴿لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾

اي بكلام مؤلف من الحروف يفهمه الناس جميعاً، فالفكرة التي يفهمها روحاني عن روحاني كفهم جبريل عن اللوح المحفوظ.

والآن بعد ان بيّنا حدود النطق ودرجاته، فقد حان ان نبين حظ كل واحد من المتولدات فنقول:

ان المعادن ساكنة، والنبات متحرك حركة النمو والازدياج، والحيوان الخرس يصون، والبشر لا يستغنون عن الكلام المؤلف بحروف، ثم ان الجن يستغنون عن الكلام المؤلف بالحروف... وتقوم صورة الكلام لهم مقامه، ثم ان الملائكة يستغنون عن صورة الكلام لان الفكرة قامت لهم مقامه، ثم ان الانسان استغنوا عن جميع درجات النطق اذ العقل قام لهم مقامه فهم في جوار العقل الكلي الذي هو اصل الخلائق طرّاً فيتنعمون بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وهذه صورة توضح جميع ما ذكرناه:



درجات الولادة:

لقد سبق ان بيّنا: ان البشر واسطة بين البهائم وما دونها، وبين الملائكة وما دونها، كذلك قيل: في حده انه حياً ناطقاً ميتاً، لأنه لو قيل أنه حياً ميتاً لكان كالبهائم، ولو قيل انه ناطقاً لكان كالملائكة بالفعل، فقد تبين بالوسط طرفاه، ولولا ان طرفه الاعلى ينتقل من حاله لم يكن مكلفاً، ولما ثبت في قوله تعالى:

﴿وسنة رسوله﴾

ان البشر مكلفون، وقد صحّ انهم لم يصيروا مكلفين الاّ لغرض، والغرض الذي لاجله كلفوا هو الثواب الذي اذا وصلوا اليه رفع عنهم التكاليف.

وان سألنا سائل وقال: كيف يكون حال انتقال الجن الى درجة الملائكة؟

قلنا له:

ان مثل الجن بالفعل كمثل الفرخ الذي يريد الشجرة من بعيد فيشتاق الى الطيران والوقوع على راسها، فلا يطيق ذلك في تلك الحال، الى ان يتغذا ممن يولد منه، والى ان يتهيأ له الطيران والوقع على راسها، وكذلك يتهيأ للجن النظر الى الفلك المستقيم. وفلك البروج الذين يحيطان بالسموات السبع والارضين السبع ومكان الملائكة فيهما الا انه لا يتهيأ لهم الصعود فيغتدون بالعلوم الالهية الربانية من اتصال الملائكة بهم الى ان يتهيأ لهم الانتقال الى مرتبة الملائكة، وان لم يتغدوا بالعلوم الالهية صاروا عند النفخة الاولى ابالسة معاقبين بين نيران السبع، وذلك لان انتقالاتهم على نوعين: فامّا ان يكونوا مثابين او معاقبين، وكذلك انتقال الانس بالقوة على نوعين ايضاً. امّا انتقال الملائكة فعلى نوع واحد ولزيادة الشرح اقول:

ان الانس بالقوة يطيعون ويعصون، والعاصي منهم يصير شيطاناً مستحقاً للعقاب بعد فساد قالبه، والمطيع يصير جنياً مستحقاً للثواب بعد فساد جثته. وكذلك بيّن الله موتهم على نوعين احدهما كقوله:

﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾.

فملك الموت هنا دليل على القاعدين على كراسي الأوصياء والائمة، والآخذين ما ليس لهم بحق، ولقبوا بملك الموت من حيث انهم يميتون من اتبعهم على ضلالهم، وهذا الموت لا يرجى بعده حياة. والنوع الثاني قوله تعالى:

﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظةً حتى اذا جاء احدكم الموت توفّته رسلنا وهم لا يفرطون﴾

يعني النطقاء والاسس والائمة، وانما نسب الله عز وجل قبض ارواحهم الى رسله، لانهم خرجوا من هذا العالم على دينهم، فالرسل اضداد ملك الموت، كما ان اهل الباطن اضداد اهل الظاهر.. . وقد قال الله عزّ وجلّ:

﴿يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا انّ الله يحول بين المرءِ وقلبه وانه اليه تحشرون﴾ .

فالرسل تحيي ولا تميت، ورؤساء الضلالة تميت ولا تحيي، وان الله عز وجل اجرى على صور المؤمنين الذين فارقوا قوالبهم في دور آدم عند انقضائه، وظهور نوح في النفخة الاولى حين وصلوا بذلك الى درجة الملائكة، وان كل واحد من الائمة الستة في دور آدم قام لنوح مقام درجة من الدرجات الستة للصورة الجسمانية التي هي الخلق الآخر، وشيث قام لآدم مقام الأبوين والنطفة اغتذت من لطائف الاغذية حتى استحالت علقة الى ان تهيأ ظهور من هو افضل وهو ابراهيم، وان كل واحد من الائمة الستة في دور نوح قام لابراهيم مقام درجة من الدرجات الستة للصورة الجسمانية كذلك الصور الروحانية التى فارقت قوالب المؤمنين في دور ابراهيم، وقد قامت له مقام الأغذية اللطيفة للصورة الجسمانية الى ان تهيأ ظهور من هو افضل من ابراهيم وهو موسى فصار الذين لم يطلبوا العلم في دوره ولم يتعلموا معاقبين، وان هؤلاء المؤمنين وان قاموا لابراهيم مقام الاغذية للصورة الجسمانية، فان كل واحد منهم قد قام بصورته البسيطة مهيأً لقبول العالم العلوي منتظراً للنفحتين، وان الله اجرى على صورهم عند انقضاء دور ابراهيم وظهور موسى النفخة الاولى، حتى وصلوا الى درجة الملائكة وكل واحد من الائمة الستة في دور ابراهيم قام لموسى مقام درجة من الدرجات الستة للصورة الجسمانية وموسى مقابل المضغة، والمضغة اغتذت من لطائف الاغذية حتى استحالت عظام وصارت كثائف الاغذية

اقذاراً كذلك الصورة الروحانية التي فارقت قوالب المؤمنين في دور موسى قامت لموسى مقام الاغذية اللطيفة للمضغة منهم الى ان تهيأ ظهور من هو افضل من موسى وهو عيسى، وصار الذي لم يطلب العلم في دوره معاقبين كالكثائف والاقذار، وان هؤلاء المؤمنين وان قاموا لموسى مقام الاغذية اللطيفة للمضغة، فان كل واحد منهم قد قام بصورته البسيطة مهيأً لقبول آثار العالم العلوي منتظراً للنفحتين واجرى الله على صورهم عند انقضاء دور موسى وظهور عيسى النفخة الاولى ، حتى وصلوا بذلك الى درجة الملائكة، وكما ان المضغة اول من تحركت في بطن الانثى من الدرجات، كذلك موسى اول من حارب وقاتل وقتل من الرسل، وان كل واحد من الائمة الستة في دور موسى قام لعيسى مقام درجة من الدرجات الستة الجسمانية، وعيسى مقام العظام، والعظام اغتذت من لطائف الاغذية حتى اكتست باللحم، وصارت كثائف الاغذية اقذاراً كذلك الصورة الروحانية التي فارقت قوالب المؤمنين في دور عيسى قامت لعيسى مقام الاغذية اللطيفة للعظام الى ان تهيأ ظهور من هو افضل من عيسى وهو محمد، فصار الذين لم يطلبوا العلم في دوره معاقبين كالاقذار، وان هؤلاء المؤمنين وان قاموا لعيسى مقام الاغذية اللطيفة للعظام فان كل واحد منهم قد قام بصورة الجنيّة بالفعل مهيأً لقبول اثار العالم العلوي منتظراً للنفختين، وأجرى الله على صورهم عند انقضاء دور عيسى وظهور محمد النفخة الاولى حتى وصلوا بذلك الى درجة الملائكة، وان كل واحد من الائمة الستة في دور عيسى قام لمحمد مقام درجة من الدرجات الستة للصورة الجسمانية، ومحمد مقابل اللحم واللحم اغتدت من لطائف الاغذية حتى صاروا خلقاً آخر مهيأً لقبول اثار العالم السفلي، وصارت كثائف الاغذية اقذاراً، كذلك الصورة الروحانية التي فارقت قوالب المؤمنين في دور محمد وقامت له مقام الاغذية اللطيفة للحم الى ان تهيأ ظهور من هو افضل وهو القائم، فصار الذين لم يطلبوا العلم في دوره معاقبين كالاقذار وأن هؤلاء المؤمنين وان قاموا لمحمد مقام الاغذية اللطيفة للحم، فان كل واحد منهم قد قام

بصورته اللطيفة مهيأً لقبول آثار العالم العلوي منتظراً للنفختين، وأجرى الله على صورهم عند انقضاء دور محمد، وظهور القائم في العالم السفلي ـ النفخة الاولى ـ حتى وصلوا بذلك الى درجات الملائكة، وان كل واحد من الائمة الستة في دور محمد قام للقائم مقابل الدرجات الستة للصور الجسمانية، والقائم مقابل الخلق الآخر التام الاّ انه لم يستغن عن الاغذية الروحانية التي يتهيأ له بها الوصول الى المرتبة القائمية بالفعل، كما لم يستغن من قبله من النطقاء عن ذلك، والخلق الآخر لما خرج من بطن امه، واغتذى بلطائف الاغذية الى ان صار ناطقاً عالماً عاقلاً، وصارت كثائف الاغذية مطروحة من الخارج، كذلك الصور الروحانية التي فارقت قوالب المؤمنين في دور القائم بعد خروجه من هذا العالم السفلي قامت له مقام الأغذية ـ اللطيفة للخلق الآخر الى ان يبلغ القائم مرتبة القائمية حتى يتهيأ له بذلك الظهور بهويته البسيطة والتأييد لخليفته الظاهر بهويته الكثيفة، فلهذه العلة وجب المكث والمدة التي تقوم بهويته البسيطة بعد انقضاء دور ازمنة خلفائه السبعة، وصار الذين لم يطلبوا العلم في دور القائم معاقبين كالكثائف والاقذار، وان هؤلاء المؤمنين وان قاموا للقائم مقام الاغذية اللطيفة للخلق الآخر، فان كل واحد منهم قد قام بصورته الجنيّة مهيأً لقبول اثار العالم العلوي منتظراً للنفختين فيجري الله على صورهم بواسطة القائم عند ظهوره بهويته البسيطة النفخة الاولى حتى يصيروا ويصلوا بذلك الى درجات الملائكة ثم يمد القائم بما يمده الباري تعالى بواسطة العقل جميع صور الملائكة وهم الذين فارقوا قوالبهم من لدن آدم الى يوم القيامة كلها بالنفخة الثانية، وهي المادة المقدرة من الله تعالى للانس باظهارها منه، فيقبل كل واحد منهم من مادة النفخ على مقدار تهيئة طاقته فيصيرون انساناً بالفعل ويصلون الى مراتب اهل الجنة فيتنعمون بما لاعين رأت، ولااذن سمعت ولاخطر على قلب بشر.

وقد ثبت بما بيّناه ان النفخة الاولى تكون عند انقضاء الكور العظيم

الذي هو مجمع دور الرسل، وعند هذه النفخة يصير كل مؤمن في ذلك الكور ملكاً بالفعل وانساناً بالفعل، فيدخل الجنة بغير حساب... كذلك اثر النفخ في رؤوس الاكوار دون غيرهم بدليل قوله تعالى:

﴿واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، فاذا سويته ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾.

فقوله: فنفخت فيه من روحي... هو ان النفخ الاقرار الثاني ويكون عند انتهاء الدور من الكور الماضي وابتداء الكور المستقبلي، وقد لا يتهيأ لمن دونهما من الجسمانيين قبول النفخ لعجزهم عن النهي لقبوله، وفيما هو مذكور في كتاب «البرهان» عن كيفية هذا النفخ غنى عن اعادته، وان كان كل واحد من الخلفاء الستة في دور القائم مقام درجة من الدرجات الستة للصورة الجسمانية.

فإن قال قائل... لم قلت ان النفخة اثنتان مع اقرار كتمان احدهما سبع مرّات في آخر كل دور مرة واحدة؟ قلنا:

ان كل واحد من الانس بالقوة لا تجري عليه النفخة الاّ مرة واحدة عند نسخ الشريعة الاولى وتجديد شريعة الناسخ لها بواسطة الوحي، فلذلك قلنا: ان النفخة اثنتان:

احداهما عند ولادته الروحانية بقالبه في العالم الجسماني.. والثاني عند بروزه من البرزخ بصورته اللطيفة ووصوله الى اعلى الفلك المستقيم معدن الملائكة. ومثال ذلك ان الموت واحد والنفخة الاولى واحدة، والنفخة الثانية واحدة، وانمّا قلنا ان الموت واحد لان كل واحد من الاحياء الجسمانية لا يذوقه الاّ مرة واحدة، ولذلك قال الله تعالى:

﴿لا يذوقون فيها الموت الاّ الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم﴾.

وكذلك الجن بالفعل الذين لا تجري عليهم النفخة الاولى الاّ مرة واحدة، وكذلك الملائكة بالفعل لا تجري عليهم النفخة الثانية الاّ مرة

واحدة، فالموت مقابل الظاهر، والنفخة مقابل الباطن، فلذلك كان الموت على الاجسام، والنفخ على الارواح، لان الجسم ظاهر والروح باطن، وكما ان المؤمن واقف على الظاهر والباطن، كذلك فان الموت والنفخ جاريين عليه كليهما، وكما ان المسلم واقف على الظاهر دون الباطن كذلك الموت جاري عليه دون النفخة، وكما ان الموت واحد، والنفخة اثنتان، كذلك الظاهر شيء واحد، وهو الشريعة، والباطن شيئان: تأويل وتأييد.

ووجه آخر: وهو ان المؤمن واقف على شيئين ظاهر وباطن، والمسلم واقف على شيء واحد وهو ظاهر المحض، والناس في حضور الموت متفاوتون في الاوقات مختلفون لانهم لا يموتون في وقت واحد، وكذلك القشرية في اديانهم ومذاهبهم متفاوتون مختلفون. ومن هنا كان الأذان دليل على دعوة الظاهر، لان الناس في صلواتهم مختلفون متفاوتون في القيام والركوع والسجود والتشهد، والناس في النفخة مؤتلفون متفقون، لان انتقالهم من الدرجة السفلى الى الدرجة العليا عند النفخ تكون في وقت واحد عند انقضاء كل دور.

كذلك الانبياء في مذاهبهم متفقون لا اختلاف بينهم. ومن هنا كانت الاقامة دليل على دعوة الباطن لان الناس في صلواتهم متفقون في القيام والركوع والسجود والجلوس، وكما ان الموت يوجبه العقاب كذلك الظاهر يوجب العقاب، وكذلك الاذان يوجب التطوع، الاّ ترى ان كل من جهل تأويلها استحق العقاب، وكما ان النفخة توجب الثواب كذلك الباطن يوجب الثواب، وكذلك الاقامة توجب الصلاة الفريضة التي من قام بها ووقف على باطنها استحق الثواب، وكذلك فان الموت قبل النفخة كالوقوف على الظاهر قبل الوقوف على الباطن وكما ان النفخة الاولى التي بعد الموت الذي هو فساد القوالب كان سبع مرّات كل واحدة منها كانت في آخر دور من الادوار السبعة، وكذلك الاذان والاقامة جاء في سبع مواضع، احدهما في وسط الخطوط في الصحاري وهو مقابل الدعوة الى

الظاهر والباطن وفي دور آدم، وموت اهله ونفختهم، والثاني محاريب البيوت وهي مقابل الدعوة الى الظاهر والباطن في دور نوح وموت اهله ونفختهم، والثالث المساجد مقابل الدعوة في دور ابراهيم الى الظاهر والباطن وموت اهله ونفختهم، والرابع في المسجد الجامع وهو مقابل الدعوة في دور موسى كما بيّناه وقدمنا ذكره، والخامس في المسجد المدينة وهو مقابل الدعوة في دور عيسى وقد بيّناه ايضاً، والسادس في البيت الحرام وهو مقابل الدعوة في دور محمد كما ذكرنا، والسابع في بيت المقدس الذي هو المسجد الاقصى الذي بارك الله حوله حيث قال:

﴿سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، انه هو السميع البصير﴾.

وهذا مقابل الدعوة في دور القائم ونفخته الاولى والاخرى اللتان يكونان في آخر الدور والكور، ولذلك كان للمسجد الاقصى اسمان: احدهما بيت المقدس وهو مقابل النفخة الاولى يعني ان من اجرى الله عليه النفخة الاولى فقد قدّسه من جميع الشبهات والعيوب والنقصان، والاسم الثاني المسجد الاقصى وهو مقابل النفخة الثانية، يعني من اجرى الله عليه النفخة الثانية فقد بلغ الدرجة القصوى من مراده وانتهى الى الغاية التي لا فناء بعدها ولا استحالة.

ومن هنا قال محمد (ﷺ):

«الناس يحشرون الى بيت المقدس»

وهنا جعل كل واحد من النطقاء السبعة مقابل درجة من الدرجات السبع من الصورة الجسدآنية... فآدم مقابل المعادن، لذلك امر باستخراج الجواهر المنعقدة والذائبة من معادنها، وعلّم امته كيفية استنباط المياه من الآبار، واجرائها من العيون، وعلامات ذلك ان اللعّابين الذين يلعبون بالحجارة المسماة من ثلاثمائة واثنى عشر باب قد احدث في دوره، ونوح مقابل النبات فلذلك امر امته بغرس الاشجار وزراعة الحبوب وحصادها

ودرسها وطحنها وخبزها، وعلّمهم نجارة السفن واجرائها في المياه وأوقفهم على حرفة النجارة وعلامات ذلك ان اللاعبين الذين يلعبون بالخشب النباتي المسمّى الزدوة والشطرنج احدث في دوره، وابراهم مقابل الحيوان الخرس الذي يؤكل لحمها، فلذلك امر امته بذبح القرابين واكل اللحوم من الشاة وغيرها من الحيوان الخرس الذي يؤكل لحمها، وعلامات ذلك ان المزهر والطنبور اللذان لا يتم طربها الاّ بامعاء الحيوان احدث في دوره، وكما ان ليس للمعادن والنبات صوت، والبهائم الخرس ذوات اصوات مختلفة كذلك ليس للملاعب التي سميناها في دور آدم ونوح صوت، والمزهر والطنبور لهم اصوات مختلفة، وموسى مقابل البشر فلذلك امر امته بالختان وقتل كل من خالفه منهم، وأمر بقطع يد السارق ورجم الزاني وحد القاذف وقتل القاتل، وكما ان ادم امر بتخريج المعادن التي هي مقابلته والانتفاع منها، ونوح امر بغرس الاشجار والنبات والانتفاع منه، وابراهيم بذبح الحيوان الخرس والانتفاع بلحمه وجلده كذلك موسى اجرى القطع والرجم والقتل والحد على البشر، وعيسى مقابل الجن فلذلك جعل اقاويله اقرب الى الباطن والبيان من سائر اقاويل امثاله، وعلامات ذلك ان الصيد في البازات والصقور والضرب بالصولجان والأكره كل ذلك احدث في دوره، كما ان الجن يترددون بين السماء والارض كذلك البازات والصقور في وقت الصيد، والاكره للعب يترددون بين السماء والارض معاً، ومحمد مقابل الملائكة، فلذلك ساواه الله بالملائكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعلامات ذلك ان العالم صار في دوره اكثر واعم منه في ادوار سائر النطقاء، وانه عرج به الى السماء ليلة المعراج تشبهاً بالملائكة، والقائم مقابل الانس بالفعل الذين هم اهل الجنة، فلذلك صار كل من آمن به، ووقف على تأويله مستحقّاً لثواب الجنة ونعيمها وعلامات ذلك ان المثابين كلهم يصيرون مؤيدين يوم ظهوره بهويته البسيطة.

وان قال قائل: لماذا احلّ ابراهيم ذبح الحيوان الخرس وايلامه وأكل

لحمه كما ذكرت؟ قلنا له:

لان القوة الروحانية مستجنة في المتولدات التي هي المعادن والنبات والحيـوان الخرس والبشر والجن والملائكـة، وجعلـت المتـولـدات لـذاتها كالمصافي، وذلك انها لم تتكامل في المعادن فجاوزتها الى النبات فبقيّ منها في المعادن الصفاء واللون، وقد ذكرنا ما بقي من اثار هذه القوة الروحانية في كل واحد من المتولدات فيما تقدم. ومثل هذا كمثل رجل صبَّ الخمر في الجب بواسطة المصافي، فهو وان جاوزها الى الجب فلا بد من بقاء رائحته ورطوبته في المصافي، فلهذا تبقى القوة الروحانية على قدر قبوله وان جاوزت جميع المتولدات وقد قلنا: ان هذه القوة الروحانية. وان جاوزت جميع المتولدات الى عالمها الاعلى يبقى من اثارها في كل واحد من المتولدات على قدر قبوله. وقلنا: ان هذه القوة الروحانية لم تتكامل في المعادن فجاوزتها الى النبات، ثم ان النبات اذا اكله الحيوان استحالت لطافته في صلبه نطفة فتنتقل من درجة النباتيـة الى درجـة الحيـوانيـة، ثم ان الحيوان الخرس اذا ذبحه البشر وأكله واستحالة لطافة لحمه في صلبه نطفة ايضاً، فينتقل بذلك من درجة البهيمية الى درجة البشرية، ثم ان البشر اذا ذبحه الجني بالقوة باسم المؤيد الذي هو الجني بالفعل، يعني اخذ العهد عليه، وأكل لحمه يعني فاتحه بالبيان واستحالت لطافة علومه مع سـائـر ارواحـه صـورة روحانية فتنتقل بعد فساد قـالبـه مـن درجـة البشر الى درجـة الجن وكما ان الحيوان الاخرس اذا اكله امثاله من السباع لا يمكنه الوصول الى درجة البشر، بـل يـؤلم ويعـذب بلا فـائـدة، كـذلـك البشر اذا فـاتحه امثـالـه مـن القشرية فلا يتهيأ له الوصول الى درجة الجن، بل يؤلم ويعذب بعد فساد قالبه، وكما ان السباع يأكلون امثالهم من الحيوان الخرس بلا ذبح كذلك الظاهريـون يفاتحون امثالهم من البشر بلا اخذ عهد، وكما ان غير المذبوح من الحيوان الخرس ميتة كذلك غير المعهود عليه من البشر ميتة، وكما ان الميت من الحيوان الخرس لا يجوز اكله كذلك الميت من البشر لا يجوز

مفاتحته، وقد ثبت ان مثل الميت كمثل الرماد اذا مسّته ناراً خارجة منه لم يتوقد، ومثل المذبوح كمثل الجمر الذي صفيَ فصار فحماً، فاذا مسّته النار استوقد، والنار هنا دليل على الروح الحسيَّة والمذبوح والميت منها حرام، لانه لو كان حلالاً لدخل الفساد في المراتب السبع وفيه ما فيه.

وكما ان اكل اللحوم من الحيوان الذي يأكل اللحم حرام، كذلك لبس جلود الحيوان الذي يأكل اللحم حرام ايضاً لهذه العلة. كما ان اماتة من عصى رئيسه او ضربه وقتل امثاله من الحيوان الناطق واجبة في العقل والشريعة معاً كذلك الامر في الحيوان، وكما ان قطع الجوارح من الانسان وكيّها بالنار وايلامها بالفصد والحجامة وتعذيبها بالادوية الكثيرة لاجل صحة فانية وحياة زائلة لا يستقبح في العقل بل يحمد، كذلك ذبح الحيوان الخرس وايلامه بوصول لطافة لحومه الى مرتبة البشر التي من وصل اليها يمكنه الوصول الى الصحة الباقية والحياة الخالدة فلا يستقبح في العقل، ولا يستمح في الدين، وكما ان معذب جسده لصحة فانية وحياة زائلة، وان شكّ في وجودهما عند ذلك الفعل، عاقلاً لا يوصف بالجهل كذلك مؤلم الحيوان الخرس للصحة الباقية والحياة الخالدة لا يذم فعله، ولا يوصف بالجهل.

وكما ان الجواهر اللطيفة المستجنة في المعادن لا يستقبح اخراجها بانواع الشدة وأجناس الحيل كذلك لا يستقبح اخراج اللطافة المستجنة في الحيوان الخرس بانواع الشدة وأصناف الحيل، ثم ان الجن بالفعل اذا استفادوا من الملائكة بالفعل علومهم امكنهم عند النفخة الاولى الوصول الى مراتبهم كذلك الملائكة بالفعل عند النفخة الثانية يوم ظهور القائم بهويته البسيطة يدخلون الجنة بغير حساب ويصيرون انساناً بالفعل... وذلك اليوم ذكره الله عز وجل بقوله:

﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً لا يتكلمون الاّ من اذنَ له الرحمن وقال صواباً﴾.

يعني القائم بهويته البسيطة، والملائكة صفاً يعني الملائكة الذين يستمدون من النفخة الثانية المادة التي قدرها الله تعالى باظهارها من القائم.

ومما يؤكد ما قلناه: قول الحكيم الصادق اعلى الله درجته في كتاب «المحصول» حين فسّر قوله تعالى: وجاء ربك والملائكة صفاً يعني كل صف من الملائكة بمعزل على حدة وقت النفخة الثانية. وكما كانوا في هذا العالم السفلي على مراتب كذلك يكون النشور صنفاً منهم رسلاً، وصنفاً اسساً، وصنفاً ائمة وصنفاً لواحق، وصنفاً اجنحة، وصنفاً مستجيبين.

لان كل من فارق هذا العالم يكون قراره في عالم النفس، وكل واحد يستقر عند صاحبه فيكون اجتماع الرسل في جوار النفس، وكل واحد يستقر عند صاحبه، فيكون اجتماع الرسل في جوار النفس وعندها، واجتماع الاسس والائمة عند رسل ادوارهم، واجتماع اللواحق عند امام زمانهم، واجتماع الاجنحة عند لاحق جزيرتهم واجتماع المستجيبين عند جناحهم، وكل صنف منهم صنف على حدة، وامام الجميع القائم.

وقال الحكيم الصادق في كتاب «المحصول»:

لو كانت الملائكة على هذه الحال التي هي، ولم تستمد من حيث كان كونها منه لم تكن تظهر، لكن ظهورها وايجادها النفخ بها معلوم معدود، فعند بلوغها اجلها تظهر كما تظهر الصورة المركبة في الولادة اذا تمّ الأجل المقدّر لها، فدلّت هذه الشهادة: ان الحكيم الصادق اعلى الله درجته جعل الملائكة بالفعل من الصورة التي بعد النفخة الثانية مقابل اللحم من الصورة المركبة، واقامة الصورة المركبة بعد الولادة مقام الصورة الروحانية التامة بعد النفخة.

ونرجع الى ما كنّا فيه فنقول:

ان الدرجات الثلاثة التي هي المعادن والنبات والحيوان الخرس، لمّا كانت طبيعته جبريّة كان وصولها الى درجة البشر على جهة الجبر والايلام؛

فكما ان الانس بالقوة والجن والملائكة نفسانيون اختياريون كذلك كان وصولهم الى الدرجة الانسية بالفعل اختيارياً، وكما ان الانس بالفعل على جهة الاختيار والتنعيم، الا ان انتقال الانس بالقوة ممتزج من بينهم، لانهم في آخر درجة من جهة وفي اولها من جهة.

فان قال قائل: لمَ لم تشبه كل واحدة من هذه الدرجات السبع من الصور الروحانية صاحبتها؟

قلنا له:

كما ان النطفة الواقعة من بعض الحيوان انها لا تشبه اللحم الذي فيه وقعت الآ في الحالة السابعة، كذلك القوة المتولدة الروحانية من العقل والنفس لا ترجع اليها بالمشاكلة والتشبيه الآ في الحالة السابعة، ومثل ذلك موجود في كل شيء حتى النبات، وذلك ان النواة اذا زرعت في الارض، واستفادت القوة النامية عند فساد جسمها، فأول شيء يبني منها عروقها المستورة في الارض، ثم يتبيَّن من العروق ساقها، وهو الطف من العروق، ثم يتولد من الساق اغصانها وهي الطف من الساق، ثم يتولد من الاغصان اوراقها وهي الطف من الاغصان، ثم يتولد من الاوراق اورادها وهي الطف من الاوراق ثم يتولد من الاوراد اثمارها وهي الطف من الاوراد، ثم يتولد من جوف الثمرة نواة تشبه النواة التي تولدت منها وهي الطف من الجميع، فشبهنا النواة بالعقل والنفس من الصورة الروحانية، وبالذكر والانثى من الصورة الجسدانية، وشبهنا العروق بالمعدن من الصورة الروحانية، وبالسلالة من الصورة الجسدانية، وشبهنا الاغصان بالحيوان الخرس من الصورة الروحانية، وبالعلقة من الصورة الجسدانية، وشبهنا الاوراق بالبشر من الصورة الروحانية، وبالمضغة من الصورة الجسدانية، وشبهنا الأوراد بالجن من الصورة الروحانية، وبالعظام من الصورة الجسدانية، وشبهنا الثمار بالملائكة من الصورة الروحانية، وباللحم من الصورة الجسدانية، وشبهنا النواة المستورة في جوف الثمرة بالصورة

الروحانية الشبيهة بأبويها ـ العقل والنفس، وبالصورة الجسدانية الشبيهة بأبويها ـ الذكر والانثى.

وان سألنا سائل عن كيفية صور الملائكة والجن والانس بالفعل وجواهرهم؟

قلنا له:

لا بد لهذ الجواب من مقدمات نقربها الى افهام المستجيبين، ونقررها في افهام الباحثين وذلك انه لا بد لكل شيء من طرفين وواسطة. فصورة المعادن التي هي اسفل المتولدات وأولها تولدت من الطبائع الاربع ليس فيها من القوى اللطيفة شيء بالحقيقة الاّ اثارها، والطرف السفلي منها في الاطيان والرمال والأكلاس وهي موات ليس فيها من اثار القوى اللطيفة شيء، وأوسطه الاحجار المنتقلة من نوع الى نوع في الالوف من السنين، والطرف الاعلى منها هي الجواهر المذابة المثقلة ايضاً من نوع الى نوع، وقد اثّرت فيها القوة النامية فصارت لها لازمة، والجواهر المذابة تزيد في الدهر المزيد والزمان الطويل.

وقد رويَ عن «جالينوس» انه امتحن ذلك فوضع في بعض البيوت متاعاً من الاسرب وهو الرصاص الاسود فوجده قد زاد على الدهر زيادة... وان «جالينوس» اغتنم ذلك ليقنع به قوماً على حدوث شيء، لا من شيء فسألهم جميعاً عن سبب تلك الزيادة، ويروم من ذلك اقناعهم انه قد يجوز ان يحدث شيء من لاشيء.

وممّا يؤكد صحة ما قلناه ان في الاحجار شيء يسمّى سد، وانه ينبت شبه النبات، فاذا حصل ذلك يصير حجراً احمراً وقد ذكر «محمد بن زكريا الرازي» في كتابه «الخواص» انه رأى حجراً يشبه النارجيل فيه ثقب وفي جوفه حجر يتحرك لب النارجيله في جوفها.

وفي جميع ما ذكرناه دليل على القوة النامية التي تؤثر في الطرف من

المعادن، وفيما ذكرة الحكيم الصادق اعلى الله درجته في كتاب « المحصول » عن مراتب هذه القوى والارواح غنىً عن اعادة ذكره هنا في هذا الكتاب.

ثم ان القوة النامية المؤثرة في الطرف الاعلى من المعادن صارت روحاً للطرف السفلي من النبات والحشيش، وواسطة الحبوب وطرفه الاعلى هو الاشجار تفسد في روحه النامية القوة الحسيّة، فصارت لها لازمة، فمن هنا قال الحكيم الصادق في كتاب « المحصول »:

أن خشب الخلق متى ما انشّق نصفين في وقت رطوبته ايام الربيع، ووضع بعضه في بعض على بعد شبر فبعد ايام قليلة ينضم احدهما الى الآخر، فلولا ان القوة الحسيّة قد اثّرت فيه، والاّ فلا معنى لحركته... ويذكر ايضاً « محمد بن زكريا » في كتابه « الخواص » انه سار على الساحل فرأى شيئاً ينبت مثل الصدف وفي جوفه حيوانة تشبه الديدان. وممّا يزيد في قولنا تأكيداً تولد البعوض من الاشجار الشيم والخلق والفرجاد، وتولد الذباب من المروج والغياض، وتولد العقارب من البارزوج الممضوخ، وذلك ان البارزوج اذا مضخ في شهر تموز ووضع تحت اللّبة والاجرة اياماً تولدت منه العقارب، وكذلك تولد الديدان في التفاح والمشمس والسفرجل وسائر الفواكه، وكذلك تولد بعض الحيّات والضفادع في الطحالب، ويولد السوس من الحبوب، ويولد دود القز من الفرجاد ثم ينتقل من الدودية الى الطيورية، وتولد الطيور من العدس. وكذلك اذا نظرنا في امور الهوام والحشرات والخنافس والجعلان وما اشبه ذلك وفتشنا عن حقائقها في كتب الحكمة والطب وجدنا تولداً لها من النبات والاشجار وهذا من اعظم الدلائل على ان القوة الحسيّة قد اثّرت في بعض النبات كتأثير القوة النامية في بعض المعادن، فصورة النبات من الطبائع الاربع وروحه القوة النامية، ثم ان القوة الحسيّة المؤثرة في الطرف الاعلى من النبات صارت روحاً للطرف الاسفل من الحيوان الخرس، وصورة الحيوان الخرس من الطبائع الاربع والقوة النامية، وروحه الحسيّة، لان بالروح يتبين الشيء من خلافه

وضده وبه يظهر شرفه على ما دونه، كما ان فضل النبات على المعادن لا يتبين الاّ بروحه النامية، وفضل الحيوان الخرس على النبات لا يظهر الاّ بروحه الناطقة، والطرف السفلي من الحيوان الخرس هي البهائم والسباع وواسطته السباحات وطرفه الاعلى هي الطيور فأثّرت فيه روحه الحسيّة القوة الناطقة فصارت لها لازمة، ومعنى القوة الناطقة قبول التعليم اي شيء كان ينطق به.

من هنا وجب القول: انه لم ينطق من انواع الحيوان الخرس الاّ الطيور، ولم يقبل التعليم من اجناس الحيوان الغير الناطق اكثر من الطيور. فاننا عندما ننظر الى احوال الطيور بعين الحقيقة وجدناها شبيهاً باحوال البشر الذي هو الحيوان الناطق، فان ما يقبله الباز والصقر والعقاب والشاهين والباشق وامثالهم من التعليم، وكذلك الحمام، والببغاء والعقعق والزرياب والدرج والمطوق والقمري والشاري.

فامّا الببغاء والعقعق فانها يتكلمان بكل ما يتعلموه من الكلام، وامّا الزرياب فانه يكـون بـالعـراق واكثر كلامـه، «ويحك يـانبطيّـة طنجتي القنبطيّة». وامّا الدرّج فان اكثر كلامه ببغداد «قد طاب نبيذ الدقّل» وفي جرجان يقول:« بكركان خردي دردوسي كره كره بها فتكن ديدي» وامّا القمري فأكثر كلامه:« موسى شورى حي كل» وامّا الشاري فيكون في العراق واكثر كلامه: «يأتي النبي التقي وعلياً التقي...

وقد تبني النحل والخطاطيف والزنابير بيوتاً تشبهاً بأبنية البشر. وقد رأيت مع اعرابي جاء من العراق الى خرسان غراباً فكان يفرش الفراش ويبسطه بمنقاره، ويخبئون له غرضاً بين عشرين نفساً فيخرجها باشارة صاحبه دون ان يدله عليه احد، وكان يركب الديك ويضربه بمنقاره ويسوقه كما يسوق الرجل دابته، وقد رأيت بعيني وسمعت الكثير من عجائب الطيور ممّا يطول البحث اذا ذكرته في كتابي.

ومن الطيور من يتزاوجان ويحفظ الذكر ولده ويغذيه لحفظه، وتغذيته له شبيهاً بالحيوان الناطق وسائر ذكور الحيوان الخرس لا يفعلون ذلك بل

ليس لهم الاّ الفساد فقط .

وقد روي عن « محمد المكنّى بابن جابر الشبع » أعجوبة . . . فقد قال :

رفعت بيضة من وكر اللقلق ، ووضعت مكانها بيضة البطة ، فحضنها اللقلقان اي الذكر والانثى ، وما زالا حتى خرج منها الفرخ ، فلمّا نظر الذكر ورأى الفرخ طار ثم جاء معه اكثر من عشرة لقالق فاحتاطوا بالانثى وظلّوا ينقرونها الى ان قتلوها ، قال :

ففسرت انهم ظنوا ان البط قد سفد اللقلقة . . . وفي هذا المجال من العلم تكلّم الفلاسفة امثال : بولس واسكندريس وارمينوس ومقسيموس وغيرهم على الطيور دون سائر الحيوان الخرس وطلبوا - لأفعالهم تأويلاً مثلما يطلب لاحلام البشر ، وقد بينوا ان كل جنس من الطير له في الاوقات والازمنة تفسيراً وباطناً ، وقد شرحوا الاصوات ووضعوا لكل نوع منها بياناً وتأويلاً ، واخرجوا من ذلك احكاماً مثل احكام النجوم والافلاك واستنبطوا منها علوماً توازي علوم المنجمين مثلاً ، وان هؤلاء الحكماء قد ذكروا في كتبهم ان هذا العلم طباعي وليس نفساني ، لان الطيور من الدرجات الطبيعية لا من الدرجات النفسانية — ومن ذلك انتقالها من بدء تكوينها الى الانتهاء بما يشبه بانتقالات البشر ، لان انتقال البشر على — اربعة اوجه : احدهما صلب الذكر ثم رحم الانثى ، ثم الدنيا مع القالب ، ثم بعد الموت بلا قالب ، كذلك انتقال الطيور من اربعة اماكن من بين سائر الحيوان الخرس ، احدهما صلب الذكر ثم بطن الانثى ، ثم البيضة ثم الدنيا ، ومن ذلك انها استفادت زيادة في اجسامها حتى طارت وبلغت ما لم يتهيأ لأحد من الجسمانيين بلوغه وكما استفاد البشر من العلوم التي تهيأ له بها الارتقاء الى درجة الخلود ، ما عجز عنه سائر الجسمانيين ، وقد قرن الجسم بالعلم عند الفصل ، فقال وزاده الله بسطةً في العلم ، والله يؤتي من يشاء .

وقد ضرب الله امثال كثيرة بالطيور . . . فمن ذلك قوله تعالى :

﴿انَّ الله لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، فأمَّا الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم وامَّا الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلاً يضلُّ به كثيراً، ويهدي به كثيراً وما يضلُّ به الاَّ الفاسقين﴾ .

والمعنى ما فوق البعوضة من الطيور، وما فوقها يعني من نوعها... وقال تعالى:

﴿فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه. قال يا ويلتي اعجزتُ ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة اخي فأصبح من النادمين﴾

وقوله تعالى:

﴿وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومِمَّا يعرشون﴾

وقوله تعالى:

﴿وتفقد الطير قال مالي لا ارى الهدهدُ ام كان من الغائبين﴾

وقوله تعالى:

﴿الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيدُ في الخلق ما يشاء انَّ الله على كل شيء قدير﴾ .

وقوله تعالى:

﴿يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وان يسلبهم والذباب شيئاً لا تستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب﴾

وقوله تعالى:

﴿ورسولاً الى نبي اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله، وابرىء الاكمه والابرص، وأحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون، وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين﴾ .

وقوله تعالى:

﴿وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً امماً ، وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا المنّ والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن انفسهم كانوا يظلمون﴾

ان القوة الناطقة المؤثرة في الطرف الاعلى من الحيوان الخرس صارت روحاً للطرف الأسفل من البشر فصورة البشر من الطبائع الاربع والقوتين النامية والحسيّة وروحهم القوة الناطق، فالطرف الأسفل من البشر الاطفال ويدخل في جملتهم المجانين والقشرية . قال الامام جعفر بن محمد « الصادق »

الجنون فنون وأهونه الصرع وطرفه الاعلى المكلفون، وقد اثرت في روحه الناطقة القوة العاقلة ثم ان القوة العاقلة المؤثرة في الطرف الاعلى من البشر صارت روحاً للطرف الاسفل من الاحياء العاقلة، والاحياء العاقلة تخلصوا من كثائف الطبائع ـ الا انهم لم يتخلصوا من لطائفها ، وكما ان كل واحدة من الارواح الاربعة التي هي النامية والحسية والناطقة والعاقلة كانت اثراً في مفعوله، فان واحداً من المتولدات الاربعة الجسمانية التي هي المعادن والنبات والحيوان الخرس والبشر قامت في المفاصل مقام الروح، وكذلك الطبائع الاربع قامت في كل واحد من المتولدات الاربعة الجسمانية التي هي المعادن والنبات والحيوان الخرس، ثم قامت في المفاصل مقام الروح، وكذلك الطبائع الاربع قامت في كل واحد من المتولدات الاربعة الجسمانية التي هي المعادن والنبات والحيوان الخرس والبشر مقام الارواح الاربع في كل ذلك مقام القالب، ثم صارت كل واحدة منهم في كل واحدة من المتولدات الأربع الروحانية التي هي الشياطين والابالسة والجن والملائكة اثراً . وكما ان قوى الارواح كانت اثراً في المتولدات الطبيعية الاربعة في العالم السفلي، وقوالب المتولدات الاربعة الروحانية في العالم العلوي كذلك قوى الطبائع كانت اثار في متولدات الروحانية الاربعة في العالم العلوي، كذلك قوى الطبائع كانت اثار في المتولدات الروحانية الاربعة في العالم العلوي، وقوالب المتولدات الاربعة الطبيعية في العالم السفلي، وكما ان بدء ونشوء الانس بالفعل في عالم الطبيعة كان قالبه في البدء من الطبائع، وكما ان خروجه من حد القوة الى حد الفعل عند عاقبته يكون في العالم الروحاني

لهذا وجب ان يكون قالبه في انتهائه من الارواح. فان كل شيء يقوم في هذا العالم السفلي المظلم الكثيف الجسماني الغليظ المؤلم المفسد الميت مقام الروح فلا شك ان ذلك الشيء يقوم في العالم العلوي النير اللطيف الروحاني البسيط العقلاني المنعم المصلح الحي الخالد مقام القالب. وسنشرح هذا في آخر كتابنا لتدركه افهام المستجيبين. لان بيان علم من العلوم اذا خالطه بيان آخر فيتعسّر على الباحث المرتاد ادراكه ـ والوقوف عليه.

ونعود الى ما كنا عليه فنقول:

ان صورة الاحياء العاقلة هي من القوى النامية والحسية والناطقة، وأرواحهم القوة العاقلة، والطرف الاسفل منهم الشياطين بالفعل، واوسطهم الابالسة بالفعل والطرف الاعلى منهم الجن بالفعل فاثرت القوة القدسية في ارواحهم العاقلة مضار لها زامة فصارت، الجن بالفعل لذلك معصومين لا تقع منهم كبائر كما لا تقع من المؤيدين لانهم قد تصوروا بصور الجن بالفعل في قوالبهم، فلذلك فاقوا جميع البشر، وان صغائر المؤيدين مغفورة لتشبثهم في القوالب، وصغائر الجن ـ بالقوة غير مغفورة، لتصورهم المؤيدين وهم الملائكة بالقوة الذين هم النطقاء والأوصياء والأئمة من الطبائع الاربع، والقوة الثالثة النامية والحسيّة والناطقة، ولهم معاينة الجن والاتصال بالملائكة بالفعل، وان الشياطين والابالسة بالفعل استفادت ارواحهم العاقلة عياناً لا علماً، فلذلك صاروا معاقبين غير متهيئين لقبول اثار روح القدس، وان الجن بالفعل استفاد ارواحهم العاقلة علماً لاعياناً فلذلك تهيأ لهم قبول تأثير روح القدس، ثم ان القوة القدسية المؤثرة في الطرف الاعلى من الاحياء العاقلة صارت روحاً لجميع الملائكة بالفعل الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون. وذلك ان تأثير روح القدس امكن الجن بالفعل والمؤيدين اجتناب الكبائر، فاذا صارت هي الروح تهيأ للجن بها اجتناب الكبائر والصغائر جميعاً فصور الملائكة بالفعل من القوة التي هي النامية والحسية والناطقة والعاقلة وأرواحهم القوة القدسية قد اثرت فيها القوة العالمة، فصارت لها زامة لان القوة النامية والقوة الحسية في ذلك الوقت قد استحالت في الصفاء واللون والجلالة والشرف كالقوة الناطقة، لان القوة الناطقة في القديم قد قهرتها فصيرتها مثلها وذلك كقهر النار للحديد حتى لا

تجد بينها فرقاً بوجه من الوجوه. ومثل ذلك كمثل الحديد الذي انتقل من حال الى حال حتى بلغ درجة الذهبية، وامسك عندها عن الانتقال لانه هو الغرض من ذلك الجنس، وكالحجر الذي انتقل ايضاً من درجة الى درجة حتى بلغ درجة الياقوتية فامسك عندها عن الانتقال، لانه هو الفرق من ذلك الجنس فلمّا جاز في الاجسام استحال الحديد الى ذهب والحجر الى ياقوت، على بعد ما بينهما من كثرة التفاوت. كذلك جاز في الارواح انتقال القوة الناطقة للقوتين النامية والحسيّة وتصيرهما مثلها في اللطافة والصفاء والشرف. ثم ان القوة العالمة المؤثرة في ارواح الملائكة صارت روحاً لأهل الجنة الذين هم انس بالفعل، وهم الصورة الروحانية الخالدة المتنعمة الابدية الناجية من الاستحالة والانتقال... حياة كلها وعقلاً كلها وعلماً كلها ونمواً كلها ومعرفة ولطافة لا تتغير ولا تتبدل.

وان صورة الانس بالفعل الذين هم اهل الجنة من القوة التي هي النامية والحسيّة والناطقة والعاقلة والقدسية، وأرواحهم القوة العالمة قد اثرت فيها الكلمة فصارت لها زامة فلذلك تأبدوا ولم يتغيروا عن احوالهم فقد ثبت بهذه العلل ان النامية تقبل الحسيّة، والحسيّة تقبل الناطقة، والناطقة تقبل العاقلة، والعاقلة تقبل القدسية، والقدسية تقبل العالمة، والعالمة تقبل اثر الكلمة، وليس وراء الكلمة للمتولدات مذهب، ولا للانس بالفعل في الوقوف عليها مطمع. فاذا قال قائل: ما الفرق بين اهل الجنة، وبين العلم اذا كان اثر الكلمة فيهم؟

قلنا له:

الكلمة هي العلة والعلم معلول بها، وقد اتحدت العلة بالمعلول فصارا واحداً، كاتحاد النور بجرم الشمس والروح بالصورة. فامّا علة اهل الجنة فهل القوة العالمة لا الكلمة بينهم بعينها، الاّ ان اثر الكلمة لا يفارقهم ولا يزايلهم، فهي يكون الفرق اكثر من هذا وأبين؟

وان قال القائل لماذا قلت ان القوتين النامية والحسيّة قد شاركا الناطقة والعاقلية والقدسية في صور اهل الجنة وهما اثران من الطبائع الاربع والافلاك واهل الجنة؟ قلنا له:

قد بعدت فيما ظننت، وأخطأت فيما توهمت انهما اثران من الطبائع الأربع والافلاك وذلك لان جميع النمو والحس والنطق والعقل والعلوم المؤثرة في جميع الاجساد الفانية في الدنيا، انما تأثرت كلها في العالم الروحاني الذي هو الجنة التي عرضها عرض السموات والارض اعدّت للمتقين. فاذا بلغ المثاب الى هناك وجد جميع هذه الخيرات مجموعات في ذاته وعلم قولنا ان النمو والحس اثر من اثار العالم الروحاني لا من اثار الطبائع والافلاك، وقد نظرنا الى الاصول الموضوعة التي سميناها العالم السفلي الطبيعي الجسداني، فوجدنا في المواليد اثاراً عجيبة هي معلومة في الامهات الأربع، وذلك ان اول ما وجدناه فيها هو هذا النمو والازدياد الذي هو قوة لا نهاية لها ابداً ولا تدرك بالوهم غايتها، لان الحبة الواحدة تصير من حال صغرها شجرة وتصير بالوزن «اوفازاً» وتنمو في كل سعة من الحب اوقية، وكل حبة منها تعمل عملها، اذا وقفت في تدبير الارض التي هي مخرجة هذه القوة الى الفعل. ثم نقول له:

اذا لم تكن الارض قابلة للنمو والازدياد، وكذلك الهواء والماء والنار والافلاك - والنجوم، فان كل واحدٍ منها محدوداً متناهياً يدرك مقداره في الزرع والطول والعرض والعمق والبعد والصغر والكبر على نحو ما تكلمت به الفلاسفة الطبيعيون. فمن اين ظهرت هذه القوة النامية في المواليد التي هي لا نهاية لها، ولو ان ظهورها كان من جهة الامهات الاربع والافلاك والنجوم لكانت متناهية، ولكان للامهات والافلاك والنجوم اسباباً لاخراجها واخراج الروحين الحسيّة والناطقة، كما ان القلم واللوح واليد اسباباً لاظهار ما في ضمير العالم من الحروف والتعابير والنقوش، فهي اذاً آلات والآلة لصاحبها انما هي السبب لاظهار الغرض هو المواليد، والمواليد فيها النمو الذي يزداد ازدياد الأبد، والحس الذي به يبصر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس ويتحرك حركة اختيارية. وفي المواليد ايضاً عجائب ليست في الامهات ولا في الافلاك مثل الأرايح والطعوم والالوان والاصباغ والمذاقات.

الصور والطبائع:

ان بدن الانسان مركب على سبع مراتب هي: اليد اليمنى واليد اليسرى، والظهر، والبطن، والرجل اليمنى، والرجل اليسرى، ثم الرأس سيدهم وذلك مقابل الأقاليم السبعة. وعلى اثنى عشر قطعة وهي: الرأس والعنق واليدان والظهر والبطن والفخذان والساقان والقدمان مقابل الجزائر الاثنى عشر. فممّا يلي الظهر خراب، وممّا يلي البطن عمران، كذلك الدنيا نصفها خراب ونصفها عمران. ثم ان في جسد الانسان اثنى عشر مخرجاً هم: العينين والاذنين والمنخرين والفم والثديين والسرة والسبيلان مقابل البروج الاثنى عشر وثلاثة منهم مسدودة بالمناطق الثلاثة ثم ان للانسان سبعا اعضاء رئيسية وهي: الطحال معدن الهم، والفم والشم، والسودا مقابل زحل والكبد معدن السرور والخير والحمرة مقابل المشتري والقلب معدن الشجاعة مقابل المريخ والدماغ معدن التدبير والعقل والوقار مقابل الشمس، والكليتان معدن الشهوة مقابل الزهرة، والمرارة معدن المكر والخديعة مقابل عطارد، والرئة معدن التنفس وسرعة الحركة مقابل القمر، والامعاء ملتفة بهذه الاعضاء كالتفاف التنين بهذه الكواكب، وقوام الانسان بالقوة بالجسد والروح، كذلك قوام دوران الافلاك بالقطبين. ثم ان الانسان بالقوة على ثلاث قطع: اولها الرأس الى العنق، وهو مقابل العالم الروحاني، لان فيه معادن الوقار والعقل والخير والدراية والبصر والسمع ومعرفة المذاقات والالوان والطعوم والكلام والنطق، وليس للبشر اثبات بلا رأس كذلك ليس للعالمين الجرماني والجسماني اثبات بلا العالم الروحاني، وان اول ما يخرج من المولود الى الدنيا رأسه، وهذا يدل على ان اول شيء ابدعه الله عزّ شأنه العالم الروحاني، ومن العنق الى الكشح دليل على العالم الجرماني الذي هو الواسطة بين الروحاني والجسداني، كذلك الظهر والبطن واسطة بين الرأس والدبر، وكما ان الاعضاء الرئيسية السبعة في الظهر والبطن كذلك النجوم السبعة في العالم الجرماني، وكما ان الظهر والبطن من المولود

يخرج الى الدنيا بعد الرأس، كذلك جعل الله العالم الجرماني بعد العالم الروحاني، ومن الكشح الى القدمين دليل على العالم الجسداني، لان فيه الغائط والبول والالم والاسقام، والكون والفساد في هذا العالم الجسداني متصلة غير زائلة، والانسان اذا قطعت رجله يحيا ولا يموت، ولهذا فان العالم الروحاني مستغنٍ عن العالم الجسداني. وآخر شيء يخرج من المولود الى الدنيا رجلاه وهذا دليل على ان تولد العالم الجسماني من العالم الروحاني بواسطة الجرماني. ومن هنا فان الله خلق المفيد والمستفيد لقوة الصورة الروحانية، ثم خلق المعطي والقابل لقوة الصورة الجسمانية، ولمّا كانت اثار جميع العالم والمواليد مجموعة في البشر بوقوفه على جميع علومها وكيفياتها بالطلب والتعلم، وباغتذائه من متفرقات هذا العالم السفلي فهو اذن يتغذّى ممّا فيها. الاّ ترى ان الانسان يتغذّى من زرع بلده وغير بلده، ويحتاج مع هذا الى ما به حاجة من الادوية والعقاقير وغير ذلك ممّا يحمل من بلدان نائية وآفاق شاسعة، وأقطار بعيدة، امّا معدنياً وامّا نباتياً او حيوانياً او غير ذلك، فلمّا اغتذى بذلك اجتمعت فيه النطفة فتولدت منها هذه الصورة الجسمانية، فهي اذن من جميع العالم، وكانت اثاراً وأجزاءً لا كلاً. فلمّا نشأت الصورة تمّت تلك الآثار والأجزاء ومعها من كل جزء منها الى معدنه وموضعه بالطبع فصار البشر كذلك يحب السفر والتنزه في البلدان الشاسعة والدانية، واذا سمع بصفة بلد بعيدة او قريبة اشتاقت نفسه الى رؤيتها والوقوف عليها والقصد نحوها.

ومن هنا قيل ان موت الانسان يكون حيث وقع عنه ترابه، وان البهائم لا تحب السفر لأنها لا تأكل من متفرقات هذا العالم شيئاً، وممّا يؤكد هذا ان الانسان يحب مولده ومسقط رأسه، وان كان وعراً اكثر من حبه لسائر بلدان النزهة الرخيّة، لأنّ اجزاءه وآثاره الأكثر والأعم حيث ولد فيه. ولهذا قالت الحكماء: لولا حب المولود الأوطان لخربت الدنيا، وممّا يؤكد قولنا انّ الانسان لا يقنع بالقليل لانه لم يكن من القليل، ويطلب الكثير

لانه نشأ من الكثير فصار هو العالم كله، وبهذا يكون ملك العالم كله لانه من العالم كله. وهنا نبين احد تأويلات قوله تعالى:

﴿تسبّحُ له السموات السبع والارض ومن فيهنّ، وانّ من شيءٍ الاّ يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم انه كان حليماً غفوراً﴾.

ان جميع الاشياء التي تقدمت البشر من الاصول والافلاك والامهات والمواليد والحيوان الخرس والاغذية قد اجتمعت كلها في الانس بالقوة، فاذا سبّح الله وعبده حق عبادته فقد سبّح الله وعبده. وقد قال بعض الحكماء:

«اعلم وفقك الله ان الروح لا تزيد على مرور الايام عليها الاّ شرفاً وفضلاً فالقالب ينشأ على ترتيب المعادن والنبات والبهائم، ثم يتلاشى على هذا الترتيب. وذلك ان المعادن هي اسفل المواليد مواتاً لا روح لها. كذلك النطفة التي منها تولّد القالب موات لا حياة لها بمقابلة المعادن، ثم اذا خرج المولود من بطن الام ونما وزاد على مرور الايام عليه مقابل النبات، وكذلك امر في الظاهر بارتباطه في المهد لان المهد نباتي ثم لا يتكلم بل يصوّت ويتحرك تشبهاً بالحيوان الخرس. ثم يستفيد القوة الناطقة، فحينئذٍ يصل الى مرتبة الانسان بالقوة، ثم اذا اراد قالبه ان يفسد يرجع القهقري الى اسفل المتولدات، وذلك انه عند النزاع لا ينطق ولا يطيق ان يتكلم بل يتحرك تشبهاً بالحيوان الخرس ثم يحمل على الالواح وهي نباتية مقابل المهد ثم يدفن فيصير مثل المعادن.

ويستوي ايضاً قياس نشوء القالب على ترتيب الامهات الاربع، وذلك ان طبع المولود اول ما يولد يكون مائياً بلغميّاً فاذا بلغ سنين يصير هوائياً دموياً، فاذا استوت لحيته يصير ناريّاً صفراويّاً، فاذا صار كهلاً يصير ترابياً سوادياً، فاذا صار خرفاً رجع الى طبع الأطفال وصار دائرة على وجه آخر، لان جسم المولود من التراب، فاذا ولد يغسل في تلك الساعة مقابل الماء ثم يتنفس مقابل الهواء، ثم اذا بلغ الأكل والاشياء المطبوخة

مقابل النار، ثم اذا اراد ان يفسد قالبه يرجع القهقري الى اسفل الامهات، وذلك انه عند النزاع يتنفس مقابل الهواء، ثم اذا مات يغسل مقابل الماء، ثم يقبر فيصير تراباً مقابل الارض، وهذه حال القوالب، فامّا حال الارواح، فامّا ان تكون مهملة او معاقبة او مثابة كما وصفنا.

فان سأل سائل وقال قائل: لمَ قلت ان كل واحد منهما دون الملائكة على ثلاثة انواع لا يقبل النوعان الاسفلان منه التأثيرات، ويقبله النوع الاعلى، وان الملائكة على نوع واحد في قبول التأثير وكذلك اهل الجنة على نوع واحد في قبول التأثيرات؟ قلنا:

ان المواليد التي هي دون الملائكة ليست في حد النفخ في الصور وجب ان يكونوا متفاوتين في عدم التأثيرات ووجودها، فامّا الملائكة فانهم في حد النفخة الواحدة، واهل الجنة في حد النفختين اللتين اجراهما عليهم والنفخة الثانية في الصور يجب الاّ يكونوا متفاوتين في عدم التأثيرات ووجودها لانهم لو كانوا متفاوتين في ذلك لم يكن للنفخ فائدة ولا معنى الاّ انهم قبل النفخ متفاوتون في قبول التأييد والقوة العالمة، وآثار الكلمة على قدر تهيئتهم وطاقتهم، وانمّا سميته نفخ التأييد لان كل من دون الملائكة ممن اثرت فيه القوة القدسية يسمّى مؤيداً، فلمّا صارت هي الروح للذين اجرى الله عليهم احدى النفختين سميناه نفخ التأييد.

وان قال قائل: لمَ اوجب انتقال الصورة الكثيفة الجسمانية من المواليد الى الصورة اللطيفة الروحانية في الدرجة الخامسة؟ قلنا:

ان الصورة الكثيفة من المتولدات لم تتصور الاّ بعد اجتماع الطبائع الأربع التي هي الحرارة واليبوسة والبرودة والرطوبة فيها، فلو كان فيها شيء من هذه الطبائع الأربع معدوماً لما كانت تتصور بالصورة الجسمانية، ولا كان لصورتها قوام ولا بقاء كذلك الصورة اللطيفة لم تتصور الاّ بعد اجتماع الارواح الاربعة التي هي النامية والحسية والناطقة والعاقلة فيها، فلو كان فيها شيء من هذه الارواح الاربع معدوماً لما كان يمكنها التصور

بالصورة اللطيفة، ولا كان لها قوام ولا دوام، وذلك ان المعادن لمّا لم يكن فيها من الارواح الأربع شيء لم تتصور بالصورة الروحانية، وان النبات، لمّا كانت احد الأرواح لم يتصور ايضاً بالصورة الروحانية والحيوان الخرس لمّا اجتمعت فيه الروحان، وعجز عن قبول الروحين الباقين، لم يمكنه التصور بالصورة الروحانية، والبشر لما اجتمعت فيه الارواح الثلاثة، ولم يمكنه قبول الروح الرابعة عجز عن التصور بالصورة. الروحانية، والأحياء العاقلة لما اجتمعت فيهم الارواح الأربع تصورت بالصورة اللطيفة الروحانية، كما اجتمعت الطبائع الأربع في اول المتولدات التي هي المعادن، فتصورت بالصورة الجسمانية، والتراب من الصورة الجسمانية كالقوة النامية في الصورة الروحانية، والماء، من الصورة الجسمانية كالروح الحسيّة من الصورة الروحانية، والهواء من الصورة الجسمانية كالروح الناطقة من الصورة الروحانية، والنار من الصورة الجسمانية كالروح العاقلة من الصورة الروحانية. ومن هنا قالت الحكماء:

ان المؤيد يمكنه مفارقة قالبه متى شاء، ولا يتعسر عليه ذلك، لان الروح الأربع قد اجتمعت فيه وتصورت بالصورة الروحانية النامية التي هي صورة الجن بالفعل في قالبه، فهو اذاً بالخيار ان شاء اقام في هذا العالم ويتم شريعته وتأليفها ان كان ناطقاً او يكملها اذا ما اوجب الله عليه ادائه من حفظ الشرائع وتأويلها ان كان وصيّاً او اماماً، وان شاء ترك القالب وارتفع الى العالم العلوي. ولذلك قال النبي (ﷺ) قبل موته:

« ان الله خيرني من ان يخرجني من بين ظهرانيكم، وبين ان يؤخر وفاتي الى يوم القيامة فاخترت الخروج على التأخير ».

ثم ان الصورة الروحانية اذا جاوزت في القالب من حد الجن بالفعل الى حد الملائكة بالفعل فلا يتهيأ للقالب ضبطها وامساكها فهو يفارقه لعجزه عن ضبطها ان شاء او ابى، والدليل على ذلك ترك القائم قالبه ومصيره الى الفلك الروحاني حيث لم يتهيأ للقالب ضبطه لعظم صورته بالروحانية

وجلالها وشرفها اذا كان اراد ان يجاوز مراتب الملائكة بالفعل، واهل الجنة ولم يمكنه ذلك وهو متشبث بالقالب ففارقه لهذه العلة، ومما يزيد قولنا تأكيداً ان احداً من النطقاء لم يترك قالبه الاّ بعد ان اكمل تأليف شريعته واتمّ مصالح امته غير عيسى، فانه خرج من هذا العالم السفلي قبل اكمال شريعته واتمامها لوصول صورته الروحانية في القالب الى درجة الملائكة بالفعل، وعجز قالبه عن ضبطه وامساكه.

ومن هنا قيل في ظاهر الامر: ان الله تعالى رفعه الى السماء من المنزل الذي كان قد توارى فيه خوفاً من اليهود، ومن ان تصل ايديهم اليه، وانّ اليهود لمّا هجموا على ذلك المنزل وجدوا قالبه فصلبوه.. لهذا قال الله تعالى:

﴿وقولهم انّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، وما قتلوه، وما صلبوه، ولكن شبه لهم، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الاّ اتباع الظن، وما قتلوه يقيناً﴾.

يعني انهم وجدوه ميتاً، لان القتل هو ايصال الالم الى المقتول. ووجه آخر من تأويل هذه الآية: وما قتلوه وما صلبوه اي ما قتلوا المسيح وما صلبوه، والمسيح اسم لصورته الروحانية لانها مسحت عن الجسد الطبيعي اللحماني ونـزعـت عنـه، وعيسى اسم لصـورتـه الطبيعيـة الجسمانيـة، وانّ «العيس» في اللغة هي الأبل والأبل من الدرجات الطبيعية لا من الدرجات النفسانية. وقد ذكر الله في هذه الآية اسم لصورته الروحانية واسم لصورته الجسمانية، ثم لم يوقع القتل على احد الأسمين في قوله وما قتلوه وما صلبوه، ولم يقل وما قتلوهما وما صلبوهما... ثم قال: ولكن شبّه لهم.. يعني ظنوا ان المسيح هو هذا الجسد الكثيف المصلوب، فاشتبه عليهم الامر، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الاّ اتباع الظن يعني ما يعلمون ان صورته الروحانية قد وصلت الى معدنها من العالم الروحاني، وما قتلوه يقيناً، ففي ظاهر هذا اللفظ يصح انهم ظفروا بقالب

المسيح لانها توري انهم ظفروا ببعض منه فصلبوه، وهو الصورة الجسمانية ولم يظفروا بالبعض الآخر، ففاتهم وهو الصورة الروحانية، وهذا معنى قوله: وما قتلوه يقيناً اي بين الشك واليقين، بل رفعه الله اليه، اي رفع الله صورته الروحانية الى الجنة في جوار الأصلين.

ومّما يزيد قولنا تأكيداً قول الله تعالى:

﴿اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ ومطهرك من الذين كفروا، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة، ثم اليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾.

المعنى مميت صورته الجسمانية قبل وقوع القتل عليها، ووجود الالم ورافعك اليّ يعني صورته الروحانية، وربما يدعي مدعي ان الله رفع المسيح مع صورته الجسمانية الى السماء... فلهذا نقول:

ان اجماع اعداء عيسى الذين هم اليهود وأوليائه الذين هم النصارى على قتله.. وقول الله انه اماته بقوله: اني متوفيك واقرار عيسى بذلك حيث يقول:

﴿ما قلتُ لهم الاّ ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلمّا توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد﴾.

وهذا معناه ان جثة عيسى ليست في السماء ولا رفع جسمه وقالبه الى العالم العلوي، ثم اجماع المسلمين على حياته وانه رافعه الى السماء يدل على ان الله رفع صورته الروحانية الى العالم العلوي.

ونعود الى ما كنا فيه من ذكر المتولدات فنقول:

انّا لمّا رأينا توليد المواليد الجسمانية مع الطبائع الاربعة بعد المعادن، وان كانت الطبائع الاربعة موجودة في المعادن وجب بذلك توليد المواليد الروحانية من الأرواح الاربع الموجودة في الاحياء العاقلة، وكما ان المواليد

الجسمانية الكثيفة المتولدة بعد المعادن ثلاثة اصناف: اولها النبات وهو افضل من المعادن لقوته النامية، والثاني الحيوان الخرس وهو افضل من النبات لروحه الحسيَّة، والثالث البشر وهو افضل من الحيوان الخرس لروحه الناطقة. كذلك المواليد الروحانية البسيطة المتولدة بعد الأحياء العاقلة ثلاثة اصناف: اولها الملائكة بالفعل وهم افضل من الاحياء العاقلة لارواحهم القدسية، والثاني اهل الجنة وهم افضل من الملائكة بالفعل لارواحهم العالمة، والثالث القائم وهو افضل من اهل الجنة كلهم لاتحاده بالنفس، حتى صارت دائرة ثالثة، وبهذه الدائرة تأويل خطير ولا يتهيأ بيانه في هذا الكتاب.

واني الآن اقيس على واحدة من الارواح على الامهات الأربع قياساً مجازياً لا حقيقياً، واريد بذلك تقريبها الى افهام الباحثين. فأقول:

انه لا بد لكل واحد من هذه الأرواح الأربع التي لا يخلو منها شيء من الاشياء، ولم نجد شيئاً نقيس هذه الأرواح عليه اقرب الينا من اصول هذا العالم الجسداني - وهي الامهات الأربع التي اسفلها التراب - اعني الارض وهي باردة يابسة، ثم الماء وهو اعلى من الارض وألطف وهو بارد رطب، فالبرودة وافقت الأرض وصارت لاحقاً لها من الجانب السفلي، وبالرطوبة وافق الهواء وصار ملاحقاً له من الجانب العلوي، ثم الهواء اعلى من الماء وألطف وهو حار رطب، فبالرطوبة وافق الماء وصار ملاحقاً له من الجانب السفلي، وبالحرارة وافق النار وصار ملاحقاً له من الجانب العلوي، ثم ان النار اعلا من الهواء وهي حارة يابسة فبالحرارة وافقت الهواء وصارت ملاحقاً له من الجانب السفلي، وباليبوسة وافقت التراب وصارت ملاحقة له من الجانب العلوي، فرجعت اليه، وصارت دائرة متصلة اعلاها بأسفلها، واسفلها باعلاها. ونقول:

ان المعادن موات ليس فيها من الارواح شيء، قوامها من التراب والماء والهواء والنار، وقوام. النبات من القوة النامية، وانها على اربع مراتب

اسفلها وأقلها في الحشيش وهو مقابل الارض، وثانيها في الحيوان وهو مقابل الماء، وثالثها في الاشجار وهي مقابل الهواء ورابعها في البهائم والسباع وهي مقابل النار وليس للامهات مجاز لان النار راجعة الى التراب بيبوستها وصارت دائرة، فلذلك تهيأ للبهائم استفادة الروح الحسيَّة، اذن فهم من جهة قوتهم النامية مقابل النار، ومن جهة ارواحهم الحسيَّة مقابل التراب، وقوام الحيوان الخرس بالروح الحسيَّة وهي ايضاً على اربع مراتب:

اسفلها وأقلها في البهائم والسباع وهي مقابل التراب، ولذلك قلنا: ان البهائم والسباع ترابية، وثانيها في السبَّاحات وهي مقابل الهواء لان عيشهم في الماء، وثالثها في الطيور وهي مقابل الهواء، ورابعها في الاطفال والمجانين وبعض القشرية المهملين وهي مقابل النار، وليس للامهات بعد النار مجاز، فلذلك امكن الاطفال والمجانين والقشرية المهملين استفادت الروح الناطقة، فهم اذن من جهة ارواحهم الحسيَّة مقابل النار، ومن جهة ارواحهم الناطقة مقابل التراب، وقوام البشر بالروح الناطقة وهي ايضاً على اربع مراتب: اسفلها وأقلها في الاطفال وبعض القشرية المهملين وهي مقابل التراب فلذلك قلنا: ان التراب دليل على البهائم، وثانيها في المستجيبين والمأذونين والاجنحة الذين هم جن بالقوة، وفي اضدادهم القشرية الذين هم شياطين بالقوة، فلذلك كلفوا بطلب التأويل، لانه تعالى لا يكلف نفساً الاَّ وسعها، وهي مقابلة الماء، وثالثها في اللواحق، وفي اضدادهم المرتدين والفلاسفة وفقهاء القشرية الذين هم ابالسة بالقوة، وهي مقابل الهواء، ورابعها في الائمة وفي اضدادهم الشياطين بالفعل وفي مقابل النار، وليس للامهات من النار مجاز، فلذلك تهيأ للائمة ولأضدادهم الشياطين بالفعل استفادت الروح العاقلة، فهم اذن من جهة ارواحهم الناطقة مقابل النار، ومن جهة ارواحهم العاقلة مقابل التراب، لان بين الائمة والشياطين بالفعل تفاوت كثير في قبول الارواح العاقلة كتفاوت اهل

الظاهر بين ذوي ارواح اهل الآخرة في قبولها، وذلك ان الشياطين بالفعل ليسوا بواقفين على العلوم الروحانية الالهية كما وقف عليها الامام، فلذلك عجزوا عن استفادت الاثر من الروح القدسية، وصاروا معاقبين، ولم يعجز الامام عن ذلك وصار مثاباً، وقوام اصحاب الدرجة الخامسة بالروح العاقلة، وهي ايضاً على اربع درجات اسفلها وأقلها في الامام وهي مقابل التراب ولذلك لم يفاتح الامام الناس الاّ من جهة الظاهر، لان التراب دليل على الظاهر وان الامام لا يعجز عن قبول الاثر من الروح القدسية لوقوفه على العلوم الالهية في الدنيا والآخرة جميعاً ، وعجز ضده الشيطان بالفعل الذي مرتبته من الروح العاقلة عن قبوله، لعجزه في الدنيا عن قبول العلوم الربانية. واشتغاله بعلم الظاهر، ولذلك كانت روحه العاقلة مقابل التراب، لان التراب دليل على الظاهـر، والدرجـة الثـانيـة مـن الروح العـاقلـة في الاساس، وفي ضده ابليس بالفعل، وهي مقابل الماء، والماء دليل على العلم، فلذلك فاتح الأساس الناس بالعلم والتأويل، ووقع اسم الابالسة على الفلاسفة الذين اقتصروا بالعلم دون العمل. ومن هنا عجز الابليس بالفعل عن قبول الاثر من الروح القدسية وصار معاقباً، ولم يعجز الاساس عن قبوله وصار مثاباً، وكما ان المرتدين والفلاسفة هم الابالسة بالقوة كذلك هم اضداد الاساس بالقوة وكما ان القشرية هم الشياطين بالقوة كذلك هم اضداد الائمة بالقوة، ولولا التباس هذا على الموقنين لاجريناها مستوفية لاخفاء فيها.

والدرجة الثالثة من الروح العاقلة في النطقاء، وفي الجن بالفعل وهي مقابل الهواء، وان الروح العاقلة لمّا اتحدّت بالنطقاء وباشكالهم الذين هم الجن بالفعل، ووقفوا على العلوم الالهية الربانيّة تهيأ لهم بذلك قبول الاثر من الروح القدسية.

والدرجة الرابعة من الروح العاقلة في الملائكة بالفعل الذين هم في اعلى السماء السابعة وهي مقابل النار، وليس للامهات بعد النار مجاز، فلذلك تهيأ

للملائكة بالفعل استفادة الروح القدسية فهم اذا من جهة ارواحهم العاقلة مقابل النار ومن جهة ارواحهم القدسية مقابل التراب. وقوام الملائكة بالفعل بالروح القدسية وهي ايضاً على اربع درج اسفلها وأقلها في الملائكة بالفعل الذين هم بين السماء السابعة وبين فلك البروج وهي مقابل التراب، والدرجة الثانية في الملائكة بالفعل الذين هم بين البروج وبين فلك المستقيم وهي مقابل الماء، والدرجة الثالثة في الملائكة بالفعل الذين هم في الحركة الوهمية وهم الملائكة المقربون، وهي مقابل الهواء فهذه الامكنة التي بيناها للملائكة بالفعل انما بيناها على تقدير فضائلهم على من دونهم في الأوهام وتقريبها الى الافهام بمعنى انهم محتاجون الى تفريغ مكان، وتشغيل آخر، لان الصورة البسيطة الروحانية لا تشغل مكان ولا تحتاج اليه بل انما ذلك من صفات صور الكثائف،والدرجة الرابعة من الروح القدسية في اهل الجنة الذين هم الانس بالفعل، وهي مقابل النار، وليس للامهات من النار مجاز، فلذلك تهيأ للانس بالفعل استفادة الروح العالمة، فهم اذاً من جهة ارواحهم القدسية مقابل النار، ومن جهة ارواحهم العالمة مقابل التراب، وقوام الانس بالفعل الذين هم اهل الجنة بالروح العالمة وهي ايضاً على اربع مراتب اسفلها وأقلها في المستجيبين والمأذونين والدعاة اذا صاروا انساً بالفعل على تفاوت بمقدار كل واحد منهم. لان التفاوت موجود في كل مرتبة من مراتب قابلي الارواح التي بيناها من الروح النامية الى الروح العالمة وهي مقابل التراب، والمرتبة الثانية في اللواحق والائمة والخلفاء اذا صاروا انساً بالفعل على التفاوت بمقدار فعل كل واحد منهم على صاحبه وهي مقابل الماء، والمرتبة الثالثة في الاسس اذا صاروا انساناً بالفعل على التفاوت ايضاً وهي مقابل الهواء، والمرتبة الرابعة في اعلى عليين على التفاوت وهم النطقاء اذا صاروا انساً بالفعل وهي مقابل النار. وهنا نبين قوله تعالى:

﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي، وما اوتيتم من العلم الاّ قليلاً﴾ .

والمعنى «ما اوتيتم من العلم الاّ قليلاً» هي الروح العالمة الاّ قليلاً اي الاشياء قليلاً نزراً من آثارها حتى امكنكم بذلك الاثر الوقوف على العلوم التي بين ظهرانيكم مثل علم الطب والهندسة والنجوم والفلسفة والصناعات وعلم الشرائع والتأويل، وما اشبه ذلك. وانّما قلنا: من اثار اثار اثار اثارها، لان الروح العالمة التي هي النور الحق اثر في القدسية، والقدسية اثرٌ في العاقلة، والعاقلة اثرِ في الناطقة التي هي روح البشر، فثبت بذلك ان العلوم التي هي فيما بين البشر من اثار اثار اثار الروح العالمة، وهذه المراتب كلها مبينة في كتاب «البرهان» وهو منقول على الحقائق.

اذن فالديانات والمذاهب منقسمة على ثلاث اقسام احدها الظاهر كقشر البيض وهو مقابل الاجسام، وكما ان الاجسام مختلفة على انواع كثيرة لا يحصى عددها حتى كان منها اجسام موات ومنها اجسام نيام ومنها اجسام احياء مهملون، ومنها اجسام احياء مكلفون، كذلك الاختلافات موجودة في الظاهر بحسب ما بيناه في اول كتابنا هذا.

امّا الثاني الممتزج كبياض البيض وهو مقابل الأرواح، فكما ان الارواح مختلفة لا تشبه بعضها بعضاً مثل النامية والحسيّة والناطقة والعاقلة والقدسية والعالمة حتى كان منها ارواح غير مكلفة كذلك الاختلافات موجودة في الممتزج مثل الاختلافات الموجودة بين الفرق الاسلامية وخاصة الذين يدعون انهم باطنيون.

والثالث كالمخ من البيض، وهو مقابل العقل، فكما ان العقل لا يختلف في نفسه اذا كان كل عاقلٍ في المشاهدة مكلف، وكل مكلف عاقل، ولم يكن كل جسم مكلف كما كان كل مكلف جسماً، وكذلك لم يكن كل حي مكلف، كما ان كل مكلف حي، كذلك علمنا انه لا يوجد في الباطن الحقيقي اختلاف البتة بوجه من الوجوه، اذ هو مقابل العقل الذي لا يوجد فيه اختلاف البتة، وكما ان الجسم الخالي من الروح ميت كذلك الظاهر الممتزج لا يبلى لانه جيفة، وكما ان الجسم الخالي من العقل مجنون

لايستاهل ان يكون متصرفا في اوامر ربه ونواهيه، كذلك الظاهري اي الواقف على الممتزج دون الحقيقة معاند مجنون لايستاهل ثواب ربه ورحمته، اذ الثواب تابع للتكليف وهو مقابل المجنون الذي ليس بمكلف، وكما ان الجسم الحي العاقل مستحق لتكليف ربه كذلك الظاهري الواقف على الممتزج والحقيقة مستاهل للوصول الى الثواب الابدي، والظاهري مسمع والممتزج بصري، والحقائق قلبي والواقف على الجميع مؤمن، وعلى الظاهر الممتزج دون الحقائق موقف. وعلى الظاهر دون الممتزج والحقائق مسلم. ولذلك قال الله تعالى:

﴿والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون﴾. ثم قال:

﴿ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾..

اذن وأورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهم امة محمد (ﷺ) فمنهم ظالم لنفسه وهم الظاهريون السمعيون ، ومنهم مقتصد اي الممتزجون البصريون، ومنهم سابق بالخيرات اي اصحاب الحقائق القلبيون... الآ ترى ان الله نفى هذه العلوم عمن ليس من امة محمد (ﷺ) فقال:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون﴾.

وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها الحقائق الايمانية، ولهم اعين لا يبصرون بها الى الممتزج الايقاني، ولهم آذان لا يسمعون بها الى الظاهر السمعي. واذا سأل الله عبده يوم القيامة فيسأله عن هذه العلوم الثلاثة وكذلك قال الله تعالى:

وكذلك قال الله تعالى:

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

فذكر هذه الاعضاء الثلاثة دون سائر الجوارح التي تقع منها الطاعات والمعاصي للعلة التي بيناها، واذا سأله تعالى فوجده ضابطاً لهذه العلوم الثلاثة عاقلاً عليها جازاه بثواب غير موصوف بهذه الدلالات الثلاثة. كما قال رسول الله (ﷺ) مردداً قول الله: ﴿اعددت لعبادي الصالحين﴾ ما لا عين رأت اي جزاء علمه الظاهري السمع والاسلامي، ولا خطر على قلب بشر اي جزاء علمه الحقيقي القلبي، وبهذا الثواب لكل من وصل الى هذه العلوم الثلاثة التي امر الله تعالى بالوقوف على جميعها حين قال:

﴿قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمعَ والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون، واذ تأذنَّ ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد﴾.

وقد وصف هنا الله نفسه بصفات ثلاثة دون ما يوجد من سائر صفات البشر مثل: الشامم والذائق واللامس فقال: انه سميع بصير عالم فلذلك اضاف وحي رسله الى هذه الجوارح الثلاثة دون غيرها، وامّا الذي اضافه الى السمع فقوله:

﴿فلمّا اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى﴾.

وامّا الذي اضافه الى البصر فقوله:

﴿ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى﴾.

والى هذه الاسماء الثلاثة نتيجة قوله:

﴿ما كان لبشرٍ ان يكلمه الله الاّ وحياً او من وراء حجاب او يرسل رسولاً فيوحي باذنه ما يشاء انه عليٌّ عظيم﴾.

وممّا يؤكد قولنا حديث الرسول (ﷺ):

« المريض مالك ثلث من ماله . » وقال:

« داووا مرضاكم بالصدقة » ، فالمريض الذي لا يملك الاّ ثلث ما له في الباطن هو المريض الروحاني الذي وقف على العلم السمعي دون العلمين الآخرين، والمريض الذي يحتاج الى مداواته بالصدقة وهو الذي ابلى من غلبته قليلاً ، فوقف على العلم الثاني الذي هو العلم البصري ، فيحتاج الى اداء الصدقة التي امر الله بها في قوله للمطيعين:

﴿اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يديّ نجواكم صدقة . . . الخ .﴾ .

وقوله:

﴿خذ من اموالهم صدقة . . .الخ﴾ .

وذلك حتى يتهيأ له الوقوف على العلم الثالث الذي هو علم الحقائق القلبي ، فيكون صحيحاً مالكاً لجميع ماله ، اي على جميع العلوم الثلاثة . فالسيف اذاً سبباً لعلم الظاهر السمعي الاسلامي ، والعهد سبباً للعلم الممتزج البصري الايقاني ، والصدقة سبب العلم الباطني القلبي الحقائقي . فاذا تقرر هذا نقول:

ان هذا الكتاب ، وكتاب « بلينوس » وكتاب « المبادىء » مقوالات على الواسطات الممتزجات بين الممتزج البصري وبين الحقائقي القلبي ، كما ان كتاب « المقتبس » « والجامع » وما اشبهها مقوالات على الظاهر السمعي والممتزج البصري ، وكتاب « البرهان » « والميزان » « والكافي » « والحاصل » « والمحصول » مقوالات على ذوات الحقائق باعيانها ، فلذلك صارت هذه المراتب وغيرها ممّا يحتاج اليه الباحث مبرهنة فيها دون غيرها من الكتب .

الايمان ودرجاته:

عندما يسأل سائل عن الايمان ، ايمان الانس بالقوة ، والانس بالفعل هل هو متساوٍ او متقارب؟ نقول له:

لا بد لهذا الجواب من مقدمات نقربها الى افهام الباحثين، ونقررها في اوهام الطالبين، فنقول: بقوة الله ومنة اوليائه المانين علينا نحن جماعة المستجيبين:

ان المعاني هي الهويات الذاتيات التي يشار اليها بالوجود، والاسماء دالات على تلك المعاني باعيانها اي اسم واحد لمعنى واحد لا يجاوز ذلك وهي محمولة على المعاني التي هي الهويات والصفات محمولة على الاسماء التابعة لها مخبرة بافعال الهويات وجواهرها وايجابيتها وكيميائها وكيفياتها وسائر اغراضها فالاسم هو على فرس او حمار او ثور، لا يقع الاّ على نوع واحد من انواع الجسم فقط، اعني ان الفرس هو نوع واحد من انواع الحي الذي هو الجنس، وكذلك الثور والحمار، والصفة كالكاتب والطويل والأسود والغني وما يجري هذا المجرى من الصفات التي هي كثيرة لاحقة بالاسم محمولة عليه، فالاسم واحد لنوع واحد وشخص واحد، والصفة كثيرة لواحدة والواحدة لكثير اعني ان تقع الكتابة والطول والسواد على رجل واحد، وتقع الكتابة والطول والسواد وغير ذلك على كثير بالاشخاص ايضاً، فمن حدها انها واحدة لكثير، وكثير لواحدة، وانها مشتقة، وحد الاسم انه موضوع لواحد.

واذا قال قائل، انّا قد نجد اسماء كثيرة واقعة على واحد مثل الصخرة والقهر والحجر التي هي اسماء لمعنى واحد؟ قلنا:

ان الاسماء المترادفة وان اختلفت الفاظها من غير شقاق يوجد فيها، فانها في الحقيقة اسم واحد اذ لا تدل الاّ على معنى واحد فقط، وان وجب ان يكون ذلك كذلك، فلننظر الآن الى ما عرفناه من الاسماء التي قيل انها: اسماء الله تعالى... اهيَ الصفاة بالحقيقة ام اسماء..؟ فنقول:

ان هذه التسعة والتسعين اسماً انّما هي صفاة كلها ليس منها اي اسم

---

(١) هذه الكتب لم يعثر على اي منها حتى الآن... وهي من كتب «القرامطة».

حق، وذلك لان الصفات تكون مشتقة كثيرة لواحد، وواحد لكثير، ولما جاوزت هذه الاسماء، لان الاسماء من واحد، وكانت مشتقة، علمنا انها صفات الاسماء، لان الاسم يكون مشتقاً ولا يجاوز الواحد. ومن هنا قال رسول الله (ﷺ):

«انَّ لله اسماء تكملة المائة لا يعلمها احد الاَّ فتح به كل مغلق ويسّر كل صعب».

ولنشرح الآن بعض ما قلناه بان هذه التسعة والتسعين صفاة كلها، لانّا وجدنا القرآن يدل على اسم مستور عنَّا، فالله تعالى امرنا ان نبدأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فلو كان له اسماً لما قال بسم الله، بل كان يقول بالله... هذا من طريق اللغة، فانه لا يجوز ان يقول باسم الانسان الاَّ والاسم مضمر تحته: زيد وخالد ومحمد، فلم يقل هنا بسم الله والاسم مضمر تحته بين الله والاسم ايضاً فقد قلنا: ان الاسم هو الذي لا اشتقاق له، والصفات هي التي لها اشتقاقات، فالاسم مثل جبل وصخر وفرس وحمار، والصفة مثل الكاتب والطويل والقائم، وليس للصخر والجبل اشتقاق، وللكاتب والطويل اشتقاق من اسم قبله، يعني الكاتب من الكتابة والطويل من الطول والكتابة والطول مصادر لا اسماء ولا صفات، ومنها تصدر الاسماء التي هي بالحقيقة صفات لا اسماء لان الاسماء المشتقة منها هي الكاتب والطويل والغني وما اشبهها، وهي صفات محمولة على اسم الانسان الذي هو زيد وخالد، فالمعنى هو الهوية قبل الاسم، والاسم محمول على المعنى، والصفة محمولة على الاسم لكن بين الاسم والصفة جوهر منه صدرت الصفة اعني ان الكتابة قبل الكاتب والطول قبل الطويل والسواد قبل الاسود، وليس بين الاسم والمعنى الذي هو الهوية جوهر صدر الاسم منه، لانه ليس بين معنى الجبل الذي هو الهوية وبين الجبل الذي هو الاسم جبلية صدر منها الجبل يدل هذا الحال على ان الاسم للمعنى ليس بينهما واسطة، وان بين الاسم وبين الصفة واسطة صدرت الصفة منها وهي المصدر، وان

هذه الصفات على نوعين: احداهما صفات الفعل وهي الصفات التي يوصف بها الله في شيء دون شيء، وهو مثل قولك: متكلم ومريد وخالق وغافر. فيجوز ان يقول: كلّم موسى، ولم يكلم فرعون، فأراد اليسر ولم يرد العسر، وغفر لمحمد ولم يغفر لأبي جهل، وخلق الانسان ولم يخلق افعاله. والنوع الآخر: هو صفات الذات وهي الصفات التي لا يجوز ان توصف الله بها في شيء دون شيء وهو مثل قولك: عالم وقادر فانه لا يجوز ان تقول علمّ موسى ولم يعلمّ فرعون، كما جاز ان يكلم موسى ولم يكلم فرعون، وكذلك لا يجوز ان يقول قدّر عليّ كذا ولم يقدر عليّ كذا. ونقول:

ان اسفل الصفات صفاة الفعل مثل الغافر والخالق ثم صفاة الذات مثل العالم وفوقها المصدر الذي هو العلم والالهية، وفوق الالهية الاسم والاسم للمعنى لا محال والمعنى هو الهوية، فالاسم اذاً محمول على تلك الهوية، والجوهر الذي هو الالهية بعد الاسم، وفوق الصفة، والصفة التي هي الله مشتقة من ذلك الالهية التي هي الجوهر، وباقي الصفات تتبع لهذه الصفة الواحدة التي هي الله. مثال ذلك ان هوية الانسان هي الحاملة للاسم الذي هو زيد وخالد، فزيد هو اسم الهوية، والكتابة جوهر يصير به الانسان كاتباً، فالكتابة قبل الكاتب، وزيد قبل الكتابة لان زيد ولا كتابة ولا كاتب او كتابة وكاتب مقابل فصل بينهما، فالمعنى هوية زيد والاسم والكاتب صفة زيد والكتابة جوهر مالزم زيد به اسم الكتابة لان الهوية المعنى وهي فوق حدنا وحد كل مخلوق من الروحاني والجسماني،ولا اطلاع عليها لأحد من المخلوقين بحيلة من الحيل والاسم لازم ذلك المعنى ولا يعرف ولا سمعنا به الا انه قيل لنا ان الله اسماً عظيماً يفتح به كل مغلق ويدل به كل صعب، والجوهر الذي اشتقت منه الصفة هو العلة التي ظهر منها كل معلول وهي دون الاسم وفوق الصفة، فاول الصفات هو الله مشتق من ذلك الجوهر الذي هو العلة وهو الالهية، وهو الخلق الاول الذي هو القلم ثم تطرد الصفات الى ان يتبع هذه الصفة على معاني الحدود حتى

ينتهي الى الآخر الذي لا حد له، فمقدارنا الذي نحن فيه اليوم هو هذه الصفات التي حصلت لنا بمنزلة الاسامي ومقدار الرسل انهم قد اتصلوا بالاسم الحق كما قيل في الاخبار انهم كانوا يعرفون الاسم الاعظم، وكما امر الله ورسوله في قوله:

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾.

كذلك الجن بالفعل قد اتصلوا بالاسم كما اتصلت به الرسل لانهم قد بلغوا في الدنيا في قوالبهم الى مرتبة الانس بالقوة ثم اجتازوا الى درجة الجن بالفعل، الى ان استحقوا النبوة والرسالة فقد ثبت بما بيّناه وجود خمس مراتب اسفلها صفاة الفعل ثم الذات ثم المصدر ثم الاسم ثم الهوية فنقول:

ان البهائم لا تعرف شيئاً من الصفة، والانسان بالقوة ينتقل الى درجة الجن بعد مفارقة القالب كتنقله عن صفات الذات فجعلت له بمنزلة الاسم، فاذا انتقلت الجن الى درجة الملائكة عند النفخة الاولى كشف لهم عن المصدر وجعل لهم بمنزلة الاسم، واذا انتقلت الملائكة عند النفخة الثانية الى الجنة التي هي الدرجة السابعة كشف لهم عن الاسم الحق المحض في حد الاشراق حيث يقول الله:

﴿وأشرقت الارض بنور ربها﴾.

فلا اطلاع لاحد من المخلوقين على الهوية بحيلة من الحيل فبهذا المقدار يعرف التفاوت فيما بين ايمان كل مستفيد، وان من نوره وتأويل الصعود الى السماء الذي هو الصعود الى العلم الملكوتي التأييدي عنى به ان كل من ايّد من عنده فقد علا الى الحد السامي في العلوم، واتمّا سمّينا هؤلاء الحدود اسماء الله وصفاته لانهم دالون الى التوحيد قائمون للدلالة الى تجريد الله تعالى، وحد الاسم هو ان يكون دليل على المسمّى وانه وضع لحاجة غيره لا لحاجة المسمّى به، لانه تعالى لا يحتاج الى الوقوف على اسمه، لكن الطالب له والمحتاج اليه يستدل عليه بالاسم والصفات هي مادون النفس من

جميع الحدود الروحانية والجسمانية. والصفات على نوعين: صفات الذات وصفاة الفعل، فصفات الذات هي الحدود الروحانية، وصفاة العقل هي الحدود الجسمانية، وصفاة الذات لا يراها الاّ الخواص، وصفاة الفعل يراها الخواص والعوام جميعاً، وهذا الموجود في الشاهد، وذلك لان صفات الذات على المجاز فيما بيّنا هي التي لا تفارق الموصوف كالعلم والجهل والقدرة والكرم والرحمة والرأفة وصفات الفعل هي التي لا تفارقه كالظلم والعدل وسفك الدم والقتل، وصفاة ذلك لا يراها الاّ خواص الملك وندماه، وصفاة فعله يراها الخواص والعوام جميعا كذلك الخواص الذين هم المؤيدين يعرفون الجسمانيين الذين هم صفاة الفعل والروحانيين الذين هم صفات الذات على الحقيقة، والعامة لا تعرف من المعاينة الاّ الحدود الجسمانية الذين هم صفاة العقل وقد قال تعالى:

﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

يعني ان هؤلاء الحدود الجسمانيين والروحانيين بمعرفتهم يصل المستجيب الى التوحيد. وبعد ذلك ذروا الذين يلحدون في اسمائه، يعني ارفضوا جميع من انكرها، او لأي الحدود التي عدل عنها، وكفر بها.

والمصدر هو النفس، وكما ان المصدر اشتقت الصفات كلها منه، كذلك من النفس تولدت الحدود الجسمانية والروحانية، وكما ان المصدر واسطة بين الاسم والصفات كذلك النفس واسطة بين العقل وبين سائر الحدود التي دونها، وكما ان العقل تام لا يزيد ولا ينقص. فالواحد الذي هو دليل عليه لا يزيد ولا ينقص، والمركز الذي هو مقابله لا يزيد ولا ينقص كذلك الاسم لا يزيد واحد ولا ينقص من واحد، وكما ان النفس داخلة في العمل، والاثنين الذي هو دليل عليها، والنقطة في الزيادة والنقصان، والنقطة الثانية التي هي اول نقط خط الدائرة داخلة في العمل، لان النقطة متولدة منها متصلة بها كذلك المصدر داخل في العمل، لان الصفات المشتقة منه متصلة به، فالنبات الذي هو فيه احد القوى السبع لا

يرى صفات الفعل ولا يعلمها، والحيوان الخرس يرى صفاة الفعل ولا يرى صفات الذات ولا يعلمها، ومن هنا شبّه الله القشرية بهم حيث قال:

﴿وان تدعوهم الى الهدى ولا يسمعوا ولا تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون، ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم الاّ كالانعام بل هم اضلُّ سبيلاً﴾.

لانهم لمسوا التنزيل وأقروه وعاينوه، ولكن عميت قلوبهم عن معرفة معانيه وتأويل ما تشابه منه، كما ان الانعام رأوا صفات الفعل وعميت قلوبهم عن معرفتها وقد ساواهم الله معهم حيث قال لهم: ﴿وان تدعوهم.. .الخ﴾.

فهم يرون الاشخاص ويسمعون الاصوات ولكنهم عاجزين عن معرفة ما في الشخص من المضار والمنافع كذلك القشرية يريدون القرآن ويقرأونه ولا يعرفون ما فيه من المنافع، واللبيَّة يعرفون ذلك جميعاً فلذلك اثبت الله لهم ما نفاه عن القشرية في قوله تعالى:

﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وأولوا الايدي والابصار﴾.

فدلّت هذه الآية على ان من خالف امر الله ليس بأولي الايدي والابصار لانه قد نفى عن القشرية ذلك بقوله تعالى:

﴿ان الذين تدعون من دون الله عبادٌ امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايدٍ يبطشون بها، ام لهم اعين يبصرون بها،ام لهم اذان يسمعون بها،قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون﴾.

فقد تبين بهذه الآية ان ليس له ارجل ولا ايدي ولا اعين ولا اذان فلو كان وصف ذلك بجوارح الجسد لكان كل من خالف امر الله بغير ايدي ولا ارجل، ولا اعين ولا اذن، ولم يكن ينالها الاّ اولى الألباب، ولكن عنى بما وصف به عبادة المصطفين لتهيئهم لقبول ما في العالم

العلوي، اذ المثاب بعد الموت لا يخلو من الايدي ولا الارجل والاعين والاذن الروحانية كما قدمنا ذكره، ولا تكن هذه الاشياء للمعاقب بعد الموت الاَّ منكوساً لا ينتفع بها بل يؤلم بذلك ويعذب به، والمستجيبون والمأذونون والاجنحة يـرون صفـاة الفعل الذيـن هـم الحدود الجسمانيـة، ويتصلون بها ويعلمونها ولا يرون سائر الصفات ويعرفونها، والمريدون والجن بالفعل يرون صفات الذات الذين هم الملائكة والصور التامة فيعلمونها ولا يرون المصدر الذي هو النفس ويعرفونـه ويتصلون بالاسم الحق الذي هو العقل بواسطة الملائكة والصور التامة والملائكة بالفعل يرون الصور التامة والمصدر الذي هو النفس ويعلمونه ولا يرون الاسم الحق الذي هو العقل ويعرفونه ويتصلون به بواسطة الصور التامة والمصدر والصور الروحانية التامة ترى المصدر التي هي النفس والاسم الحق الذي هو الفعل ويتصل بالاسم الحق بواسطة المصدر، فلو كان النبات يرى صفات الفعل لما كانت البهائم واسطة بينه وبين البشر، ولو كانت البهائم تعلم صفات الفعل كما تراها ما كان البشر واسطة بينها وبين المؤيدين والجن بالفعل، ولو كان البشر يرون سائر الصفات كما يعرفونها لما كان المؤيدون وسطاء بينهم وبين الملائكة الذين هم صفات الذات، ولو كان المؤيدون والجن بالفعل يرون المصدر كما يعرفونه لما كانت الملائكة والصور التامة وسطاء بينهم وبين المصدر، ولو كانت الملائكة بالفعل يرون الأسم الحق كما يعرفونه لما كانت الصور التامة والمصدر وسطاء بينهم وبين الاسم الحق، ولو كانت الصور التامة لا ترى الاسم الحق لما استحقت ان تسمَّى صوراً تامة بل كانت نواقص بعجزها عن رؤية المبدع التام.

وهذه صورة ما بيناه من الصفات والاسماء.

ان المصدر خلق من الاسم، كما ان الابن خلق من الأب، والمطر خلق من السحاب، وان الملائكة علمت الاسم عند رؤيتهم المصدر، كما يعلم الأب عند رؤيته الابن، والسحاب عند رؤيته المطر. فأمّا الاسم الحق فقد

العقل



المصدر
وهو النفس

وهو العقل
الكل الحق

صفات الجن
الذين هم الانس
والملائكة
بالعقل

مع فة
صفات الذات
الذين هم الملائكة
والعوالم التامة

مع فة
بالعقل والانسا
المصدر

مع فة
صفات الذين هم
العقل
المؤيدون

مع فة
المؤيدين
والجن بالعقل

مع فة
الملائكة
بالعقل

مع فة
المستجيبون
والمأذونون
والاجنحة

هذه صورة التو
لدات الجسمانية والروحا
نية وحظ كل واحد منهم من فوقه
من الايمان والمعرفة والاتصال بهم
ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم



الروحا
الحق وهو العقل

اتصا

المصدر
وهو النفس
وهو الحق العقل

مع فة
المصدر
الذي هو
الانسان بالعقل

الحدود
الجسمانية وهم
صفات العقل

مع فة
الحيوان
والانس
البشرية

انقطعت الأوهام فيما وراءه لانه ابدع لا من شيء، فالباري هو الذي ﴿لم يلد ولم يولد﴾ فلذلك لم يجز الصور التامة عند رؤية الاسم عرفان الباري تعالى، وان الاسم الحق نفسه عاجز عن معرفة الباري تعالى عجز الجسمانيين عن ذلك، فكيف يطيق من ورائه ان يعرف الباري وهو الذي تكلمنا عنه طويلاً، امّا الموجز:

فهو ان المصدر لمّا خلق من شيء وجب عند رؤيته عرفان الشيء. فان قال قائل... لِمَ قلت ان صفات الذات هم الحدود الروحانية، وصفات الفعل هم الحدود الجسمانية؟. قلنا:

لان صفاة الذات والموصوف بها اعلى من صفاة الفعل الموصوف بها، كما ان الروحانيين اعلى من الجسمانيين، وان صفاة العقل هم:

الحكماء الاربعة، وأوصياءهم الأربعة، والاسماء الثمانية والعشرون في ادوارهم الاربعة في كور الاقرار، ثم النطقاء الاربعة، واسسهم الاربعة، والاتماء الثمانية والعشرون في ادوارهم الاربعة في كور التعبد، ثم الناطقان، واساسهما، والاسماء الاربعة عشر في دوريهما وصاحب الكشف وأساسه، والخلفاء السبعة فيما بينهما في كور العلم، فجميع ذلك تسعة وتسعون حداً تصديقاً لقول الرسول (ﷺ):

« ان لله تسعة وتسعون اسماً من احصاها دخل الجنة» والمعنى من اقرَّ بها وعرفها دخل الجنة، فكل من خرج من هذا العالم السفلي صار من صفات الذات الذين لم نذكرهم هم احد وعشرين نفراً سرى الساقط لانهم مستورون عن اصحاب الرهائن، ووجه آخر وهو ان التسعة والتسعون الصفاة الذين بعضهم صفاة الفعل وبعضهم صفاة الذات. فصفات الذات هما: السابق والتالي وهما اسم الله واله والحروف العلوية السبعة والفروع الثلاثة والجنسان والاسماء السبعة وساعات الليل والنهار وأياديهم والجناح والنطقاء الخمسة لان احدهم قد عُدَّ مع بابه واسسهم الاربعة لان شيئاً لا يعد معهم، ولأنه لم يكن لآدم شريعة يحتاج الى تأويلها، والخلفاء السبعة

الذين هم خلفاء صاحب التأويل والملائكة الاثنى عشر الذين امرهم الله بالسجود لآدم وهم في الستر يتغيبون وبظهور القائم يظهرون، والقائم هو المتمم للجميع والقاضي لديون ابائه اجمعين. وهذه التسعة والتسعون حداً ذكرها الحكيم الصادق اعلى الله درجته في كتاب «المحصول». فذكر:

ان رسول الله (ﷺ) قال: «ان لله تسعة وتسعون اسماً من احصاها دخل الجنة».. يعني من عرفها وتولاها وأنزل كل حد منزلته استحق المفاتحة وابيح له التقلب في عالم الحقيقة في الدنيا ووجب له الثواب الجزيل في الآخرة، فان قال قائل.. فمن الموصوف بصفات الذات، ومن الموصوف بصفاة الفعل؟

قلنا له:

ان الموصوف بصفات الذات هو العقل الذي هو الاسم الحق، وذلك لانه الاول الذي لا جوهر له، ومنه ابدع، والاسم الذاتي لا انشقاق له والعالم الذي لا علم له منه علم، والقادر له منها والحي الذي لاحياة له منها حي، فهو اذاً الأول الذي ابدع لا من شيء، والقادر الذي قدر لا من شيء والحي الذي حيّ لا من شيء، اول بذاته واسم بذاته وعالم بذاته وقادر بذاته وحي بذاته، ولو لم يكن كذلك لكان محتاجاً الى علم به يعلم، والى قدرة بها يقدر والى حياة بها يحيا والى جوهر منه يبدع، ولو كان محتاجاً ما كان تاماً، واذ لم يكن تاماً لم يكن اول شيء ابدعه المبدع، وان الموصوف بصفاة العقل هو النفس لانها اخرجت جميع ما كان في حد القوة بما استفادته من مركزها الذي هو الفعل الى حد الفعل فهي اذن عالمة بعلم وقادرة بقدرة ومؤيدة بإرادة وان علمها وقدرها وارادتها هي القوة التي استفادتها من العقل، فعلمت بتلك القدرة، وكذلك سبيل سائر الصفات، وكذلك من دون النفس الروحانيين والجسمانيين يعلمون بعلم استفادة من غيرهم وبقدرة يعطيها اياهم غيرهم، ولذلك قال الله تعالى:

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾.

يعني ان كل من هو دون العقل فهو ذو علم، والعليم الذي ليس هو بذي علم هو العقل، فامّا الباري فلا يجوز ان يقال له فوق ولا تحت ولا دون ولا غير ذلك.

وان قال قائل... اخبرني عن افضل الصفاة واعلاها؟. قلنا:

افضل الصفاة واعلاها ما جمعها الله تعالى في ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وأفضل هذه الاسماء المجموعة فيها ما جمعها في قوله: لا اله الاّ الله، وتأويل لا اله الاّ الله... انها اربعة اشياء اسمان لطيفان خاصان وهما: الله واله، وكلمتان عاميتان وهما: لا والاّ احدهما نفي والآخر اثبات فالاسمان اللطيفان دليلان على العقل والنفس البسيطين الذين هما اصل العالمين السفلي والعلوي ومن فيهما، وذلك ان اسم الله الاعظم دليل على العقل الذي يدل على وحدانية الباري تبارك وتعالى، وكذلك قالت الحكماء: ان الاسم غير المسمّى، وان الكلمات الأربع في الشهادة... وان العقل لمّا ابدعه المبدع جمع في صورته الاصول الثلاثة التي هي النفس والناطق والصامت، وان حروف الله مقابل ركعات صلاة الفجر، وقد بينا تأويلها في صدر كتابنا هذا وفيه غنى عن اعادته.

وإله دليل على التالي، وهو ثلاث احرف مقابل فريضة صلاة المغرب.. اي ان الله جمع في صورتها الاصليين السفليين الذين هما الناطق والصامت، وهذان الاسمان سبعة احرف يعني ان الاصلين مجمع الحروف العلوية السبعة، وانّما كانت ركعات سنة صلاة الفجر قبل فريضتها وسنن سائر الصلوات بعد فرائضها ليكون ذلك دليلاً على انهما يدلان على اصلين من الاصول الاربعة، فلا يذهب علينا عددها عند الاصول، وسائر السنن ولائل على الفروع دون الاصول الاّ دليل على الناطق، وهي قطعتان مقابل السجدتين، الآ ان الله جمع في علومه علم الصامتة لا دليل على الصامت، وهي قطعة واحدة مقابل الركوع الآ ان الله لم يجمع فيه شيء من حدود غيره من هؤلاء الاصول الثلاثة وهاتان الكلمتان خمسة احرف اي انهما

يجمعان الامام واللاحق والجناح والمأذون والمستجيب، ولولا ان الكلمة لا تكون اقل من حرفين والاّ كانت دليل على الناطق حرفين، وعلى الصامت حرفاً واحداً، كما كانت دليل على العقل اربعة احرف وعلى النفس وهي ثلاثة احرف، فلمّا لم يكن الرسول قد اخرج حرفاً واحداً بدل الكلمة الواحدة، فقد جعل الدليل عند ذلك في القطعة دون الحروف، واجتهد فيها حتى تهيأ له تحصيل قطعة هي عند العوام حرفاً واحداً.

فهذه اربعة افراد زوج منها جامع العالم العلوي والسفلي، وهما الاصلان القلم واللوح وزوجاً جامع الازواج لهذا العالم السفلي وهي الناطق المستفيد علمه من عند الاصلين والصامت القابل منه بحسن صمته، وخضوعه على سبيل الروحانية لا بآدابه الجسدانية لقبول عام البشر خصوصية جارية بينهما ومثالها في مثل ذلك كمثل آدم وحواء حين خلق ادم من الارض وخلقت حواء منه، وانهما قد خصّا بذلك دون سائر البشر، وان احد كلمتي الشهادة هي مضافة الى احد الاسمين الذي هو الابتداء وهو قوله: لا اله فذلك دليل على الصامت في دار العمل، فمقامه مقام النفس في العالم العلوي، وان منه تكون ابتداء الشهادة، وقد اقيم للتأويل لينفي بحسن بيانه الالهية عن المخلوق، والمبدع الذين هما النفس والعقل، وان الكلمة الاخرى في الشهادة مضافة الى الاسم الانتهائي وهو معنى قوله:

وان تلك الانفس البسيطة بكفايتها عجزنا عنه، ولمّا عجزنا عنها علمنا انّا بصفتها بالقول المنطقي اعجز، ولمّا صحَّ عندنا عجزنا عن الوقوف على الانفس البسيطة بكفايتها وعن صفاتها بالقول المنطقي، ثبت بذلك عندنا: انّا بالوقوف على مبدعها، ووصف باريها اعجز، لكنّا لمّا راينا في المعقول المدرك قوة تامة ووجدنا انفسنا عاجزة عن الاتيان بمثلها، ثم وجدنا مفعولاً غير مدرك، وكان وجودنا اياه ليس بوجود وقوف على كيفيته بل وجود اثباته بما ظهر من افعاله المتقنة، فعلى ما ظهر من افعاله حكمنا على جلالته وعلوه عن الاحاطة به، لانَّ كل ما هو الطف فهو احوط على الاشياء من

الأكتف، ووجدنا المخلوق على ما وصفنا، والمبدع على ما ذكرنا.

فثبت لنا بالقول وبالوصف انهما منقطعان عن المبدع. فمبدع الاشياء لا من شيء لم يزل هو فقط ولا شيء معه، وهو الواحد الذي ليس بواحد الاعداد لأن واحد الاعداد يتكثر وهو لا يتكثر، ابدع بوحدته صورة العقل تكثرت بما انبعث منها وهو النفس، فظهرت الوان الصور من المنبعث منها على قدر ما فيها من طبقات الانوار فصارت تلك الطبقات صوراً كثيرة، وان الحكيم الصادق اعلى الله درجته قال في كتاب «المحصول» عند فراغه من القول في المبدع، واِمّا يتهيأ لنا هذا القول في المبدع بما منَّ علينا من اثاره المؤثرة فينا، من جهة العقل والنفس لا عن وقوف منّا على شيء، وهذا المقدار هو الذي اخرجنا من الفناء الى البقاء الابدي.

وقد اوردنا من القول في المبدع من باب الاثبات، ونفي الصفات ما فيه الكفاية للمسترشد خوفا من الوقوع في التشبيه والخروج منه الى التعطيل، اذ ان المعرفة المحضة هي الخروج من تشبيه ما ادخله النطقاء صلوات الله عليهم في مرموزات كلامهم، لمّا جعلوا كلامهم الروحاني جسمانياً تعطفاً منهم على اممهم لمعرفة ماهم عليه من العجز عن قبول الكلام البسيط ما لم يجعل اجسامنا مشاكلة لاجسامهم المركبة، ثم انهم نفوا عنه ما الصقوا به من التشبيه بالتأويل الصحيح، ومن لم ينل من اتباعهم التأويل، لا يعدو من احدى الحالتين: امّا ان يعتقد الامر على ما يجد من نص التنزيل من غير تأويل، ويتهيأ له بذلك دفع الصفات والايضاحات في محض التشبيه. لانه تعالى يقول في كتابه:

﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولمّا ياتهم تأويله، كذلك كذَّب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾.

فقد دلّ بقوله هذا ان من تخلّف عن التأويل لم يحط علمه بكيفية الشيء، لان الاحاطة بحقيقة الشيء يكون بعلم التأويل، لان علم التأويل هو

علم الانتهاء به يتم علم الاحاطة، والمنكر له واقع في التشبيه والشرك. قال الرسول (ﷺ):

« الشرك في امتي اخفى من دبيب نملة سوداء على صخرة صمّاء في ليلة ظلماء ».

امّا ان يذهب على رأيه الضعيف فينبذ ما في التنزيل وراء ظهره، فيخرج منه الى الزندقة والتعطيل لانه لمّا فارق التنزيل انكر الشرائع والظاهر، وعندما فارق التأويل انكر الحقائق والباطن.

امّا تأويل بسم الله الرحمن الرحيم، فهي اربع كلمات دالات عل الاصول الاربع - فبسم دليل على النفس لانها قامت للفعل مقام الاسم لدلالتها اليه، وهي ثلاثة احرف كحروف اله، وركعات فريضة صلاة المغرب، لان الاساسين مبروزين في النفس، وهي اربعة احرف بالقوة والرمز، كما هي الاربعة احرف بالقوة، وفريضة صلاة الظهر اربع ركعات بالقوة، يعني ان النفس هي العقل بالقوة، ويصير يوما ما مثله وذلك لان الحرف الناقص من بسم واله هو الالف، ومن صلاة المغرب هو الانتصاب الذي هو دليل على الخط المستوي الذي يشبه الالف، والالف دليل على العقل، يعني ان ليس في النفس نقصان لشيء من المراتب والفضائل الاّ مرتبة العقل، وكما ان الألف لا يتصل بشيء من الحروف، بل الحروف تتصل بها، كذلك العقل لا يتصل بشيء من الحدود، والحدود كلها متصلة به ، وباقي حروف المعجم دليل على النفس، وكما ان النفس تتصل بالعقل، والحدود متصلون به، فكذلك الباء تتصل بالحروف والحروف تتصل بها، وكما ان العقل اول الحدود والنفس ثانية كذلك الالف اول حروف المعجم والباء ثانيها، وكما ان العقل لا يدخل في العمل كالواحد من العدد، والمركز من الدائرة والنفس داخلة في العمل كالاثنين من العدد، وأول نقط الخط من الدائرة، كذلك الالف لا تدخل في العمل اذ هو مركز الحروف، وأولها، والباء كأول نقطة من الخط للحروف، وبذكرها يبتدىء كل عمل ويقرأ كل

شيء، وان اول حروف بسم الله، ولذلك اسقط الرسول البسملة من سورة التوبة لوجود الباء في اولها، والدليل على ان العقل لا يدخل في العمل، والنفس داخلة في العمل اكثر من ان تعد واشهر من ان توضح، وكذلك كان الثاني من كل شيء داخلاً في العمل دون الاول وذلك من تركِ ذكر الكور الاول، وابتداء ذكره في الكور الثاني، ونفي الشريعة من الدور الاول، واثباتها في الدور الثاني، وكنفي تناسل الائمة من الامام الأول، وابتداء تناسلهم من الامام الثاني، وكنفي الحرف الأول من ابتداء السورة وابتدائها من الحرف الثاني، وكنفي الزيادة ونقصان من اول الحساب الذي هو الواحد، وابتدائها من الاثنين، وكاسقاط اول النقطة من الدائرة وكابتدائها من النقطة الثانية، وكاسقاط المركز من اسم الله حتى صار مستوراً، وابتدائه من الاسم الثاني الذي هو الله، وكإسقاط المركز من الفرق الثالثة والسبعين حتى لا يعد منهم، وكاسقاط المركز من الصدقة حتى يذكر ابداً خارجاً من ذكره، وكاسقاط الصلاة الاولى من الاولية، وابتدائها من الثانية، حتى قيل انها اول صلاة فرضت، وتسمّى بالفارسية «مارنين». وكإسقاط اول الايام من العدد وابتدائها من اليوم الثاني، وكاسقاط اول البروج بالعلامة، وابتدائها من الثاني، ومثل هذا كثير وقد تركت ذكره مخافة التطويل.

المدلولات والمعاني:

انّ «الله» دليل على العقل، وهو اربعة احرف، لان اصول الثلاثة مبروزة فيه، وكما ان اول بسم هو الحرف الذي يدل على النفس، كذلك اول حروف الله هو الحرف الذي يدل على العقل، والرحمن دليل على الناطق الذي بسط الرحمة للانام بما فرش لهم من الدعوة فوسعهم ذلك كلهم اجمعين، غير محظور عليهم، ولا ممنوع منهم وهو سبعة احرف ستة منها مثبتة في اللفظ والكتابة جميعاً، وواحدة مثبتة باللفظ خفيّة في الكتابة، يعني ان النطقاء الستة معروفون باسمائهم ظاهرون في شرائعهم عند القشرية واللبيّة

جميعاً، ومرتبة القائم سلام الله على ذكره ظاهرة عند اللبيّة خفيّة عند القشرية. الرحيم... دليل على الاساس وهو ستة احرف، يعني ان الاسس ستة، وذلك انه ليس للقائم شريعة يحتاج معها الى اساس لبيان تأويلها. وقال رسول الله (ﷺ):

«لم اجد اسم ارقى من الرحمن»، والمعنى ان الاساس ارقى لاهل الحرم بما فاتحهم به من بيان ظاهر الناطق تعطفاً عليهم ورحمة لهم. وقال امير المؤمنين علي:

«الرحمن منه الرحمة، والرحيم منه المغفرة».

اي ان من الناطق الايقاظ والاعذار والانذار رحمة لهم، ومن الصامت البيان والهداية وبها تقع المغفرة للانام. وقال جعفر بن محمد الصادق:

«رحمن باهل الدنيا براً بهم وبفاجرهم، ورحيم بمن يقول لا اله الاّ الله».

اي ان ظاهر الناطق يناله اهل النجدين البر منهم والفاجر امّا باطن الاساس فلا يناله الاّ الموحدون من اهل الحرم. وان الرحيم مشتق من الرحِم.. ولذلك قال الرسول (ﷺ):

«يقول الله الرحيم... انا الرحيم وانت شققت اسمك من اسمي، فمن وصلك وصلته ومن قطعك قطعته»، اي ان رحمة الاساس الذي هو حقيقة صلة الرحم اشتمل على المحقين دون المبطلين وقال رسول الله (ﷺ) ايضاً:

«صلة الرحم تزيد في العمر وقاطع الرحم ملعون».

فصلة الرحم هو ان من وصل الاساس بالناطق واللاحق بالمتم لم يزل في زيادة من اقتباس الرحمة والنعمة والبركة التي هي عمارة دينه حتى تؤديه بذلك الى العمر الازلي والكرامة الابدية، وان قطع بين الاساسين وبين الفرعين ودعا الى النجدين دون الآخر فهو ملعون منفي مطرود من حرم

الله في العاجل ومن ثواب الله في الآجل... وهذه كلمة اربع هي آية واحدة، وهي فاتحة الكتاب اي ان الاساسين فتحا الدعوة الى الشريعة والبيان، وفاتحا الناس بما ايّد كل واحد منهما بمقدار من الأصلين، وكانت الاصول الاربعة كلها في ذلك يداً واحدة، وهذه الآية تستفتح كل كتاب ـ اي بهذه الحدود تستفتح كل دعوة، وهم مفاتيح الحكمة وينابيع العلم في كل شريعة، وان هذه الكلمات الأربع مجمع احد وعشرين حرفاً تسعة عشر حرفاً ظاهرة في اللفظ والكتابة جميعاً، وحرفان ظاهران في اللفظ واللغة خفيان في الكتابة، وهذا دليل على ان الاصول الاربعة مجمع الحدود الى الواحد والعشرون، تسعة عشر حداً منها قابلون التأييد، واقفون على التأويل وهم الائمة السبعة واللواحق الاثنى عشر واحدان منها واقفان على التأويل عاجزان عن قبول التأييد وهما: الداعي والمستجيب، وهي احد عشر فصلاً، فصلان منها لايريان بل يوقف عليها بالعقل، والفصول التسعة الباقية مرئيـون مدركون فذلك دليل على ان الدعوة الى الشريعة والبيان في كل دور مقسومة منفصلة على الاساسين، والاسماء السبعة الجسدانيين المرئيين المؤيدين من الاصلين الذين لا يريان بل يثبتان بالعقل، والدليل بالحروف في هذه الآية كلها من عشرة جواهر، وتلك دلائل على الحدود العشرة الممنون عليهم بالنعمة والبركة المخصوصون بمراتب الدعوات الى توحيد الله تعالى. خمسة منهم روحانية وهم: الاصلان والجدان والخيال، وخمسة جسمانية وهم: الاساسان والفرعان والجناح، وان الخمسة من هذه الفروع مكررة، وخمسة منها غير مكررة اي ان مراتب الخمسة الجسمانيين تكرر في كل دور فيقام مقامهم في كل شريعة من يعطي مراتبهم مثل الاساسين والفرعين والجناح، على هذا كان الرسم في كل شريعة فكلما انقض اهل دور اعطيت هذه المراتب من يقوم مقامهم في الدور المستأنف ـ سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ـ وان مراتب الخمسة الروحانيين هي باعيانها قائمة في كل دور كالاصلين والجدين والخيال وهي

قائمة لا تغير لها ولا تبديل فيها وان سبيلها غير سبيل الجسمانيين .

ووجه آخر من التأويل . ان منها ما هي مكررة وهي خمسة احرف اي ان كل واحد من الحدود الخمسة الجسمانية ربما يبلغ من حد الى حد فيعاد العقد عليه ويكرر في كل مرتبة، وذلك مثل الجناح ربما يبلغ الى حد اللواحق، واللواحق ربما يبلغ الى حد الاتمام، والمتم ربما يبلغ الى حد الاساس، والاساس ربما يبلغ الى حد النطقاء، ومنها ما هي مكررة وهي خمسة احرف اي ان الحدود الخمسة الروحانية لا يكون العقد عليهم لانهم لا ينتقلون من مرتبة الى مرتبة، وان هذه الحروف العشرة هي: الألف واللام والحاء والميم والنون والراء والسين والياء، فالالف دليل على العقل لانه المؤلف بين جميع الحدود بما يبدونه من البركة الجارية اليهم، ولأن الحدود جميعها به اتصلت ومما يجري منه اليها انتظمت والألف في الهجاء وهي الالف، فكما ان الألف محيط بالاصول الثلاثة التي هي المائة والعشرة والواحد كذلك العقل محيط بالاصول الثلاثة التي هي النفس والناطق والاساس، وكما ان الاساس الذي هو آخر الاصول وأسفلها راجع الى العقل الذي هو اول الاصول واعلاها فقد صارت دائرة كرجوع التراب الذي هو آخر الامهات واسفلها الى النار الذي هو اول الامهات واعلاها، وذلك لأن من العقل ابتدأ التأييد، ومن النفس تراكيب العالم، ومن الناطق تأليف الشرائع وتراكيب العالم، ومن الاساس تأويل جميعها وبالتأويل يستفاد التأييد، كذلك الألف دليل على العقل، واللاّم دليل على النفس، واللام والفاء دليلان على الاساس الراجع الى العقل، لانهما مرافقان لاسم الاساس في حساب الجمل، وان في الرحمن الفين احدهما مثبت في اللفظ والكتابة، والآخر مثبت في اللفظ خفي في الكتابة، وليس في الرحيم الآ الف واحد، وهذا دليل على ان للناطق من العقل مثل ماللاساس، وانه ليتبين له من ذلك نصف ما يجري اليه ـ ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾ ـ وانه يكتم عنه ما يتفرد به من حظه بحق النطق تفضلا له عليه .

وان الألفات في بسم الله الرحمن الرحيم خمسة ـ اي ان في الحدود الاربعة الروحانية التي هي النفس والجد والفتح والخيال من العقل اثر وليس دونه في الحدود الروحانية غيرهم فهو اولهم، وان الالفين من هذه الألفات الخمس ظاهرتان في اللفظ، والف غير ظاهرة في الكتابة ـ يعني ان الجد قام في الاسم مقام التأييد فصار الفتح والخيال وان كان كل اسم منها محمولاً على جزء من اجزاء التأييد، فان التأييد هو اسم محمول على هذه الاسماء الثلاثة وحامل لها، لان الجوهر هو الجزء الاعلى من التأييد، والفتح هو الجزء الأوسط منه، والخيال هو الجزء الاسفل منه، فالجوهر خاصية الرسول، والفتح خاصية الوصي، والخيال خاصية الامام. فالرسول اذاً رسول ووصي وامام لان له من الجد والفتح والخيال، والوصي، وصي وامام ولا رسول، لان له من الفتح والخيال، وليس له من الجد نصيب. لأنّا لو قلنا ان له من الجد نصيب اشركناه مع الناطق في رسالته، وهذا فساد منكر في الدين مخالف في العقل، والامام اماماً لا وصياً ولا رسولاً لان له من الخيال نصيب، ولا جد او فتح له.

وقد ثبت بما بيّناه ان الألفات الثلاث في اللفظ والكتابة جميعاً دلائل على ان الحدّين الروحانيين الذين هما النفس والتأييد من العقل اثراً، وان الاثنين الظاهرين في اللفظ الخفيين في الكتابة يدلان على الفتح والخيال ظاهران في الحد الذي قام مقام التأييد عند الاسم الخفيان فيه، واللاّم دليل على التالي لانه هو الذي ولي بدء الظاهر للخلقة وتركيب العالم وأولاه العقل بدء الاعمال والتراكيب والمرتبة بامر الباري تعالى وصيّره بابه الاداء الجاري عنه الى من دونه من الحدود، وان اللاّم في بسم الله الرحمن الرحيم اربع مرّات اي ان في الحدود الثلاثة الروحانية غيرهم هو رابعهم، والهاء دليل على الحد المنهي للنطقاء حتى تهيأ لهم بواسطته معرفة الاصلين، والهاء في بسم الله الرحمن الرحيم مرة واحدة اي ان الجد لا يناله من الجسمانيين الاّ رجلاً واحداً وهو الناطق وبهذه الاحرف الثلاث التي سميناها قوام الشهادة

ودوامها وهي دلائل على العقل والنفس والجد المتحد بالناطق. فالالف دليل على السابق، وانه خطاً واحد غير مركب بخط اخر لا يتصل بحروف ويتصل الحروف بها على ان السابق بسيط محض غير منسوب بالتركيب لا بهويته ولا بفعله، وليس فوقه شيء يتصل هو به، بل هو معلول بكلمة الباري، وعلة ثابتة فيه لا تفارقه، والحدود كلها دونه محتاجون اليه، متصلون به في استفادة الكلمة، وان صورة اللام هي مثل صورة الألف مضموم اليها خط بالعرض على ان التالي هو بسيط بهويته مثل السابق، وانه مركب.العالم من دونه وشاهد السابق بدرجته المخصوصة به، وان الهاء هي ثلاث خطوط مركبات مضمومات بعضها الى بعض، وهي دليل على الحد الذي هو ثالث الحدود الروحانية، والجد هو التأييد المتحد بالناطق. ومن هنا فان خطاً في وسط الهاء وخطاً اتصل بحرف دونها لان الهاء التي هي ثلاث اضلاع دليل على الجد، فالجد اتحد بالناطق دونه وزيد عليه خط في الوسط ليكون ذلك دليل على الناطق، والجد والنفس والعقل، وذلك لان اول اضلاعها دليل على شهادة الناطق لدرجة السابق والضلع الآخر بالعرض شهادة لالتصاق التالي به، وانه صاحب التراكيب، والخط المخطوط في الوسط دليل على اقراره بانه متصل بالتالي والسابق بواسطة الجد، والضلع الثالث طرف منه متصل بالضلع العرضي، والطرف الآخر متصل بالضلع الأول، وهذا دليل على اقرار الناطق بان ظهوره وتأليفة الشرائع من التالي بواسطة الجد، وان بعد ظهوره بما استفاده منه رجع الى السابق مع انه في العالم الجسماني بمنزلة السابق في العالم البسيط، فاستقام رجوع الناطق اليه دائرة متصل آخرها بأولها.

وان الحروف الاخرى في الشهادة مكررات، وذلك دليل على ان من ظهر في العالم من بعد الناطق المتصل بالاصلين بواسطة الجد الذي يجمع الخيالين لم ينل شيئاً غير ما كان ناله الناطق، بل كلهم بمواده سابحون ليس لاحدٍ منهم ملجأ غيره ولا مأوى سواه. وهم متولدون منه بقوته الجارية

اليه من الاصلين بواسطة الجد والحاء دليل على الفتح اي به يتهيأ للاساس فتح كل ما اغلقه الناطق في الشرائع وأبطنه في التنزيل وبه يستفتح كل واحد من الحدود ممن هو فوقه، وبه يفتح عليه، وبه يتهيأ لارباب الدين اقامة مفاتيح الابواب، فالابواب دليل على اللواحق. ومن هنا قال الله تعالى:

﴿وقال يابنيَّ لا تدخلوا من بابٍ واحد، وادخلوا من ابواب متفرقة، وما اغنى عنكم من الله من شيء، ان الحكم الاّ الله عليه توكلت، وعليه فليتوكل المتوكلون﴾.

والمفاتيح دليل على الدعاة، والباب الواحد دليل على الاساس بدليل قول رسول الله (ﷺ):

«انا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

وقال الله تعالى:

﴿واذ قلنَا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطَّة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾.

والحاء في بسم الله الرحمن الرحيم مرتان احدهما دليل على الناطق، والثانية دليل على الاساس، يعني ان ذات الفتح لا يناله من الحدود الجسمانية الاّ رجلان هما: الناطق والأساس، فيفيدان من دونهما ذلك، فالميم دليل على الخيال لان به يتم كل حد نيل من التأييد، فيرى به صورة كل من يأتم به عند غيبته عنه، والميم في بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث مرات يعني ان الخيال لا يناله من الحدود الجسمانية الاّ ثلاثة هم: الناطق والأساس والامام، فيفيدون اللواحق الاثنى عشر ويخطون لهم خطاً من ذلك والنون دليل على الناطق الذي نطق لاهل النجدين بالحق رمزاً مشيراً الى اساسه والى ما يكشف لهم عن حقائق ما نطق به من التنزيل والنون في بسم الله الرحمن الرحيم واحدة معناها ان ما نال الناطق من الاصلين افادة اهل النجدين على

نحو واحد رمزاً من غير شرح، وظاهر بلا باطن، وتنزيل بلا تأويل. والراء دليل على الاساس لانه غاية نيل التأويل الذي به يرى كل مسترشد رشده، ومنه يستفيد الباحث كلا الشيئين الظاهر والباطن، وكذلك الاصلين من حرفين ومرتبتين في بسم الله الرحمن الرحيم كل ذلك يدل على ان كل ما استفاده الاساس من الاصلين كان يفيده اهل النجدين على وجهين ظاهراً وباطناً ورمزاً وسراً وتنزيلاً وتأويلاً. والراء موجودة في الرحمن وفي الرحيم معاً، والنون موجودة في الرحمن معدومة في الرحيم فذلك دليل على مرتبة الاساس فهي موجودة في الناطق، ومرتبة الناطق معدومة في الاساس، والياء دليل على الامام لانها حرف النداء في اول الكلمة، وحرف النسبة في آخرها اي ان النسبة الروحانية متصلة به من جميع الحدود عند الكشف، وبه يدعى كل اهل زمان يومئذٍ، وقد قال الله تعالى:

﴿يوم ندعو كل اناسٍ بامامهم فمن اوتيَ كتابه بيمينه فاولئك يقرأون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً﴾.

وقال الرسول (ﷺ):

«من مات ولم يعرف امام زمانه معرفة جليّة مات موتة جاهلية».

وان الياء موجودة في الرحيم معدومة في الرحمن - اي ان الائمة يكونوا من صلب الاساس لا من صلب الناطق - ومن اجل ذلك ظهرت الياء في اسم الصامت، ولم تظهر في اسم الناطق وظهرت الياء في اسم الصامت، وظهرت ايضاً في اسم ثاني الائمة، وابنه «زين العابدين» ولم تظهر في اسم اول الائمة دون اولاد خامس خاتمه، ولا بد من ظهورها في السبع الثاني على هذا المثال.

والياء مرة واحد في بسم الله الرحمن الرحيم فهي اصل واحد من العشرات، يعني ان ما ناله الامام من الأصلين افاده اهل النجدين على نوع واحد رمزاً من غير شرح اذ كان سبيله مهم على منهاج الناطق لانه قام مقامه في العالم السفلي بعد خروج الاساس عنه.

والسين دليل على اللاحق لان منه ظهر السناء والنور، وبعلمه يستضيء اهل الحرم، والسين ستة اصول من العشرات ـ اي ان سادس الاصول التي هي الاصلان والاساسان والفرعان، والسين ثلاث سنّات وثلاثة احرف ولها ثلاث نقط من تحت عاشرتها ذات الحروف، فذات الحروف دليل على اللاحق الداعي الى الحدود التسعة فوقه، وذلك ان السنّات الثلاث دليل على الجد والفتح والخيال والحروف الثلاث دلائل على التالي والسابق والكلمة. والسين في بسم الله الرحمن الرحيم مرة واحدة، اي ان اللاحق يفيد من هو دونه من الاجنحة ما يناله من متمه شرحاً من غير رمز على وجه واحد، والباء دليل على الجناح لانه به ينال المستجيب سبيل الرشاد وبه يصل كل مسترشد الى البيان والثواب الابدي، والباء في بسم الله الرحمن الرحيم مرة واحدة اي ان سبيل الجناح كسبيل اللاحق يفيد المستجيبين ما ينال من اللاحق شرحاً من غير رمز على سبيل واحد، والباء في بسم الله الرحمن الرحيم زيادة وليست بأصلية فيها، وسائر الحروف منها فيها اصلية اي ليس سبيل الجناح كسبيل الحدود الذين لهم من التأييد خط على مقدار كل واحد منهم، بل الجناح مضاف اليهم وزيادة لهم، ومؤدي عنهم الى اهل الحرم، والباء في احرف المعجم اصلية، وفي جوار الالف التي هي دليل على السابق حتى صارت ثانيها لحسابها وعدد حروفها، وهي في حرف بسم الله الرحمن الرحيم زائدة وليست باصلية ولا في جوار الالف، بل هي اول حروفها التي تقرأ لان المستجيب اول ما يتصل بالجناح ثم باللاحق المؤيد بالخيال من جهة الامام، ووجه آخر وهو ما قلناه ان الهاء دليل على الجناح بعد قولنا انها دليل على التالي، لان اسفل الحدود من الجسمانيين هم المستجيبون، وأعلاهم النطقاء، وقد قام الجناح للمستجيبين مقام التالي للنطقاء، وذلك لان الجناح يؤدي الى المستجيبين عن الحدود النعمة المقتبسة من البركة الجارية من التالي الى الحدود كلها، فيكون بذلك قوام جميع اهل الحرف، فكان مقام الجناح لهم مقام التالي عند من فوق الجناح فهو وان كان متصل بالجناح فانه متصل ايضاً بالحدود كلها حتى التالي بواسطة. وان الجناح وان

كان مضافاً اليهم وليس له من التأييد خط فأنه واحد الحدود المعدودة معهم، كذلك الباء وان كانت زائدة في بسم الله الرحمن الرحيم ومضافة الى حروفها الأصلية فانها احد الحروف المعدودة ببعضها، وان خمسة احرف من هذه الحروف العشرة مشكولة بالنقط وهي [ن ز ي ش ب] وخمسة لا نقط وهي [ا ل ح م هـ] فالخمسة المشكولة بالنقط هي الحدود الجسمانية اي ان لكل واحد منهم شكل ونظير في العالم السفلي، فالناطق له من النطقاء، والأساس له شكل من الاسس، والمتم له شكل من الاتماء، واللاحق له شكل من اللواحق، والجناح له شكل من الاجنحة. والخمسة التي ليست مشكولة بالنقط هي الحدود الروحانية، وحرف واحد مشكول هو الحاء اي ان الفتح يشاكل الجد من جهة ويشبه الخيال من جهة، لانه الواسطة بينهما. ومن هنا قيل جدان اذا ضم الفتح الى الجد، وخيالان اذا ضم الخيال الى الفتح. ووجه آخر:

آخر... وهو ان خمسة منها مشكولة بنقط، اي ان ارواح الخمسة مشكولة بالاجسام الكتيفة واجسامهم مشكولة بالاعمال المتولدة، وكل حرف من المشكولات بالنقط يعرف بنقطته، اي ان كل واحد من الحدود الجسمانية معروف عند الانام بصورته الكتيفة وبها يميز بينه وبين نظيره، وخمسة منها غير مشكولة بنقط، اي انها غير متجسمة ولا مشكولة بالاجسام والاعمال، بل هي لطيفة روحانية، وان الحرف الواحد منها مشكول ولكن ليس شكله بنقطة تشبه شكل الجسدانيين، اي ان الفتح واسطة بين النطقاء والاسس، وهو شكل للخيال الذي به تستفتح اللواحق من الاتماء، والاتماء من الاسس، وان شكل الحاء ليس بنقطة تشبه اشكال الحروف الخمسة اي ان الفتح وان كان مقابلاً للحدود الجسمانية في تلك المراتب فليس هو بمتجسم بالصورة الجسمانية. ووجه آخر وهو: ان النقط دالة على الحروف ومنزلة كل واحد منها فالخمسة الجسمانية منقوطة لانه لا بد لكل واحد منه دليل يدل عليه، وعلى درجته من العلم والدين، والخمسة

الروحانية ليست بمنقوطة لان المستجيب اذا وقف على الحدود الجسمانية الخمسة واتصل بها فلا يحتاج الى ادلة يدلونه على الحدود الروحانية غيرهم فقد ثبت بما قلناه: ان الحدود الجسمانية قامت للحدود الروحانية مقام النقط، ولم تستغنِ الحدود الجسمانية عنها، وقد اخبرنا تأويل الشهادة وفاتحة الكتاب على الحدود بمواقع الطاعات الذين لا يقبل الله عز وجل من احد طاعته الاّ بواسطتهم وقد تركنا مساواتهم مع الآفاق والانفس مخافة التطويل، واعتماداً على ان الباحث يقف عليها عند قراءته كتاب «البيان». فان قال قائل: ان اسم الرب على من يقع؟ قلنا:

ان الرب اذا لفظت به مرسلاً ولم تضفه الى شيء، فيكون وقوعه على الواحد الأحد الذي لا يتكثر، وهو الباري، والرب والمبدع لا على التحقيق، ولا على المجاز بل على التقريب حيث اذا اضفته الى شيء كقوله:

﴿وجاء ربك﴾

وقال الرسول (ﷺ): وسترون ربكم... يكون وقوعه على التالي، وهذا اللفظ مطلق بين الناس اذ يقال لصاحب الشيء: رب العبد، ورب الدار، ورب القرية، ونحو ذلك. فان سألنا سائل عن تأويل الوجه والعين والنفس واليدين؟ قلنا:

ان وجه الله دليل على السابق الذي به عرفه من عرفه، ومن وجهه نال امره من ناله. وقد قال تعالى:

﴿كل شيء هالك الاّ وجهه﴾.

يعني ان كل شيء خلقه الله فهو يستحيل من حال الى حال، فله ابتداء وانتهاء، وليس للسابق استحالة، لان ابتداءه وانتهاءه كانا دفعة واحدة بلا زمان واقع عليه كما قال الله تعالى:

﴿وما امرنا الاّ واحدة كلمح بالبصر﴾.

وقوله تعالى ايضاً:

﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾ .

يعني ان السابق لا يزول عن حاله، وكل من هو مخلوق فهو فاني الاّ السابق، ومن هو متصل من امر الله من جهته، فانه لازيادة فيه ولا نقصان، لانه قام مبدعاً بالابداع التام من مبدع التام، وامّا عين الله فهي دليل على السابق ايضاً، لان الله تعالى جعله عيناً لمن هو دونه من الحدود كلها. وامّا قوله حكاية عن عيسى.

«تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك».

فنفس الله على النفس الكلية، ونفس عيسى على نفس الرسالة التي هي روح القدس عنى بذلك: بانك محيط بمقدار روح القدس المتحد بي، ومبلغه، وانا لا احيط بنفسك الكلية التي قد جمعت فيها صور الدارين، وجعلتها دار المعاد لخلقك، وما اتيت من علمها لأحد الاّ قليلاً، واليدين دليلتان على الاصلين، وقوله:

﴿يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيديّ استكبرت ام كنت من العالين﴾ .

اي ما منعك ان تخضع لمن اتصل بيدي بلا واسطة جسماني، فصار مؤيدا مخلوقاً مقدراً من جهتها، ولو ان تأويل هذه الآية على ما ذهب اليه المشبهة، اذ قالوا ان للباري يدين لكان يوجب ذلك ان يكون له ايدٍ كثيرة كقوله:

﴿ممّا عملت ايدينا﴾ او ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ .

فلمّا طلبوا الايدي تأويلاً خلاف ما يؤدي ظاهر القرآن فلم يلومنا حين طلبنا لليدين تأويلاً خلاف ما يؤدي ظاهر القرآن. فامّا تأويل قوله: والسماء بنيناها بايدٍ فهو ان كل ما علی فهو اسماؤك، ومنها سميت السماء سماء لانها علتنا وارتفعت علينا وجمعها سموات. ومن هنا سمي السحاب

سماء وجمعه اسمية، والسقف سماء وجمعه سمّى، فقد ثبت بذلك ان السماء هنا دليل على الناطق لانه سما على اهل العلم بعلمه العالي، وبتأييده السامي، والايدي هم الاصلان والفروع الثلاثة الذين هيأوا للنطقاء ليصيروا سماءً... وقد قال الرسول (ﷺ).

«كلتا يدي الرحمن اليمنى».

عنى بذلك ان كل من اتصل بالاصلين او وقف على مرتبتهما فهو من المثابين الناجين، وذلك ان الشمال دليل على الظاهر المقلد بلا تأويل لاشتمال الهواء عليه، واليمين دليل على الباطن الذي لا يوقف عليه الاّ بعد اليمين من جهة اليمين لئلاّ يتوهم من الباحثين متوهم ان احداً يصل الى الجنة في جوار الاصلين غير اهل الباطن. ومن هنا قال الله تعالى:

﴿والسموات مطويات بيمينه﴾.

ولم يقل بشماله لان الظواهر تصير كلها مطويات في التأويل، وذلك لان السموات دليل على النطقاء الذين هم ارباب الظواهر، فدعوتهم جميعاً يومئذٍ تكون مطويّة في التأويل، وهم كافون عن فعلهم بالدعوة الى استعمال الشرائع والظواهر يومئذٍ ومتمسكون بما عندهم من التأييد والتأويل، وهو اليوم الذي ذكره الله تعالى:

﴿هل ينظرون الاّ تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق، فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا ونرد فنعمل غير الذي كنّا نعمل، قد خسروا انفسهم وضلّ عنهم ما كانوا يفترون﴾.

واذا سأل احدهم وقال:

ان اسم الله بلسان الفرس هو «خداي» فعلى من يقع هذا الاسم؟

قلنا له

ان «خداي» هو الاسم الحق الذي هو السابق لانه الآتي بذاته من غير جوهر منه ابدع وان كان المبدع ابدعه فيكون قد ابدعه لا من شيء...

ولذلك يصح ان « خداي » هو الآتي بنفسه من غير جوهر اتى منه. فان قال فهل يسمّى الباري بشيء من الذي ذكرته.. قلنا له:

ان لله تعالى اسمان على التقريب وهما: الباري والمبدع ليس فوقهما ولا وراءهما اسم، وليس ذلك على التحقيق لان الباري والمبدع غير مدرك باللفظ تحقيقاً، ولا على المجاز بل هو على التقريب، اي قربه الى الحكماء والمتعلمين باقرب الالفاظ... وهما اسمان: الأحد المحض الذي لا يدرك بحاسة سمع، فيكون مبتدأ متناهياً، ولا بحاسة ذوق فيكون محسوساً، ولا بحاسة لمس فيكون ملموساً مقبوضاً ولا بجولة عقل فيكون مدركاً معقولاً، ولا بعرض فكرة فيكون معروفاً معلوماً، ولا بتأليف طبع فيكون مجموعاً معدوداً، ولا بتغيير لفظ فيكون بالحروف موصوفاً. وكيف يتهيأ لأحد وصف الباري تعالى باداة جسدانية مخلوقة من النطق وغيره، فالمنطق عاجز عن وصف العقل والنفس اذ هو دونهما، لان العقل والنفس بسيطان والمنطق مركب، فلمّا عجز المنطق عن وصل العقل والنفس علمنا انه عن وصف مبدعهما اعجز، فثبت لنا بذلك ان الحدود الجسمانية والروحانية هي مواقع لحمل الصفات، لان كل صفة توصف بالمنطق المركب فهي واقعة على الحدود الجسدانية منهم، والتي يعتقد بالضمير، ولا يطلق به اللفظ المركب، فهي واقعة على الحدود الروحانية منهم والذي لا يتهيأ ان يشار بوقوع الحواس الظاهرة والباطنة عليه، فان ذلك هو وصف الباري تعالى.

امّا الحواس الظاهرة فهي: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، والحواس الباطنة هي: الفكر والذكر والفهم والذهن والحفظ، واللسان هو المعبر عن الحواس الظاهرة كتعبير العقل للحواس الباطنة، فكل شيء ادركته بهذه الحواس وعبرت عنه فهو مخلوق وخالقه بخلافه وخارج عنه لا يدركه شيء من المخلوقين تعالى ذكره، وكيف لا يكون المخلوق بخلاف الخالق وأحدهما فاعل حقيقي والآخر مفعول مجازي، ثم لمّا لم يوجد في الشاهد وفي الفاعل المجازي فعلاً الاّ بعد ان كان مشاراً اليه بالوحدة

المجازية؟ علمنا :ان الفاعل الحقيقي في الغاية موصوف بالوحدة الحقيقية، وان الناس في معرفة التوحيد على ثلاث اصناف: صنف قصدوا بذلك الى التنزيل دون التأويل فوقعوا في التشبيه والتمثيل والشرك، لانه ليس في ظاهر التنزيل من اوله الى آخره الاّ التشبيه، وصنف تركوا التنزيل ورموا به وراء ظهورهم فوقعوا في التعطيل، وصنف اقرّوا بالتأويل وطلبوا التوحيد في تأويله فهم المؤمنون الموحدون الذين ليسوا بمشبهة ولا معطلة، فكما ان الناس كانوا في معرفة التوحيد على ثلاث اصناف، كذلك المقرون مايشبه الباري في العبادة على ثلاث اصناف: صنف عبدوا ما مثلوا في قلوبهم، وأدركوا بابصارهم، وصنف عبدوا ما مثلوا في قلوبهم ولم يدركوا بابصارهم، وصنف عبدوا مالم يمثل في قلوبهم، ولم يدركوا بابصارهم، فاخبرني ايها المدعي عبادة الواحد المعبود من اي الاصناف الثلاثة تعبد المقصود اليه والموصوف بدعائك «يارب يارحمن يارحيم».

فالعلماء اجمعوا على انه لا يرى بالابصار، ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس. وقد روي عن امير المؤمنين «علي» وابن عمه ابن عبّاس» قولهما: انه لا تحيط به الاوهام. فالقلب حاسة واللسان حاسة ولمّا كان الله باتفاق الموحدين خلاف ما يتصوره الوهم كذلك هو خلاف ما ينطق به اللسان اذ كان نطق اللسان اكثف من وهم القلب، فان هرب من الجواب افحم، وان خرج من الاصناف الثلاثة فقد الحد، وان قال بذلك برأيه وقياسه وتقليده فقد هلك وان قال مرة من غير تفصيل، وواحدة من غير تمثيل واضيفت اسماء التنزيل ومواقعها في التأويل الى اول اسم من اسمائه الذي هو الاسم الحق، ونفى عنه ما لا يليق به من التشبيه والصفات، فقد نجا وفاز فوزاً عظيماً، ووجه آخر وهو انه لولا التعارف والصورة، والاّ لم يكن يجوز لنا ان نسمي المبدع بشيء من الاسماء، فلمّا اخطرت الحكماء اضافوا هذه الاسماء التي هي الأحد والباري المبدع الى الانس المحض لأنهم لو رفعوا هذه الاسماء عنه لم ينل المسترشد معرفته، وان هذه الاسماء

واقعة عليه من نحو فعله وابداعه وتكوينه الاشياء، ولا يعرف له اسماً من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا كلها مثلما وجدنا الاشياء على قسمين موجود ومعدوم فقلنا: انه موجود لفضله على المعدوم، ثم لمّا كان الموجود على ضربين: حي وميت قلنا: انه حي لفضله على الميت، ثم لما كانت الاحياء على صنفين متكلم وغير متكلم قلنا: انه متكلم لفضله على الفقير، ثم لمّا كانت الملوك على قسمين: ظالم وعادل قلنا: انه عادل لفضله على الظالم، فقد صحَّ بذلك ان تسميتنا اياه ووصفنا له على قدر طاقتنا، ومن نحو ذاتنا، فما رأيناه شريفاً من الصفات اضفناه اليه، وما رأيناه وضيعاً نفيناه عنه كقولنا: خالق القدرة والابدان، وليس له اسم من نحو ذاته على الحقيقة، فهو اذاً احد حقيقي غير متكثر، ولا مجازي والمخلوق واحد مجازي متكثر حقيقي فان قال قائل: لماذا قلت انه لا يجوز ان يسمّى الباري بشيء من الاسماء على الحقيقة؟ قلنا:

ان وصف اسمي صار معروفاً، والمعروف لا يكون خالقاً لعارفه لان المعروف والمعلوم محاط به والعالم والعارف محيط به، والمحاط به لا يكون الهاً ولهذا قال الله تعالى:

﴿هم يجادلون في الله... الخ.﴾.

وقال:

﴿لا يحيطون به علماً﴾.

فكيف يسمّى ويوصف من لا يحاط به علماً. وممّا يؤكد قولنا هذا ان المعلومات على قسمين: محسوس ومعقول، فكلما هو معقول في الدنيا فهو في الآخرة محسوس، فلو كان الباري من المعلومات لا يخلو ان يكون محسوساً في الدنيا او في الآخرة، ولما ثبت انه غير محسوس بكتاب الله وسنة رسوله وحجة العقل لا في الدنيا ولا في الآخرة صح انه غير معلوم... ولذلك قال:

﴿فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً﴾ .

فلو قلنا: انه عالم وزيد عالم، وانه قادر وعمر قادر صار كل واحد منهما سمي صاحبه، وفي ذلك رد الآية، ومن رد الآية فقد كفر، ومن كفر فقد الحد وما احسن ما قاله: جعفر بن محمد الصادق.

سبحان من جعل اقرار الشاكرين بالعجز عن اداء شكره شكراً لهم، كما جعل اقرار المؤمنين بالعجز عن معرفته ايماناً لهم. وقال الحكماء في هذا المعنى:

سبحانه تعاظم واستكبر عن ان يكون يعرف او ينكر. ومن هنا قيل:

ان الله اسم من اسماء الباري تعالى لان الله مشتق ـ اله الرجل بأله ـ اذا تحير في امره، فتأويله اذاً من اراد ان يعرفه او يعلمه او يدركه يتحير في ذلك ولا يصل الى مراده، وكذلك قيل للسابق اليأس لان جميع المخلوقين آيسوا من ادراك مرتبته وجلالته، وقيل للتالي الخضر لانه حيث يتصل ببيت هناك تخضر العلوم حتى يكون منه غذاء الارواح، كما ان من الخضر غذاء الاجسام، وان العجز عن ادراك السابق والتالي يقطع القول عن ادراك مبدعهما في وقت من الاوقات لان السابق لا يطمع في ذلك بل هو اخضع واخشع للباري من جميع خلقه لانه اقرب اليه، ومعرفته به الطف من معرفة الجميع، فليس من خلق يعظم الباري تعالى تعظيم السابق ولا يخافه مخافته والدليل على ذلك هو ان كل ما كان هنالك اعلم كان اخشع لربه، وانه لمن يكن هنالك اعبد من الرسل ولا اخشع منهم لانهم اعلم ممن هم دونهم، ومعرفتهم التوحيد ادق من معرفة من سواهم. ولذلك قال الله تعالى:

﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ .

وفي وجه آخر، وهو ان مفعول العبد ومصنوعه لا يكون حيّاً ولا قادراً ولا عالماً، ولو كان حيّاً او عالماً او قادراً لما كان العبد صانعه او

فاعله لان كان يشبهه، والفاعل لا يشبه مفعوله، ثم ان العبد لما رايناه حيّاً قادراً عالماً نفينا هذه الصفات عن باريه، لانّا لو وصفنا الباري بهذه الصفات لما كان خالق عبده ولانه كان يشبهه والخالق لا يشبه مخلوقه، فالعبد اذاً واسطة بين مصنوعه وباريه ولا يشبهه احداً منهما لانه لو اشبه مصنوعه استحال ان يكون صانعه، ولو اشبه خالقه استحال ان يكون مخلوقه، فمصنوع العبد عرضي لا يبقى وقتين، والعبد جسم وروح يبقى وقتين، والعرض لا يشبه الجسم ولا الجوهر الذي هو الروح، والباري تعالى لا يشبه الجسم ولا الجوهر ولا العرض، لانه خالق الجميع وانه لا يرى ولا يُرى، لانك اذا قلت انه يرى فقد اشبهته بالجسم، واذا قلت انه لا يرى اشبهته بالروح، فقد صحَّ ما قلناه من ان الباري لا يوصف بشيء من صفات الكثيف واللطيف، وان مصنوع العبد لا يعرف الواسطات التي بينه وبين صانعه، مثل ابيه وامه والامهات والافلاك والارواح، ولا يعرف الصانع، فلذلك سمي صانعه عالماً وعارفاً ولو كان مصنوع العبد يعرف الواسطات، ولا يعرف الصانع يوجب ذلك ان يعرف الواسطات والصانع جميعاً، فلمّا لم يعرف مصنوع العبد شيئاً من الواسطات التي بينه وبين صانعه، كان ذلك دليلا على ان العبد لا يعرف بالتعليم والتأييد سوى الواسطات شيئاً. اذاً فمصنوع العبد معلوم غير عالم. فاذا قلنا انه عالم فاننا نكون قد نقضنا قولنا انه غير معلوم، لانه لا يصير معلوماً من الجهة التي وصفناه، لان الواصف لا يطيق وصف شيء الاّ بعد ان يكون ذلك الموصوف معلوماً عنده، واذا كان معلوماً عنده فقد استوى مع العبد ومصنوعه حيث احاط علم العبدية ووجه آخر، وهو انه لو جاز ان يقول انه عالم جاز بذلك ان يقول انه عارف، لان المعرفة جزء من اجزاء العالم، فلمّا صحَّ بحجة العقل، وظاهر التنزيل واجماع الامة انه لا يجوز ان يقال للباري عارف ثبت انه لا يجوز ان يقال له عالم ومصنوع العبد مفعول غير فاعل، والعبد مفعول غير فاعل، والباري تعالى غير مفعول وغير فاعل، فلو قلنا انه فاعل صيرناه محتاجاً لانه الفاعل في الشاهد هو الذي يفعل

الشيء، والذي يفعل الشيء من الشيء محتاجاً الى ذلك حتى يتهيأ له الفعل، وجلّ الباري عن ان يكون محتاجاً الى شيء ما، ووجه آخر وهو انّا اذا قلنا انه فاعل كنا قد نقضنا قولنا انه غير معلوم، لانه يصير معلوماً من الجهة التي قلنا انه فاعل، وفي قولنا انه معلوم رد على قوله، ولا يحيطون به علماً.

وامّا قول القائل: ان الباري تعالى عالم وفاعل وقادر، فهو على المجاز لا على التحقيق، وذلك لان العالم والفاعل والقادر اسماء من اسماء الباري عز وجل، والاسماء مخلوقة محدثة كانت بعد ان لم تكن. فقد ثبت بذلك ان العالم والفاعل والقادر غير الباري، وانها دالة عليه كما ان الاسم دال على المسمّى، فاذا اثبت انها غير الباري، وانها دالة عليه صحّ ذلك، لان هذه الاسماء والصفات ذوات اخرى، وهي واقعة عليها، وهؤلاء الذوات هم الحدود الروحانية والجسمانية الذين هم دالون على وحدانية الباري تعالى وأن هؤلاء الحدود الروحانية والجسمانية لمّا خلقهم الباري، وأقام كل واحد منهم بحال الدعوة الى تجريده وتوحيده بامره اضاف الصفات الواقعة عليهم الى هويته وهذا موجود في الشاهد مثل ما يضيف السلطان ضرب الجلاّد الى نفسه اذ كان بأمره، ومثل ما يضيفه الجواد العطيّة الى نفسه اذا كانت بامره، وان كان المعطي غيره، ومن وكلائه وقومه، والدليل قوله تعالى:

﴿ان الذين يبايعونك انمّا يبايعون الله، يد الله فوق ايديهم... الخ﴾.

الاَ ترى انه اضاف تلك المبايعة الى هويته لما كانت بامره وان كان المبايع غيره. ومثل قوله تعالى:

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ان الله سميع عليم﴾.

فأضاف الرمي الى هويته، وان كان الرامي غيره، وكذلك اضاف الصفات الى هويته وان كان الموصوف بها غيره، وقد قال الرسول صلعم:

«يد السائل بيد الله».

فأضاف يداه الى الله، لان الله هو الذي يعطي. ومثل ذلك قوله تعالى:

﴿واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الاّ الله وبالوالدين احساناً وذي القربى واليتامى والمساكين، وقولوا للناس حسناً واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الاّ قليلاً منكم وانتم معرضون﴾.

ولمّا كان الاجنحة واللواحق يأخذون العهود والمواثيق على الباحثين والمستجيبين بامر الباري اضاف ذلك الى هويته، ولو لم يكن الله في اخذ العهود والمواثيق امر الرضى لما اضافه الى هويته، والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء، لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار﴾. ومتى كانَ الملك لغير الله. ويقول تعالى ايضاً:

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير﴾.

لكن لمّا كان على الملك في هذا العالم اضافة حب التأييد، والتأييد الذي كان في قيامه رضاء الله وعز المؤمنين اضافه الى هويته كمثل قوله والأمر يومئذٍ لله، ومتى كان الامر لغير الله؟ وهو يقول تعالى: ﴿الا له الخلق والأمر﴾ ... ولكن لمّا كان على وجه الارض من يترأس من غير ان يجعله الله رأساً للدين ولا اهله لتأويله، ولا كان في افعاله لله رضا عد ان الامر لغير الله ولغير يوم القيامة، ولما كان رجوع الامر والنهي الى الجاري كلمة الله على ما توجب الكلمة جريه اضافه الله الى هويته، فتبين من هذه الآيات انه لو لم يكن لله تعالى في اخذ العهود والمواثيق رضا وأمر لما اضافه الى هويته في الآيات المذكورة في القران وهي اكثر مما ان تحصى في هذا الفصل من كتابنا هذا. فكل هذه الآيات والشهادات تؤكد قولنا ان الاسماء والصفات واقعات على الحدود الروحانية والجسمانية، وان كان الباري صرفها الى هويته.

مصنوعات المخلوقين:

ان العبد ومصنوعاته كلها متساوية على صفاته على ميزان مفعول لما فيه من اثار الحدث والضعف، ومتخالفة على صفاته على ميزان الفاعل يتبين بذلك الفاعل والمفعول منهما، فكلتا الصفتين منفيتين عن الباري تعالى لانه لا يشبه احداً منهما، وانما قلنا ان مصنوع العبد متساوٍ والعبد على صفاته بميزان مفعول، وان جميع المخلوقين متساوين امّا بالاسم، وامّا بالصفة، وامّا بالمعنى، فامّا نفي اسماء المخلوقين عنه فهو قوله:

﴿هل تعلم له سمياً.... الخ﴾.

يعني ان جميع الاسماء منفية عنه، وامّا نفي صفات المخلوقين عنه فهو قوله:

﴿ولا يحيطون به علماً... الخ﴾.

وكيف يوصف من لا يحاط به علماً، وامّا نفي معاني المخلوقين عنه فهو قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ... وقوله: ﴿وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾. فان قال قائل: ان المؤمنين يستغفرون الله باسمائه الحسنى، فمن يغفر لهم؟ قلنا:

ان الاسماء والصفات تقع على الحدود التي بيناها الاّ ان الغفران والاجابة تكون من الباري، ومثال ذلك ما تراه في الشاهد ان الاسماء تقع على الاجسام دون الارواح، والاجابة تكون من الارواح، وذلك انك اذا دعوت الاموات باسمائهم لا يجيبك احد وان كانت الاسماء واقعة عليهم، واذا دعوت الاحياء اجابتك ارواحهم، ومن هنا صحّ ان الاسماء والصفات تقع على الحدود والاجابة تكون من الباري تعالى من الدليل الواضح ان الاسماء لا تقع على الاجسام دون الارواح، وان الرجل اذا مات ودفن قبل دفن زيد وصليت على جنازته، فلو كان الاسم يقع على الروح لم يوجد الاسم عند فقد الروح فلمّا وجد الاسم عند فقد الروح علمنا ان الاسماء

واقعة على الاجسام دون الارواح. فان قال قائل، لم نقول ان المبدع عالم؟.. فنقول:

هل تقول: ان الاشياء كلها كانت عنده معلومة قبل ابداعها... ونقول:

اذا كانت صورة الاشياء عنده كانت معلومة في الازل وجب علينا ان نقول هو عالم لان المعلوم يوجب العالم والعالم يوجب المعلوم، ولمّا لم تقل انه عالم ولا لاعالم ولم يجب ان تكون صورة الاشياء معلومة عنده، لانه لو كانت صورة الاشياء معلومة عند المبدع قبل ابداعها لكانت قديمة مع الواحد، ولم يكن الواحد واحداً مجرداً فرداً بل كان واحداً كثيراً قد جمع الكثرة بقوة العلم الذي فيه والصورة المحدثة منه كانت تصير يوما ما مثله لان المكون من الشيء وان كان ضعيفاً عند ظهوره يصير يوماً ما مثل ذلك الشيء الذي كان بدأه منه وهذا فاسد متناقض، ولو ان الصور كانت عنده معلومة قبل ابداعها لم يكن هو اول مبدع بل كان يوجب تلك الحال انه مبدع وله مبدع قد تقدم، لان المبدع هو الذي يبدع لا من شيء ولا مثل شيء ولا في شيء ولا مع شيء ولا على شيء، فلو كانت الصورة عنده معلومة قبل ابداعها كان يبدع مثل الشيء المعلوم عنده ومن الشيء المعلوم عنده، وهذا اعتقاد سقيم فاسد.

قال الحكيم الصادق اعلى الله درجته في كتاب «المحصول»:

اذا قال قائل: ان لم تكن الصورة عنده معلومة قبل ابداعها يوجب ذلك انه ابدع ما لم يعلم وما لم يكن عنده... قلنا:

ان القبلية والبعدية وجدناهما في المخلوقين، ووجدنا في المخلوقين من يصور الصور لا على نوع الابداع ولكن على نوع الاخراج من الشيء، وان الصور التي اظهرها تقدمت هويتها قبل ظهورها منه وكانت عنده معلومة بلا وقوف احد عليها غيره، فلمّا وجدنا هذه المسائل موجودة عند المخلوق الذي هو في الدرجة الثانية والثالثة لا في الدرجة الاولى اي انه

ليس بمبدع لا من شيء بل هو الذي ظهر من شيء المبدع بقوة ابداع المبدع فيه ايقنا انه منفي عن المبدع الحق، وآخر انه لو كانت الاشياء معلومة عند الباري في الأزل كان الباري تعالى محتاجاً الى علم والى معلوم به استطاع خلق الاشياء، والمحتاج لا يكون اله، وآخر: وهو ان الاشياء لو كانت معلومة في الازل عند الباري، وكان الباري عاجزاً عن خلق الاشياء الاَّ بعد ان تكون تلك الاشياء معلومة عنده وكانت المعلومات لا تقوم بذاتها الاَّ بعد ان يخلقها الباري، فقد صار كل واحد من الباري والمعلوم محتاجاً الى صاحبه، واذ كان الامر على هذه الصفة فمن جعل احدهما اولاً بان يكون الة لصاحبه من الآخر، لان المعتقد بان الاشياء كانت معلومة عند الباري لا يخلو من احد الأقاويل الثلاثة، امّا ان ينسب الخلق الى الباري والمعلوم جميعاً فيستوي مع المشركين والكفار لان من قال ان ابداع المبدع الصور لم يحدث ما لم تكن الصور عنده معلومة قبل ابداعها محال، فقد نسب الخلق الى الباري والمعلوم جميعاً، وامّا ان ينسب الخلق الى المعلوم دون الباري فيصير ملحداً معطلاً احمقاً، وامّا ان ينسب ابداع الاشياء وخلقها الى الباري دون المعلومات فيستوي مع الملحدين والمعاندين في الاسم لانه اذا قال لا بد ان تكون هذه الاشياء معلومة عند الباري في الازل ثم تضيق كون الاشياء الى الباري دون المعلومات فقد نقض قوله اذ جاز كون الاشياء من الباري من غير ان يستعين بمعلوماته، وكان مثله في ذلك كمثل بعض الناس الذين قالوا: ان الله جسم ثم نقضوا اقوالهم بنفيهم عنه معاني الاجسام لانهم لم يتخلصوا من التشبيه والكفر حيث قالوا: ان الله جسم، وان نفوا عنه معاني الاجسام كما ان المعتقد بان الاشياء كانت معلومة عند الباري في الازل لم يتخلص من الشرك، وان جعله مستغنياً عن معلوماته وآخر، وهو وان كانت الاشياء معلومة عند الباري في الازل لا تخلو تلك المعلومات من ان تكون من الباري بعضه ام هي هو... فان قال: ان المعلومات بعض الباري فقد اثبت بان الباري متجزىء متبعض، ومن قال: بان الباري متبعض متجزىء فقد كفر وألحد عند جميع الامة، لان

المتبعض المتجزىء هو الذي يجوز ان يتبعض ويتجزأ حتى يفنى ويبيد ويتلاشى، فان قال: ان المعلومات هي الباري نفسه فقد سمّاه باسم مخالف لكتابه وسنة نبيه، ومن خالفها فهو ملحد، وايضاً ان المعلومات لو كانت الباري نفسه جاز لنا ان نقول: يامعلومات ارزقينا... يامعلومات اغفري لنا... يا معلومات تجازوي عنّا، فلمّا لم يجوز ذلك باجماع الامة وحجة العقل وبكتاب الله وسنة نبيه، علمنا ان من يقول: ان المعلومات هي الباري نفسه هذر وباطل وكفر وشرك، وان قال ان المعلومات غير الباري فلا يخلو امّا ان تكون قديمة او محدثة، فان كانت قديمة فالمعتقد لهذا القول يعبد الهة لا يحصى عددهم، وان قال انها محدثة فقد جعل الباري محل للحدثان وهو محدث جل وتقدس، وان قال انها محدثة في شيء آخر احدثه المبدع لا من شيء فقد رجع الى الصواب حيث اجاز كون الباري ولا معلومات ثم احدث المعلومات في المبدع لا من شيء وليس يخلو لمعترض لهذا من ان يكون نافياً نصف الصفات، امّا المثبت للصفات كلها، فالجواب هو ما ذكرناه.. امّا من يقول: ان الله عالم بعلم وقادر بقدرة وحي بحياة وسميع بسمع وبصير ببصر، وعلى سبيل سائر الصفات عندهم ومناظرتهم ايسر من مناظرة من نفي نصف الصفات، لان من نفى نصف الصفات فهو اقرب الى الحق ممن اثبت جميع الصفات، ونقول لهم جميعاً:

الستم تزعمون ان الباري جل وعز سميع بصير في الازل ولا مسموعات ولا مبصورات، فان قالوا نعم قيل لهم ما تنكرون انه عالم في الازل ولا معلومات، ولا يجدون في ذلك فرقاً، ولا يخلو جوابهم من اربعة اوجه، امّا ان يثبتوا له مسموعات ومبصرات كما اثبتوا له معلومات حتى يكون معه قدماً من الاشياء موجودة ممّا لا يحصى، وامّا ان يقولوا انه عالم ولا معلوم وسميع ولا مسموع وبصير ولا مبصور فحينئذٍ يسألهم عن حد العالم؟ فان قالوا: حد العالم عندكم هو الذي له معلوم فانهم لا يطيقون الخروج منها اذ لا يستطيعون اثبات عالم لا معلوم له في الشاهد ولا في

العقل، وان قالوا ان حد العالم هو الذي له علم فقل لهم: اعلم ان الباري غيره او بعضه او هو هو، فان قالوا: ان علم الباري غيره فهم يعبدون الهين اثنين، وان قالوا بعضه فقد زعموا انْ الباري متبعض متجزىء، وان قالوا هو فلم اثبتوا اشياء غير هويته، وليس لأحد ان يسميه من رأيه وقياسه اسماً لم يأمر الباري جل عن تسميته، وايضاً: لو كان العلم هو الباري نفسه جاز لنا ان نقول: يا علم ارزقنا، يا علم اغفر لنا، يا علم اعفو عنا، ومن هنا فان من يقول ان العلم هو الباري نفسه فقد هذر وبطل وكفر واشرك، وامَّا ان يقول انه سميع على معنى انه عالم بالمسموعات وبصير بمعنى انه عالم بالمبصرات، قلنا:

لو جاز ذلك ان نقيس السميع والبصير على خلاف ما تعرفه اصحاب اللغة انه عالم على معنى انه سميع، فان قال قائل انه لا يجوز ان نقول انه عالم على معنى انه سميع، فان ذلك غير جائز باللغة قلنا لهم فكذلك لا يجوز في اللغة ان نقول انه سميع على معنى انه عالم بالمسموعات والا فما الفرق وما بعض الدلائل على ذلك في الشاهد ان الرجل اذا صار اصمَّاً بعد خمسين سنة من عمره فلا يسمَّى سميع، وان كان عالماً بالمسموعات فدَّلت هذه الشهادة على فساد قول من قال ان الله سميع على معنى انه عالم بالمسموعات، فان قالوا انَّما قلنا انه سميع عل معنى انه عالم بالمسموعات لنالوا اثبات من له مسموعات قديمة وهذا ما لا يجوز لمؤمن ان يقوله... قلنا لهم: انه عالم على معنى انه سميع لا نفيا اذا اثبتنا ان له مسموعات فنكون قد اثبتنا تلك الاشياء خارجة منه ومباينه له، واثبات الاشياء الخارجة منه ايسر في العقل من اثبات الاشياء الحالة في ذاته والاَّ فما الفرق، ولا يجدون فيما بينهما فرقاً بحيلة من الحيل، وامَّا ان يرجعوا فيقولوا انه لم يكن سميعاً ولا بصيراً ولا عالماً في الازل ثم خلق ذلك اجمع ثم صار محلاً لها... فقل لهم: ان المحل المحدث لا يكون الهاً، لان من صار محلاً للمحدثات فهو محدث ولولا ذلك لتعسر علينا الوقوف على

حدث العالم. ويقال لمن يقول ان القرآن مخلوق: هل كان الله لم ي
متكلماً؟ فيقول: لا... فنقول له: هل كان ساكناً فيقول لا.. فنقول
لما كان الباري لم يزل موجوداً على قولك غير موصوف بالكلام وضده
السكون، فلم لا يجوز ان يكون غير موصوف بالعلم وضده وان ك
المناظر ممن يقول ان القرآن غير مخلوق فعارضه بالاخذ والترك والمحـ
والرضى على هذا المثال، وكذلك يقال لمن قال ان القرآن غير مخلوق: الـ
تزعمون ان الباري مكلم في الازل ولا مكلم، فان قالوا نعم.. قلنا لهم:
تنكرون انه عالم في الازل ولا معلوم، فان قالوا: ان العالم يوجب المعلـ
قلنا: فكذلك المتكلم يوجب المكلم.

ونرجع الى ما كنا فيه من حكاية الفصل الذي ذكره الحكيم الصاد
اعلى الله درجته وقد ذكره في كتاب «المحصول». فقال:

ان الصورة لو كانت معلومة عند المبدع قبل ابداعه اياها لكا
والمبدع زوجاً لا فرداً ولكانت الصور عند هويته جامعة لجميعها، فهو
المبدع مع هوية الصور كان زوجاً، وان كان زوجاً فابداع المبدع للصور
يكن ابداعاً بل كان توليداً، ولم يكن بينه وبين المعلول الضعيف المحتـ
فرقاً اذ كل زوج من المخلوق الواقع تحت الحواس الخمس فضلاً
الزوج اللطيف الذي علا عن الوقوع تحت الحواس الخمس، فهما يولد
الصور بلا نهاية وثبت توليدهما ذلك اجتماع صور ذلك الجنس فيهما بالـ
قبل ظهور صورهما، وذلك ان زوجاً واحداً من اي حيوان اذا كـ
بالتركيب صحيحين يجامعان، فيتولد بكل مجامعة ولداً، وكذلك الرجل
ادرك وجامع انثاه يتولد بينهما مثلهما، فاذا اتى عليهم زمان امتلأ العالم
الازدواج من اولاد زوج واحد، وهذا مشهور في كل جنس من الحيو
فهذه الحال موجودة في جميع الاجناس من اجتماع الصور قبل ظهورها
المخلوق. ويبقى قول القائل ان المبدع كانت صور الاشياء عنده معلوه
ويزداد حاله الذي هو داخل بما قاله انه لم يكن عالماً بما ابدع اذ لم تـ

الصورة عنده معلومة عليه، ووجه آخر في جواب قوله: ان المبدع لم يكن عالماً بما ابدع ولم تكن الصور عنده معلومة، وهو ان هذه الاصول موجودة انما وقعت الاسماء عليها بعد ظهورها، وكذلك الاشياء اللطيفة التي تقدمت الموجودات وصار اثباتها بدلالات ما ظهر من افعالها وقد وقعت الاسماء عليها من بعد ظهور هويتها، وان جملتها قبل كونها لم تكن هوية لواحد منها ولا صورة ولا ذاتاً، وان المبدع ابدعها دفعة واحدة باصولها وامكانها وفروعها من غير تقدم المكان للمتمكن او الاصل او الفرع بل ابدع جوهراً تاماً فيه جميع كل شيء بصورته وجنسه ونوعه وجميع كيفياته معلومة فيه، وذلك قوله تعالى:

﴿وما امرنا الاّ واحدة كلمح بالبصر﴾.

فلو كان عند الجسمانيين شيء اسرع من لمح البصر لكان الباري ضرب المثل به تقريباً الى افهامهم وتقريراً في اوهامهم فالباري هو المبدع التام والمبدع التام لم يكن الاّ تاماً، وهذه الاسماء التي وصفناها مثل المبدع والابداع والمبدع انما وقعت عند ظهور المبدع، كما ان الاسماء التي هي الخالق والخلق والمخلوق ظهرت عند ظهور المخلوق، وذلك ان المبدع لمّا كان معلولاً بالعلة وقع عليها اسم مشتق من اسم المعلول، ولمّا كان مبدعاً اضيف ابداعه الى المبدع وكذلك اسم السابق انما وقع على المبدع عند ظهور المسبوق، فاذا رفع المسبوق بالوهم ارتفع الاسم عن السابق، ولو رفع الاسم عن المبدع الحق لم ينل المسترشد معرفته، فوضع الاسم هو الدلالة من دونه ليكون لهم سبباً ومرقياً الى معرفته، وان اسمه واقع عليه من نحونا عليه وابداعه وتكوينه الاشياء وليس له اسم من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا وكذلك ما دون الاسماء من الصفات سبيلها هو ما ذكرنا، لان الحكماء اجازوا اضافتها الى المبدع الحق بل لهذه العلة التي قلنا وان الوحدة والامر والأزلية، فالكلمة والعلة هي اسماء واقعة على الابداع والأول والسابق والعقل والقلم والقضاء وهي اسماء واقعة على المبدع، كما ان الآخر

والتالي والنفس واللوح والقدر والنور هي اسماء واقعة على التالي، واعلم ان الابداع في المبدع كالفعل في المفعول، وكما ان هوية الفعل من الفاعل لا شك تقول هذا خط فلان وهذا نسخ فلان وهذا حرز فلان وهذه صنعة فلان، ففلان هو الفاعل، وليس الخط هو فلان فكذلك هوية الابداع من المبدع الحق، وكما ان ظهور الفعل في المفعولات، لانك لا ترى في الكاتب خطاً ولا في الناسخ نسخاً ولا في الحرز حرزاً، ولا في احد من الصنائع صنعه، بل الخط في المكتوب والنسخ في المنسوخ والحرز في المحروز والصنعة في المصنوع، كذلك كان ظهور الابداع في المبدع لا في المبدع، وكما ان اثر الفعل في كل مفعول مثبتة بالفعل من غير ان يوقف على هوية الفعل كذلك اثر الابداع في المبدع مثبتة من غير ان يقوم كل واحد منهما بهويته بل هويتهما هوية واحدة، وان جميع الذي وصفناه يوجب نفي اثبات القدم للصور قبل ظهورها، والصحيح هو ان يقال للباري: مبدع الاشياء لا من شيء من غير صورة واحدة وصور كثيرة تقدمت الابداع، وانه لم يزل ولا ابداع ولا مبدع ولا مشير اليه ولا اشارة ولا اسم واقع عليه، ولا صفة يوصف بها ولا مكان احاط به واستقر عليه بل هو قبل الزمان والمكان لم يزل ولم يزال،ولا يقال متحرك ولا ساكن اذ هما مسبوقا به الحركة والسكون، ولا يقال هو حركة او سكون لانهما من صفات المخلوقين وموهبات منه لخلقه، وكلما هو موجود في الخلق فهو منفي عن الخالق. ولمّا وجدنا هويتنا وما هو اعلامنا وما هو ادنى منّا كلها مبدعة مخلوقة معلومة بالابداع والخلقة، علمنا ان مبلغ علمنا مبلغ علتنا، وان العلة كالافاضة علينا من مبدعنا وخالقنا ونحن عاجزون عن مجاورة ما افيض علينا، غير مدركين لما وراء العلة فليس لنا اذاً من ادراك المبدع سوى الاقرار به فقط من غير وقوف منّا على ما بينه والاقرار منّا هو اضافة جميع ما افاضه علينا الله جل وعزّ، وانه هبة منه لنا وجوداً وتفضلاً علينا، وهذا القول المنطقي والاعتقاد العقلي الذي نقوله في التوحيد ونعتقده انه

ظهر بعد ظهور هويتنا. ولمّا وجدنا الأقاويل والعقول مبدعة مخلوقة ايقنا ان القول المنطقي، والقول الوهمي الفكري العقلي لا يحيط على ما فوقه لان هذا غير ممكن ان يحيط المحاط على المحيط به والدليل على ذلك هو انّا لو توهمنا بالوهم والفكر والعقل بالوقوف على الحقيقة فنكون قد اتكلنا على راينا وهذا يؤدي الى التعطيل فلذلك قال الرسول (ﷺ) رمزاً ومثلاً:

«لاصلاة عند طلوع الشمس، ولا عند غروبها لانها تطلع وتقرب بين قرني الشيطان»..

ولهذا القول تأويل يؤكد قولنا هذا وبيانه مذكور في كتاب «البرهان» المنقول على العلم الثالث من العلوم الاخرى التي هي مقابل الهواء، وذلك لان الصناعات الدنيوية على اربع منازل اسفلها صناعة الطب وهي مقابل التراب، والثانية الهندسية وهي مقابل الماء، والثالثة صناعة النجوم وهي مقابل الهواء، والرابعة صناعة الفلسفة وهي مقابل النار، وكما ان كل واحدة من هذه الامهات ليست بناجية ما لم تجتمع باعتدال في الخامس الذي هو المقصود منها، فاذاً قد ثبت ان المقصود من الامهات الاربع هي مقابل العلوم الاربعة، ثم تعود الامور بعد ظهور هذه الصناعات الأربع في البدء الى العلوم الاخرية التي هي المقصود من هذه الصناعات الأربع، فصارت على اربع مراتب اسفلها علم الظاهر الاسلامي السمعي وهو مقابل التراب، والثانية علم الممتزج الايقاني البصري وهو مقابل الماء والثالثة علم الحقائق الايماني القلبي وهو مقابل الهواء، والرابعة علم الغيب التأييدي الدماغي وهو مقابل النار. لذلك قال تعالى:

﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً﴾.

الاّ من ارتضى من رسول الله (ﷺ) فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً يعلموا ان قد بلغوا رسالة ربهم وأحاط بما لديهم واحصى كل شيء عدداً، وكما انّا قادرون على اكل الامهات السفلية بلا واسطة وعاجزون عن اكل النار. كذلك نحن مهيأون لقبول العلوم الثلاثة التي هي

الظاهر الاسلامي السمعي والممتزج الايقاني البصري والحقيقي الايماني القلبي، وعاجزون عن قبول العلم الرابع الغطائي الغيبي الدماغي التأييدي، ولهذا كلفنا الله بالعلوم الثلاثة ولم يكلفنا بالعلم الرابع الذي هو من مراتب الرسل والانبياء... في قوله:

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

لانه تعالى لا يكلف نفساً الاّ وسعها، ومن هنا ضرب الله مثل ابراهيم في رؤيته الكواكب بالاسلام حيث لا يقف عليه الاّ من جهة السمع حيث قال:

﴿وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتباكم، وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداء على الناس، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾.

وفي رؤيته القمر بالايقاني ثانياً التي هي من الفعل البصري حيث قال:

﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين﴾.

وفي رؤيته الشمس بالايماني ثالثاً عند الاتباع الذي هو من فعل القلب حيث قال:

﴿ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾.

وفي توجهه وجهه الى الفاطر بالتأييد رابعاً عند احياء الطيور التي علت باجسامها في العالم الكبير لعلو الدماغ في العالم الصغير حيث قال:

﴿واذ قال ابراهيم ربِ ارني كيف تحيي الموتى قالَ اوَ لم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.. قال فخذ اربعة من الطير فصرهنَّ اليك ثم اجعل على

كل جبل منهنّ جزءاً ثم ادعهنّ يأتينك سعياً واعلم ان الله عزيز حكيم﴾.

ثم اخذ الله على عباده في تكليفهم طلب العلوم لهذه المراتب في قوله:

﴿ومن يرغب عن ملة ابراهيم الاّ من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾.

وقول الرسول (ﷺ):

طلب العلم فريضة على كل مسلم، ولم يقل على كل مؤمن، لان على المسلم ان يطلب العلم ليصير مؤمناً، وعلى المؤمن تعلمه لا طلبه، كما ان على العطشان البعيد من الماء طلب الماء وعلى العطشان الغامس في الماء شربه لا طلبه. وفي كتاب «البرهان» من تأويل اخبار ابراهيم والطيور وحقائق اجزائها الاربعة وبراهين رؤيته الكواكب والنيرين، وبيان ما يقابل الفلك من هذه العلوم كمقابلتها الامهات الاربع واظهار درجة الاهمال منها غنى عن اعادتها وذكرها في هذا الكتاب.

وان سألنا سائل: عن كيفية عذاب الشياطين والابالسة بالفعل وأحوالهم؟ قلنا:

ان بعضهم معذبون في النار الجسمانية، وبعضهم معذبون في النار الجرمانية مادامت السموات والارض، فأمّا ما بعد ذلك فان الابالسة الذين هم المرتدون يعذبون في النار الروحانية ونشرح الآن ذلك بمن من الله ومن اوليائه ليتقرر في اذهان المستجيبين، وافهام الباحثين.. فنقول:

ان النار الجسمانية هي الاثير المحيط بالهواء والماء والارض، والنار الجرمانية هي النيران المتولدة من دوران الافلاك السبعة، فهي تمانع المعاقبين فيما بينهما وتثبت بهم حتى لا يتهيأ لهم الوصول الى دار النعيم، ولذلك سميت الافلاك العالم الجرماني، والنيران المتولدة من دونها النار الجرمانية لان الجرم في اللغة المنع، والجرم في اللغة ايضاً الجسم، الآ انه في المعقول نعلم ان العالم الجرماني الذي هو الافلاك الطف من العالم الجسماني

الذي هو الامهات، فامّا النار الروحانية فسنبين تأويلها فيا بعد. ثم نقول:

ان الشياطين والابالسة بالقوة اذا فارقوا قوالبهم يصيرون شياطين وأبالسة بالفعل وصورهم من القوى الثلاثة التي هي النامية والحسيّة والناطقة وارواحهم من القوة العاقلة، وانهم إذا وصلوا الى الاسير شملت عليهم النار المقيتة في الهواء لعجزهم عن الوصول الى العالم الروحاني الابدي لانهم غير متهيئين لقبول اثاره لتصورهم في الصور الناقصة المنكوسة المعكوسة المعوجة الطبيعية، فيبقون هناك معذبين بين هذه النار وبين النار المتولدة من دوران فلك القمر، هذا العذاب لم يكون ذو صورة شيطانية اكثف وهم حذاق الاطباء المشتغلون بعلوم الطبائع والمطبوعات والمنكرون علم التأويل المقرون بقدم العالم من الدهرية وغيرهم واسم هذا العذاب سقر.. قال تعالى:

﴿ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين﴾.

ان سقر مؤلفة من ثلاثة احرف، كذلك قمر ثلاثة احرف، وان سقر قطعة واحدة كذلك قمر قطعة واحدة، وسقر تسعة اصول من الحساب فذلك دليل على انها في تاسع الافلاك، وقمر سبعة اصول من الحساب وهذا دليل على انه في سابع الافلاك المدبرات. قال الرسولﷺ:

ان الشمس والقمر نوران مكتوبان في النار... اي اذا كان المعاقب من حذاق المهندسين المشتغلين بعلم الدقائق والاشكال والعدد والحساب الراوين علم التأويل اجتازت صورة شيطانية من فلك القمر ولا يطيق الاجتياز في فلك عطارد لكثافتها فتشب بها النيران المتولدة من شدة دوران فلكي القمر وعطارد، فتبقى هناك معذبة، واسم هذا العذاب الهاوية. وقد قال تعالى:

﴿فأمه هاوية وما ادراك ماهية نارٌ حامية﴾.

وعطارد خمسة احرف واصوله من الحساب على عدد حروفه، كذلك

هاوية · خمسة احرف .

وعطارد ايضا ثلاث قطع، كذلك هاوية ثلاث قطع، وتسع اصول من الحساب يعني انها في احد الافلاك التسعة واذا كان المعاقب ممن انكر علم التأويل من حذاق المنجمين اجتازت صورة شيطانية من فلك عطارد، ولا يطيق الاجتياز من شدة دوران فلك الزهرة لكثافتها فنشبت بها النيران المتولدة من شدة دوران فلك الزهرة وعطارد فتبقى هناك معذبة، واسم هذا العذاب جحيم . قال الله تعالى:

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

وزهرة اربعة احرف كذلك جحيم اربعة احرف. وزهرة قطع ثلاثة كذلك الحروف المنقوطة من جحيم ثلاثة، وكما ان القطعة الوسطى من زهرة اعظم من القطعتين الآخرتين، كذلك النقطة الوسطى من جحيم اعظم من النقطتين الآخرتين، وكما ان القطعة الاولى من زهرة نصف القطعة الاخرى منها لان الذين نصف دائرة والهاء دائرة تامة كذلك النقطة الاولى من جحيم نصف النقطة الآخرى، وحروف زهرة مع اصل حسابها من الجمل خمسة اعداد فهذا دليل على ان الزهرة خامسة المدبرات من اعلى، وجحيم سبعة اصول من الحساب يعني في سابع الافلاك من اعلى، واذا كان المعاقب ممن انكر علم التأويل من الفلاسفة الذين يشتغلون بما بعد الطبيعة، نابذون الكتب المنزلة وراء ظهورهم اجتازت صورة الشيطانية من فلك الزهرة ولا يطيق الاجتياز الى فلك الشمس التي هي اصل جميع النيران فنشبت بها النيران والحرارة المتولدة من الشمس، ومن شدة دوران فلك الزهرة والشمس تبقى هنالك معذبة، واسم هذا العذاب لظى. قال الله تعالى:

﴿كلاَّ انها لظى نزاَّعة للشوى﴾ .

وشمس ثلاثة احرف وقطعة واحدة كذلك لظى قطعة واحدة، وشمس اربعة اصول من الحساب ليكون ذلك دليلاً على انها رابع ابواب جهنم من

اعلى وأسفل. وكذلك روي عن الرسول ﷺ انه قال:

«ان الشمس والقمر نوران مكتوبان في النار».

وفي وجه آخر وهو: انه لمّا كانت لظى اربعة اصول من الحساب ليكون ذلك دليلاً على انها في رابع الافلاك من اعلى ومن اسفل، واذا كان المعاقب ممن انكر علم التأويل من حذاّق فقهاء القشرية المشتغلين بعلم الظاهر وشرائع الرسل اجتازت صورة شيطانية من فلك الشمس وبقيت تحت فلك المريخ فنشبت بها النيران المتولدة من الشمس والمريخ ومن شدة دوران فلكيهما، فتبقى هناك معذبة واسم هذا العذاب حطمة. قال الله تعالى:

﴿كلاً لينبذنّ في الحطمة وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة﴾.

ان مريخ اربعة احرف كذلك حطمة اربعة احرف، ومريخ قطعتان كذلك الحروف المنقوطة حرفان من حطمة واصل حساب مريخ اربعة اعداد على عدد حروف حطمة تأكيداً لما بيّناه، ومريخ وحطمة ثلاثة اصول من الحساب يعني انها في الفلك الثالث من افلاك المدبرات السبعة، واذا كان المعاقب ممن انكر علم التأويل من حذاق المتكلمين المشتغلين بعلم الدقائق والصفات والافعال والوعد والوعيد المقرون بالرسل، وما اتوا به اجتازت صورة شيطنة من فلك المريخ ولا يطيق الاجتياز من فلك المشتري لكثافتها فنشبت فيها النيران المتولدة من شدة دوران فلك المريخ والمشتري فتبقى هناك معذبة، واسم هذا العذاب جهنم. قال الله تعالى:

﴿انكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم انتم لها واردون﴾.

يعني رؤساهم وأحبارهم ورهبانهم كما قال:

﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله﴾.

ومشتري خمسة احرف، وجهنّم مع التشديدة التي على حرف النون خمسة احرف، ولأن العرب يعدون التشديدة حرفاً مثل: فرَّ يفرُّ وهو على قياس

فعل يفعل، فرَّ حرفان وفعل ثلاثة احرف لان التشديد في فرَّ قامت مقام حرف واحد حتى ساوى فعل، وكما ان الياء من مشتري مفرده شبهته بالخفض كانها مستعارة باللفظ كذلك التشديدة قطعتان. وكما ان قطعة من مشتري اربعة احرف وقطعة حرف واحد كذلك قطعة من جهنم اربعة احرف وقطعة وهي التشديدة حرف واحد، ومشتري وجهنم اربعة اصول من الحساب فذلك دليل على انهما في رابع الافلاك من اعلى، وان كان المعاقب ممن آمن بالتأويل وسمعه ووعاه ثم ارتدَّ عنه وعلى اهله عناداً وجحوداً وأنكر اليوم الآخر على ما يوجبه التأويل والتنزيل معاً فاجتازت صورة شيطانية من فلك المشتري،ولا يطيق الاجتياز من فلك زحل فنشبت به النيران المتولدة من شدة دوران فلك المشتري وزحل فتبقى هناك معذبة واختلف الحكماء في حرف زحل، فقال حكماء المنجمين والفلاسفة، زحل ثلاثة احرف، وقال حكماء الديانة والاسلام ان زحل اربعة احرف تكملة الثمانية والعشرين حرفاً مع حروف اسماء الكواكب الستة التي سميناها، وهي:

مشتري، مريخ، شمس، زهرة، عطارد، قمر، ليكون ذلك على الأسابيع الاربعة التي هي النطقاء والاسس والاتماء والخلفاء. من هنا وجب ان تكون حروف كل سبعة ثمانية وعشرون عدداً مثل البروج السبعة في استواء الشمس الربيعي الى الاستواء الخريفي وهو: حمل، ثور، جوزاء، سرطان، اسد، سنبلة، ميزان. ومثل حروف الاشهر السبعة وهي: محرم، صفر، ربيع (١) ربيع (٢) جمادي (١) جمادي (٢)، رجب، وقد جعل اولها من شهر محرم، وآخرها من اشهر الحرم ايضاً لتصير دائرة راجعة الى اولها محدودة بالسيف كرجوع برودة القمر الى اولها التي هي برودة زحل وكرجوع الميزان بالاستواء الى الحمل، ومثل حروف الايام السبعة، وهي احد اثنان ثلاثة اربعة خميس جمعة سبت، مثل اضافة العدد بعض الى بعض واحد الى سبعة وهو واحد اثنين ثلاثة اربعة خمسة سبعة

وعدد حروفها كذلك ومثل حروف اسماء النطقاء السبعة وهم: آدم، نوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمد، قائم، ومثل حروف اسماء الاوصياء السبعة وهم: شيث، سام، اسماعيل، يوشع، شمعون، علي، مهدي، ومثل حروف اسماء الائمة السبعة وهو في دور محمد: علي، حسين، علي، محمد، جعفر، اسماعيل، محمد، ومثل حروف الدرجات السبع التي هي: سلالة، نطفة، علقة، مضغة، عظام، لحم خلقاً آخر، ومثل حروف المنازل السبع التي هي: معدن، نبات، حيوان، انسان، جن، ملك، انتهاء، ومثل حروف المراتب السبع التي هي: مستجيب، مأذون، داعي، حجة، متم، وصي، ناطق. ومثل هذا كثير كحروف الخلفاء السبعة، وحروف آية التوكل، وحروف الجمل من الآحاد الى الالوف، وعدد حدود الشهادة وعدد الركعات التي لا يجوز تركها للخاطر، وعدد بلوغ المولود الى غايته في العقل، فقد قيل: انه في العام الاول للسبعة تسقط سنة، وفي السبع الثاني يراهق، وفي السبع الثالث تستوي لحيته، وفي السبع الرابع يتم عقله، ومن بعده تجارب وتعاليم، وان في بعض اصل واحد الذي هو حروف المدبرات السبعة بالعربية مع شهرة شأنها وعلو امرها، كما ان اسماء هذه المدبرات السبعة بالفارسية لا تجاوز ايضاً ثمانية وعشرين حرفاً وهي: كيوان هرمز، ديهرام، مهر، تاهيد، بشرمة، واصولها سبعة على عددها ومما يزيد قولنا تأكيداً عن اللغة ان زحل مشتق من زوحل يزوحل زوحلة فهو مزوحل اي بعد فهو بعيد، ويقال ايضاً لكل من ابطأ في سيره زوحل يزوحل اي متخلف عن القافلة وبعير زوحل اي متأخر متخلف عن الدور. قال الله تعالى:

﴿انّا اعطيناك الكوثر﴾.

اي اعطيناك كثيراً، فيقال: كوثر من الكثرة، وقال المفسرون: الكوثر هو نهر في الجنة وهو كثير الماء، ومما يزيد قولنا تأكيداً ان اسم زحل ظاهر وباطن حتى كان ظاهره ثلاثة احرف وباطنه اربعة احرف دون اسماء سائر المدبرات، وكما ان ظاهره الكوثر على معنى ووزن فعول وهكذا

ظاهر زحل ثلاثي وباطنه رباعي، لان باطن كل شيء يدل على الاصول الاربعة دون ظاهره، ومن هنا اسمى الله هذا العذاب باسمين احدهما ثلاثي والآخر رباعي، فامّا الثلاثي فهو ويل، وقد قال:

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ .

يعني عند تأويلها غافلون... فويل ثلاثة احرف وقطعتان كذلك زحل عند حكماء الفلاسفة ثلاثة احرف وقطعتان، وامّا الرباعي فهو سعير وهو اربعة احرف مقابل زوحل، كما قالت حكماء الديانة وقد قال الله تعالى:

﴿ولقد زينّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير﴾ .

اي في الفلك السابع لتكون دائرة العذاب السعير، فرجّع في هذه الآية الفلك السفلي الى الفلك السابع كرجوع صاحب كل واحد منهم الى صاحبه . زحل سبعة اصول من الحساب يعني هو المدبرات من اعلى فيما بين الافلاك السبعة لئلاّ يقع في وهم احد ان المدبرات في الفلك المستقيم او في فلك البروج شيء، ويل، اصل واحد من الحساب، فذلك دليل على انه في اول الافلاك المدبرات، كما ان الواحد او الاعداد، سعير سبعة اصول من الحساب فذلك دليل على انه في سابع الافلاك من اسفل وانما جعلنا دلائل هذه الكواكب وابواب النار من الحساب لان اصل علم النجوم والافلاك هو حساب ويل، سعير جهنم، حطمة، لظى، هاوية، سقر كلها سبعة اصول من الحساب على عددها فذلك دليل على ان ابواب النار سبعة ليس لها ثامن تصديقاً لقول الله عز وجل:

﴿لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ .

فامّا تأويل قول رسول الله (ﷺ): «ان في الجحيم زمهرير يعذب به الكفّار» فهو ان موضع القطب بارد جداً، وكذلك الزهرة والقمر ابتدائهما زمهرير وهما باردان رطبان، وان المعاقب اذا قابل القطب والزهرة والقمر

وكوكباً له من البرودة خط، ثم إذا جاوزه نشبت النيران به، وذلك لان فلك البروج يدور ما في جوفه من الافلاك، والافلاك تدور في اهل النار مع دورانهم في الاعالي والاسافل مرة تحت الارض ومرة فوقها، وهنا نبين قول الله تعالى:

﴿كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾.

والخروج من تحت الارض، امّا الدليل على ان القمر والزهرة زمهريران باردان هو ان زمهرير في اصول من الحساب يدل على أن اكثر الزمهرير في الفلك الثالث من اسفل برودة اصل واحد من الحساب، فذلك دليل على ان البرودة في المدبر الاول من اسفل، وهنا نبين تأويل قول الله تعالى:

﴿لا تبقي ولا تذر لوآّحة للبشر عليها تسعة عشر﴾.

يعني الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر، لان الباري عز وجل قد خلقها مجبورة على تعذيب اهل النار وتقلبهم في الافلاك في الاعالي والاسافل، وايلامهم في النار والزمهرير. وقال الله تعالى:

﴿وما جعلنا اصحاب النار﴾.

يعني البروج الاثنى عشر خاصة.

﴿إلاّ ملائكة﴾.

يعني الأ مواضع الملائكة الذين هم اصحاب الاعراف المقيمون الى يوم القيامة بين الافلاك السبعة التي هي النار وبين العالم الروحاني الذي هو الجنة، والمواضع مرموزة في هذه الآية. وهذا مثل قوله تعالى:

﴿واسأل القرية.... الخ﴾

يعني اهل القرية، ومثل قوله:

﴿وجوه يومئذٍ ناضرة الى ربها ناظرة﴾.

اي الى ثواب ربها، ومثل هذا كثير في القرآن والاشعار ولغة العرب وقد تركنا ذكره مخافة التطويل وملالة القارىء. ثم قال الله تعالى:

﴿وما جعلنا عدتهم الاّ فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب﴾

يعني كتاب تركيب العالم كما قال الله تعالى:

﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾.

ثم قال:

﴿ويزداد الذين آمنوا﴾.

يعني الذين وصلوا الى العلم الثالث حتى صاروا مؤمنين... وقد قيل ان في النار حيّات وافاعي اراد بذلك الجوزهر وهو التنين الملتف بالافلاك السبعة، وله رأس وذنب. ولهذا قال الله تعالى:

﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم﴾.

اراد بالسلسلة الجوزهر وطوله على مقدار الافلاك السبعة. ومن هنا قول الرسول الاعظم (ﷺ):

«ان النار التي في الدنيا هي جزء من نار السعير» الا انها قد غسلت سبعون مرة يعني اجتازت هذه النار من الافلاك السبعة حتى وصلت الينا، وذلك لان كل عشرة هي اصل واحد من العشرات. وقال الرسول (ﷺ) ايضاً:

«ان في النار اودية وجبال وصعود وهبوط»... اراد بذلك الجوزهرات، والدرجات والظلمة والاوتاد والهبوط ــ والنحوس والعقود والوجوه والحدود وغير ذلك ممّا يعرفه حذّاق المنجمين. وهنا ايضاً نبين قول الله تعالى:

﴿فامّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاّ ما شاء ربك انّ ربك فعّال لما يريد﴾ .

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) انه قال:

« ان الله تعالى يفتح وقت الشتاء جزء من باب من ابواب زمهرير جهنم لكي تبرد الدنيا ، ويفتح جزء من باب من ابوابها وقت الصيف لكي تحمل الدنيا حرّاً ، كذلك قال المنجمون: ان هذا البرد وقت الشتاء انما يتولد من الافلاك والانجم، وكذلك الحر وقت الصيف يتولد منها ، فقول رسول الله (ﷺ) المرموز يقابله اقاويل المنجمين والفلاسفة ويوافقه ما قالت الحكماء في تأويل هذه الآية: لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم، اي سبعة ادوار النطقاء الذين هم اصحاب الظاهر اي لكل ناطق منهم شريعة معلومة، فظاهر مقسوم فيما بينهم، وفي تأويل قوله تعالى:

﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها... الخ﴾ .

اي كلما انقطعت شريعة صاحب دور ظاهرة بدلناهم ظاهراً غيره في الادوار، فأمّا في الدور الواحد فتأويله كلما فسد مذهب من المذاهب الظاهرية بدلناهم مذهباً غيره يعني من الظواهر المحضة الكلية المقسومة بين ادوار النطقاء السبعة، فذلك هو تأويل العذاب الادنى، لا تأويل العذاب الأكبر، وقد قال تعالى:

﴿ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ .

يعني دون عذاب النار المقسومة من الافلاك السبعة لعلهم يرجعون معه يعني عند وصولهم الى العذاب الادنى قبل ان يصلوا الى العذاب الأكبر الذي لا ينفعهم الرجوع حينئذٍ اليه، وما يؤكد قولنا قول الله تعالى:

﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا... الخ﴾ .

فالعذاب الادنى بين المتولدات الجسمانية في ادوار النطقاء، وعذاب الآخرة اشق وما لهم من الله من واق، والذين هم معاقبون في الافلاك

السبعة السفلية الذين هم اطباء القشرية ومهندسوها ومنجموها ومفلسفوها وفقهاؤها ومتكلموها لا يخلدون في العذاب، بل عذابهم على قدر طاقتهم بضبط صورهم الروحانية ثم يفيدون فيضمون الى سائر الناس من اضافة المقلدين الذين هم في الدوران لانهم منكرون لا جاحدون ولهذا قال تعالى:

﴿لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون﴾.

فامّا الذين هم معاقبون في فلك زحل الذين هم المؤيدون فعقابهم دائم، وانهم يتحولون عند فناء الافلاك الى العذاب الروحاني لتصورهم بالصورة الروحانية التي لا تبيد، لانهم جاحدون لا منكرون وكذلك قال الله تعالى:

﴿وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾.

وقال:

﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيي من ويحي عن بيّنة... الخ﴾.

فقد تبين بهذا ان المقلدين امواتَ في الدوران بعد فساد قوالبهم، والمؤيدون حساسون احياء معذبون فلذلك صار عذابهم ابديّاً، والفرق الستة الذين هم في الافلاك الستة السفلية واسطات بينهم وبين العامة فلذلك صار عذابهم متناهياً، ومن ههنا وصفهم الله تعالى فقال: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ وكذلك قال رسول الله (ﷺ):

«وان بعض الناس يعذبون على قدر ذنوبهم» اي على قدر بقاء صورهم الروحانية، والذين هم دون هؤلاء المعذبين، وفوق المقلدين فهم الارواح الفاسدة المترددة فيما بين السماء والارض وهم حرّاص على القاء الشرور في هذا العالم والاضرار به، كل واحد منهم يدور على قدر تباعده من التقليد ثم يخمدون ويتبددون فينضم كل جزء الى شكله باقياً في الدوران الى ان ينجو. ولعل سائل يسألنا عن تأويل قوله تعالى:

﴿ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزاً حكيماً﴾ .

ونقول ان تأويل هذا ان الله تعالى زجرنا ابلغ الزجر حتى وقفنا على بلوغ زجره من جهة المشاهدة ليكون احكم في التدبير وذلك لان في المشاهدة ما لا يؤلم احد الاّ بوجود ثلاثة اشياء احدها ان تكون الهيولى مهيأة لقبول الالم كالمضروب، والثاني لا يمتنع المؤلم عن الاتصال بالألم كالضارب من المضروب، والثالث الآلة التي بها يوصل المؤلم الألم الى المؤلم كالخشب وما اشبهه، فان صحّ ذلك نقول:

ان الله تعالى قال في دوام الهيولى:

﴿كلمّا نضجت جلودهم... الخ.﴾ .

ولو انهم وقفوا على الحقائق حتى تصوروا بصور لا تبدد ولا تبيد، وقال في دوام اتصال الألم الى المؤلم:

﴿كلمّا ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ .

وقال تعالى:

﴿ومن يهد الله فهو المهتدِ ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً﴾ .

وقد قلنا ان سعير اسم لفلك زحل الذي يعذب به المرتدون، وهذا تأويل هذه الآية في العذاب الابدي الذي استحقه المعاقبون بالاصرار على معاصيهم التي كانت قد سبقت منهم في عصيان آدم وحواء بعد ورود الرسل وبعدما وقفوا على حقائق ظواهرهم حتى خرجوا من عذاب هذا العالم مصرين على ذلك غير نادمين، فامّا تأويلها في العذاب لانتهاء الذي استحقوه بما سبق لهم من العصيان حتى اخرجوا من الجنة في وقت آدم

وحواء وهي مثبتة على جلود متولدات الجسمانية وتستحيل من جلد الى جلد في الدوران، وتكون محمولة على قشور الامهات الطبيعية التي تنتقل من صورة الى صورة في الجولان، ولذلك قال الله تعالى:

﴿لنذيقنهم العذاب . . . الخ﴾ .

يعني بين المتولدات الجسمانية في الدوران، وفي هذا المقدار الذي بيناه من تأويلها بلاغ للعاقل ومقنع للمسترشد، وفيما هو مذكور في كتاب «البرهان» غنىً عن اعادة ذكره هنا .

الأفلاك والنجوم ودرجاتها:

ان: زحل، مشتري، مريخ، شمس، زهرة، عطارد، قمر ثمانية اصول من الحساب، لذلك يكون هذا دليل على انه لا بد لهذه الافلاك السبعة تكملة الثمانية، واذا كان هذا الانسان ممن اقرّ بالتنزيل الذي هو الاسمي والسمعي التقليدي الاسلامي، وايقن بالممتزج الذي هو علم الآيات البصري الايقاني، وآمن بالتأويل الذي هو علم الحقائق القلبي المعقولي الايماني، فانه لا يكون معاقباً بل يكون جنيّاً مثاباً يجتاز صورته الطبيعية المهيأة لقبول اثار العالم العلوي من فلك زحل الى الفلك الثامن عند استحالته من الجنية الى الملكية فيكون هناك مع الملائكة المنتظرين ثواب ربهم، وذلك لان صورة هذا المثاب الطف من النار فلا تنشب بها النيران للطافتها اذا غلبت ناطقيته حسيته فتصيرها مثلها وكذلك قال رسول الله (ﷺ):

«ابواب الجنة ثمانية».

اي من اراد الوصول الى الفلك الثامن فقد نجا من عذاب النار وفاز فوزاً عظيماً، ومن ههنا قيل في عذاب الدنيا الذي هو العذاب الادنى في تأويل قول رسول الله (ﷺ): ابواب الجنة ثمانية اي من آمن بخليفته القائم سلام الله على ذكره الذي هو ثامن الخلفاء فقد نجا من العذاب الادنى وكذلك قلنا:

ان من وصل الى الفلك الثامن فقد نجا من العذاب الأكبر . : . فهذان التأويلان ايقانيان :

فأمّا التأويل الحقيقي الايماني فهو ان الجنة هي العقل ، وابوابها الثمانية هي النفس والحروف العلوية السبعة ، وممّا يؤكد ما قلناه قول الله تعالى :

﴿وان منكم الاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾ .

فتأويل هذه الآية اذا صرفته الى العذاب الادنى في العالم الوضعي فهو انه لا يتهيأ لأحد الوصول الى علم ما لم يقبل الظاهر اولاً في العالم الجسماني ، وهو انه لا يتهيأ لاحد الوصول الى العالم الروحاني ما لم يعذب في الدوران بين تراكيب الدنيا ومتولداتها ، واذا صرفته الى العذاب الاكبر فلأنه لا بد للصور الروحانية المهيأة لقبول العالم العلوي من الاجتياز على الافلاك السبعة التي هي ابواب النار حتى يتهيأ لها الوصول الى العالم الروحاني والصراط الذي شبهه رسول الله (ﷺ) بالجسر هو هذا لاغير . . . وقال رسول الله (ﷺ) :

« ان بعض الناس يمروا عليه كالفرس الجواد ، وبعضهم يمشي وبعضهم يسقط مرة ويقوم اخرى ، فقد وصفهم هنا على قدر لطافتهم وتهيأهم لقبول اثار العالم اللطيف ، وكذلك اخبر في قصة ليلة المعراج في صفات اهل الجنة واهل النار جميعاً ومن هنا اصاب العصاة ما اصابهم من الصواعق والخسف والقذف من السماء ثم احياهم الله تعالى بعد ذلك كقوله :

﴿واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ .

وكما اصاب المطيعين ما اصابهم من الرخاء والنعمة فمثل المؤمن المذنب عند اجتيازه بالصراط الذي هو دليل على الافلاك السبعة او كمثل سهم ملطخ بالنفط يرمي به في النيران المؤثرة فاذا اشتعلت فيه النار جاوز منها

الى الهواء الملاحق بها وكذلك المؤمن المذنب يصل الى الفلك الثامن وان اشتعلت نيران الافلاك السبعة عند اجتيازه فيها بجهدٍ جهيد وهو قول رسول الله (ﷺ):

« ان المؤمن المذنب يعذب في النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها ».

واما فلك البروج فهو ثمانية اصول من الحساب وذلك دليل على انها في الفلك الثاني من اعلى والفلك المستقيم واحد من الحساب، فذلك دليل على انه اول الافلاك من اعلى... اذ الواحد هو الأصل الأول في الحساب، فاذا دخل الفساد في السموات والارضين وتفرقت اجزاؤها وتبدلت تراكيبها يوم القيامة وصارت معدومة يوماً فحينئذٍ يبقى العالم الروحاني العلوي مع المثابين والمعاقبين الذين كانوا في فلك، زحل وهم المؤيدون، فكل شيء يلتذ به المثاب يومئذٍ يعذب المعاقب ويؤلم به لانه غير متهيأً لقبول اثاره، وذلك كمثل الشمس التي هي نعمة وراحة للاعين الصحيحة، وبلاء وسقم للاعين الرمداء لانها غير متهيأة لقبول اضوائها، والشمس دليل على العالم الروحاني، والاعين الصحيحة دليل على المثابين، والاعين الرمداء دليل على المعاقبين، وهو مثل العالم الروحاني مع المثابين المعاقبين وكمثل بعض الاشجار التي جذبت الماء الى نفسها وقت الربيع، وعجز عن جلبه البعض فلم يجذبه، فاذاً ظلها في الصيف صار من الشمس ومن نفحة الاشجار المروية لانها متهيأة لقبول اثارها وبلاء الاشجار الاخرى لانها غير متهيأة لقبول حرارتها، فكلما كانت الشمس آخر الاشجار المروية اطرى وأخضر وأحسن كانت الاشجار الاخرى ايبس وأوحش، فشبهنا الربيع بالدنيا والماء بالعلم والاشجار المروية بالمؤمنين، والاشجار اليابسة بالقشرية والشمس بالعالم الروحاني.

وان مثل عذاب الأبالسة بالفعل بعد يوم القيامة في العالم الروحاني كمثل العظام والعروق والاعصاب الحيّة الغير مكسوة باللحم والجلدين، وكمثل العظام والعروق والاعصاب واللحم الغير مكتسية بالجلد الذي به يتم

الخلق الآخر بين الصور المستقيمة في الدنيا، وذلك لان الصور المستقيمة في الدنيا هم الذين جازوا المراتب السبع في اصلاب ابائهم وبطون امهاتهم حتى تهيأ لهم بذلك قبول اثار ما في هذا العالم السفلي، فكذلك الصور المستقيمة في الآخرة وهم الذين جازوا المراتب السبع فيما بين الامهات الأربع والفلكين حتى تهيأ لهم بذلك قبول اثار العالم العلوي، فامّا السقط الذي صارت خلقته معكوسة في بطن امه، لانه عرضت له امّا من جهة الامهات، وامّا من جهة الافلاك فلم يتهيأ له بذلك الوصول الى الدرجة السابعة ووقف عند درجة من الدرجات التي دونها ولم يمكنه مجاوزتها فانه يخرج من الدنيا ناقصاً عاجزاً عن قبول اثارها ونعمها وتلك الآثار تصير والنعم عليها عذاباً والصور المستقيمة رحمة وثواباً، وكذلك الأبالسة بالفعل، فان صورهم في قوالبهم معكوسة عليهم الى الظواهر دون البواطن، ولاقتصارهم على العمل بالشرائع دون العلم، فلم يتهيأ لهم بذلك الوصول الى الدرجة السابعة ووقفوا عند الدرجة الخامسة، ولم تمكنهم مجاوزتها عن قبول نفخ التأييد في صورهم، ووصلوا بذلك الى العالم العلوي بالمخالفة عادمين للمشاكلة، ولم يتهيأ لهم لهذه العلة قبول اثاره ونعمه، فتصير تلك النعم والآثار عليهم عقاباً وعذاباً، والانس بالفعل وهم المثابون رحمة وثواباً، وهذا العذاب هو العذاب الروحاني الذي سميناه النار الروحانية، فقد ثبت بجميع ما بيناه ان عذاب المرتدين في ثلاثة مواضع: احدها في الدنيا كقول الله تعالى:

﴿ولنذيقنهم من العذاب الادنى... الخ﴾.

وهو عذاب القشور الادنى كقوله تعالى:

﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها. الخ﴾.

وقوله:

﴿دون العذاب الأكبر... الخ﴾.

يعني دون العذاب الذي بين الافلاك السبعة، لعلهم يرجعون، فلولا ان العذاب الادنى قبل فساد القالب والموت والاّ لم يكن لقوله تعالى ﴿لعلهم يرجعون﴾ معنى ولا فائدة، لان التوبة والرجوع لا يقبلان بعد الموت من التائب والراجع، والعذاب الثاني الذي بين الافلاك ومدته الى يوم القيامة، وكيفية مدة هذا العذاب مشروحة في كتاب «البرهان» فمن طلبه من المؤمنين الواقفين على العلم الثالث وجده... وانّما صاروا هؤلاء بين هذه الافلاك لان ارواحهم الحسيّة كانت مستفادة من الفلك ثم غلبت الناطقة في الدنيا لبعدها من التوحيد وفرارها من الايمان، فلم يتهيأ لها مفارقته اذ صار كل شيء مغلوباً، وكان في جوار الغالب مقهوراً، ولولا ذلك لم يكن المطر والزلازل. ومن هنا قال الرسول (ﷺ).

ان ارواح الكفار معذبة الى يوم القيامة في وادي برهوت بحضرموت وتاويل ذلك ان حضرموت يعني ان هذا العذاب بعد حضور موتهم حتى لا يتوهم احد ان هذا العذاب الادنى هو قبل حضور الموت، وامّا وادي برهوت فتاويله:

انه سبع قطع وهي دلائل على الافلاك السبعة، وأربعة اصول من الحساب دلائل على حقائقها الأربع التي هي: المشرق والمغرب والجنوب والشمال، وهما كلمتان دليلتان على قطبي لفلك الافلاك وفيه علامات الكواكب السبعة وذلك لان الواو من كيوان وواو كيوان من زوحل، ولام زوحل من ويل وداله من اورمزد من المشتري وميم المشتري من جهنم وياؤه من بهرام وميم بهرام من المريخ وميم المريخ من الحطمة وراؤه من خرشيد وشين خرشيد من الشمس وياء خرشيد مع ثلاثة حروف الشمس من لظى، وهاؤه من ناهيد، وها ناهيد مع ثلاثة حروف من الجحيم الزهرة، وياؤه من سروناسر من حروف عطارد وألف عطارد من هاوية والف من ماء وميم من قمر وقاف قمر من سقر فتبقى بعد ذلك من حروف وادي برهوت حرفان هما: الراء والباء والمعادن وهما ايضاً موجودان في اسماء هذه

الكواكب التي هي ابواب النار تأكيداً لما قلناه... وتصديقاً لما بيناه. وفي وجه آخر:

ان اسماء الكواكب السبعة بالفارسية على هذه الحروف المثبتة في تأويل وادي برهوت وان كانت على سبعة اعداد، فان اصول اجسامها لم تجاوز التسعة ولم ينقص منها، وهذا دليل على انه لا بد لهذه الافلاك السبعة من فلكين محيطين بها تكملة التسعة، كذلك وادي برهوت، وان قام كل حرف منه مقام كوكب من الكواكب السبعة فان اصل حروفه لم تجاوز من تسعة اعداد ولم ينقص منها ليكون ذلك دليلاً، على انه لا بد لافلاك هذه الانجم السبعة من فلكين محيطين بها تكملة التسعة والدليل على ذلك الحرفين الباقين من وادي برهوت، وهي الواو والتاء، فالواو من حروف فلك البروج، والتاء من حروف فلك المستقيم، وهذه الشهادة في الاسماء العربية ظاهرة في زحل الذي فلكه جامع الافلاك المدبرات الستة التي دونه، وانه وان كان عدد حروفه سبعة، فان اصول حسابه لم يجاوز التسعة، ولم ينقص منها ليكون ذلك دليلاً على الفلكين العظيمين المحيطين على الافلاك السبعة، وهذا ان الفلكان قد قاما في العالم الجرماني للافلاك السبعة مقام النار والهواء في العالم الجسماني للاقاليم السبعة التي هي كرة واحدة من الماء والتراب، ومقام الناطق والأساس في العالم الوضعي للائمة السبعة، ومقام العقل والنفس في العالم الروحاني للحروف العلوية السبعة، وان هذين الفلكين لا يعدوهما وهما الحكماء والنطقاء مع الافلاك السبعة بوجه من الوجوه ليكون ذلك دليلاً على ان الافلاك السبعة معدن العذاب، والفلكين العظيمين معدن اصحاب الاعراف الذين تخلصوا من العقاب وهم الملائكة الذين ينتظرون الثواب. والدليل قوله تعالى:

﴿الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهنّ.... الخ﴾.

وفي احاديث الرسول (ﷺ) عن السبع سموات اقوال كثيرة، وقد اجتمعت الامة كلها على ان السموات سبع، وكذلك الفلاسفة والمنجمون

لا يقولون ان الافلاك المدبرات اكثر من سبعة، وانهم اذا ارادوا ذكر جميع الافلاك في كتبهم قالوا: الافلاك المدبرات السبعة والفلكان العظيمان، وقالوا: الافلاك السبعة وفلك البروج وفلك المستقيم، وقد قالو ايضاً: ان لهذين الفلكين فلك الكواكب الثابتة وفلك البروج، وكل هذا دليل على ان حكماء الديانة والفلاسفة كلهم من اول الدهر الى يومنا هذا يفرقون بين الافلاك السبعة وبين الفلكين العظيمين تصديقاً لما بيناه، ولا يتولدون من دوران هذين الفلكين ناراً ولا حرارة كتولدها من دوران الافلاك السبعة التي دونها لانهما من طبيعة خامسة وانهما خارجان من الطبائع الاربعة فلذلك استحالا ان يكونا هيولى لشيء ما فيقبلان شيئاً من الحرارة والبرودة والرطوبات واليبوسات لانهما مسلوبات عن صفاتها والذي تمكن عن صفات طبائع البروج فيكون ذلك من اثارها لا من ذاتها، لانه قد يؤثر الحرارة من ليس حاراً كالحركة، ويؤثر البرودة من ليس بارداً كالسكون، وممّا يزيد قولنا تأكيداً ان هذين الفلكين لو كانا من طبع التراب والماء لتحرك عن المركز، فلمّا كانت حركتها لا الى المركز ولا عن المركز انتابنا العجب. وهل شيء من الافلاك السبعة يتحرك الى المركز او عنه؟ وان حركة المحيط اسرع الحركات فيجب ان تكون النار المتولدة بينه وبين فلك البروج اعظم النيران ودوران الكل على المركز، فالكل لهما طبيعة خامسة توجب تلك الطبيعة حركة على المركز، فهما اذاً يتحركان على المركز ويدوران ويديران معهما الافلاك السبعة كحجر المغناطيس الذي يدور الحديد معه اينما دار وان كان طبعه مخالفاً لطبع الحديد، ولولا وصل هذه الافلاك السبعة بهذين الفلكين على سبيل وصل الحديد لحجر المغناطيس والاّ كانت تبدلت وانحدرت بعض اجزائها الى الاسطقسين المحركين الى المركز في عالمها فلهذه الفضيلة ايضاً فرقت الحكماء باسرها بين هذين الفلكين وبين الافلاك المدبرات السبعة حتى لم يذكرهما معهما. وحدثني بعض من اثق به... قال سألت احد الحكماء عن الفلكين العظيمين، وقلت ان حكماء المنجمين والفلاسفة قد اجمعوا على ان الافلاك

تسعة سبعة منها مدبرات واثنان عظيان لا يعدان مع سائر الافلاك، وان رسول الله (ﷺ) اخبر عن السموات السبع ولم يبين في التنزيل ولا في الاخبار اي ذكر لهذين الفلكين مع شهرة امرهما عند جميع الحكماء وعلو شأنهما بين حذاق المنجمين ومع قوله عز وجل، ﴿وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون﴾.

وقد ذكر رسول الله (ﷺ) في اقاويله المرويّة: الكرسي والعرش، فالكرسي والعرش دليلان على الفلكين: الفلك المستقيم والفلك الثامن، وقد احاط الفلك المستقيم سائر الافلاك الثمانية والارض تصديقاً لقوله تعالى:

﴿وسع كرسيه السموات والارض... الخ﴾.

فالسين والياء من كرسي موجودتان في المستقيم، والراء من عرش موجودة في البروج، فلمّا كان الأمر على ما قلناه، فقد تبين تأويل قول رسول الله (ﷺ): ان ارواح المؤمنين تصير بعد موتهم طيوراً خضراً يطيرون تحت العرش الى يوم القيامة، وهذا القول مقابل لقوله (ﷺ): ان ارواح الكفّار معذبة الى يوم القيامة في وادي محضرموت ويقال له وادي برهوت، وفيما بيناه دليل على ان الافلاك السبعة معادن العذاب، والفلكان العظيان معدنان لانتظار الثواب وكما ان في الفلكين العظيمين من المثابين من ينتقلون في الثانية عند ظهور القائم بهويته البسيطة الى الثواب الابدي، كذلك في الافلاك من المعاقبين من ينتقلون عند ظهور القائم بهويته البسيطة الى العقاب الأبدي والصحيح المستقيم في الكرسي والعرش وقد تقول: انهما دليلان على العقل والنفس في العالم الروحاني الا ان الفلك المستقيم وفلك البروج قد قام في العالم الجرماني مقامهما، وكمقام الناطق والاساس في العالم الجسماني.

والعذاب الثالث فهو عذاب الآخرة يوم بروز القائم سلام الله على ذكره بهويته البسيطة، وكما ان الملائكة يصيرون يومئذٍ الى الثواب الابدي في العالم الروحاني كذلك الابالسة يصيرون يومئذٍ الى العقاب الابدي في العالم

الروحاني ايضاً، فكل شيء يلتذ به المثاب يؤلم به المعاقب على حسب ما بيناه والدليل على ذلك قول الله تعالى:

﴿فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليماً في الدنيا والآخرة . . . الخ﴾ .

يعني في عذاب الافلاك السبعة، والآخرة يعني في العذاب الابدي، الذي هو بعد يوم القيامة ومالهم في الارض ولياً ولا نصيرا . . وقوله تعالى:

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ .

والآن: نبين حال كل واحد من المتولدات الجسمانية والروحانية والطبيعية، وحال المعاقبين الذين هم الشياطين والأبالسة فنقول:

لا بد لنا من ان نقيس المتولدات الاربعة على الامهات الاربعة، فالمعادن مقابل التراب من الامهات فلهذا استطاعت الاغتذاء منه كما لم ينتقل عنه من حال الى حال ما يغتذي منه، وكما ان المعادن اسفل المتولدات كذلك التراب اسفل الامهات، وكما ان المعادن ذو الوان ولا طعم كذلك التراب ذو لون ولا طعم، وليس في المعادن اثار شيء من المتولدات الثلاثة الجسمانية لانها اسفل المتولدات والنبات مقابل الماء من الامهات، فلذلك استطاع الاغتذاء منه برأسه الراسب في الارض، وكما ان النبات ثاني المتولدات والطف من المعادن كذلك الماء ثاني الامهات والطف من التراب، وكما ان النبات بلون وطعم فكذلك الماء بلون وطعم،وكما ان النبات قاهر للتراب والمعادن من جهة واحدة التي هي السبق الأ على جميع الجهات. وان اثر المعادن موجودة في النبات وهو النواة، وقد تفرّد النبات بقوته النامية فضلاً عليها. والحيوان الخرس مقابل الهواء فلذلك استطاع استعماله للاغتذاء حين يتنفس وكما ان الحيوان الخرس قاهر للتراب حين وطئه وحقره، والماء حين شربه، والنبات حين اكله والمعادن حين علاّها من جميع الجهات. كذلك الهواء محيط بالماء والتراب من جميع الجوانب واثار المعادن والنبات موجودة في الحيوان الخرس وهي العظام والقوة النامية

وتفرد بالروح الحسية فضلاً عليها والبشر من المتولدات الاربعة الجسمانية وأعلاها والطفها كذلك النار رابعة الامهات الاربعة واعلاها والطفها وكما ان البشر قاهر لما دونه من المتولدات التراب حين وطئه وحقره واستعماله في ابنيته وجعل بعضه مزارع وبعضه مراحاً، والماء حين اجراه في الطواحين على وجه الارض، والهواء حين منه الطواحين، وفرق بين الحب والتبن، واظهره في المراوح وللتنفس كذلك النار محيطة بالهواء والماء والتراب واثار المعادن والنبات، والحيوان الخرس موجودة فيه فعظامه مقابل المعادن وقوته النامية التي بها يزداد شعره وأظفاره وجسمه مقابل التراب وقوته الحسيّة التي بها يبصر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس مقابل الحيوان الخرس، وقد تفرد بالروح الناطقة فضلاً عليهم جميعاً ، فكل واحد من هذه المتولدات الاربعة التي ذكرناها، وان كان مقابل ام من الامهات الاربع التي هي الصورة القائمة لم يخل عن سائر الامهات بطبعه وجسده المجبورين لانهم جميعاً مجبورون بطبائعهم وأجسادهم، فامّا المتولدات الاربعة الروحانية التي هي الشياطين والابالسة والجن والملائكة فكل واحد منهم لا يخلو من المتولدات الاربعة التي هي الهيولى على الترتيب، ولولا انهم مختارون في اجسامهم وأرواحهم جميعاً، الا انهم من جهة تثبت بقية اثار المتفردات فيهم مجبورون. ونحن نقيس المتولدات الاربعة الروحانية على هذه المفردات الاربعة قياساً مجازياً لا حقيقياً فنقول:

ان الشياطين مقابل الرطوبة وذلك لان لطائف المفردات الاربعة مثبتة بهم، وذلك ان الامهات الاربع التي كل واحد منهم روح مثبته بالمتولدات الاربعة الجسمانية والمفردات الاربعة التي كل واحدة منها فرد مثبتة بالمتولدات الاربعة الروحانية على الترتيب، وكما ان المفردات الطف من الامهات كذلك الذي ثبتت به المفردات الطف من الذي تثبتت به الامهات، والابالسة مقابل البرودة لانهم قد خلوا من الرطوبة، فلم يبق من اثارها فيهم شيء الا ان بعض لطائف اثار المفردات الثلاثة مثبت بهم ولهذه

العلة صارت الشياطين والابالسة معاقبين في النار المتولدة من الافلاك، لان النار منهمكة في احراق الاشياء الباردة الرطبة، ولا يمكنها احراق اليابس الحار لان النار لا تحرق نفسها، والدليل على ذلك ما نراه في المشاهدة من احراق النار الاشياء الباردة الرطبة وعجزها عن احراق الحار اليابس، ولولا برودة في الحطب وسائر النبات، ورطوبة في الاشياء الدهنية، والاّ لم يكن يتهيأ للنار احراقها والاشتعال بها. ذكر ذلك الحكيم الصادق في كتاب «المحصول» عن مضادة النار والماء ممّا فيه غنّى عن اعادته في هذا الكتاب.

امّا الجن فمقابل اليبوسة وذلك لانهم قد خلوا من الرطوبة والبرودة، ولم يبق فيهم من اثارها شيء الا ان بعض لطائف اليبوسة والحرارة مثبتة بهم، وقد قيل ان قوالبهم هوائية وقوالب الملائكة نارية وأهل الجنة مستغنون عن الامهات، ولذلك صار وضوء الانسان مائياً. وتيممه ترابياً ووضوء الجن هوائياً وتيممهم مائياً. ويجوز للبشر التيمم بما هو من جنس الارض. وكذلك ضرب الله تعالى مثلاً حيث قال:

﴿قال انا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾.

وهذه رموز خفية مستورة مبيَّنة في كتاب «البرهان». وكما ان البرودة الطف من الرطوبة، واليبوسة الطف من البرودة، والحرارة الطف من اليبوسة، كذلك ابليس الطف من الشيطان والجن الطف من ابليس، والملك الطف من الجني، وكما ان الاثنان اللذان هما المعادن والنبات من المتولدات الاربعة الجسمانية موات، والاثنان اللذان هما الحيوان الخرس والبشر احياء كذلك الاثنان اللذان هما الابالسة والشياطين من المتولدات الاربعة الروحانية معاقبون، والاثنان اللذان هما الجن والملائكة مثابون وكما ان بدء التراكيب كان من المفردات التي هي الهيولى، ثم من الامهات التي هي الصورة، وكذلك كان مجاز الصورة الروحانية عند تخلصها من الامهات على المفردات حتى يتهيأ لها بذلك التخلص من الجميع والوصول الى معدنها الذي بدت منه متنعمة خالدة، وكما ان بدء الصورة الجسمانية من المفردات

ثم من الامهات كذلك بدء الصورة الروحانية من الامهات ثم من المفردات على العكس، ولهذا قلنا : ان بدء انبعاث الصور الجسمانية من الآباء التي هي الافلاك، ثم من الامهات التي هي الاسطقسات، وبدء انبعاث الصور الروحانية من الامهات التي هي الاسطقسات، ثم من الآباء التي هي الافلاك، والنسبة ابداً ثابتة، ففي الدنيا الى الأب، وفي الآخرة الى الام، وكما ان المتولدات الاربعة الجسمانية من الامهات الاربعة التي هي التراب والماء والهواء والنار، كذلك المتولدات الاربعة الروحانية من القوى الاربعة التي هي النامية والحسيّة والناطقة والعاقلة، وكما ان كل واحدة من الارواح الاربعة اثر في كل واحدة من المتولدات الجسمانية من السفل الى العلو ثم قام الجميع، فالمتولد الخامس من السفلي مقام القالب كذلك اثر كل واحد من المفردات الاربعة في كل واحد من المتولدات الاربعة من الروحانية من العلو الى السفل ثم قام حيث صار صورة للمتولد الخامس من السفل مقام القالب، كذلك اثر كل واحد من المفردات الاربعة في كل واحد من المتولدات الاربعة من الروحانية من العلو الى السفل ثم قام حيث صاروا صورة المتولد الخامس من اعلى مقام القالب وكما ان كل مولود كان اعلى والطف من المواليد الاربعة الجسمانية كانت الارواح فيه اكثر كذلك كل مولود هو اسفل واكثف من المواليد الاربعة الروحانية التي كانت المفردات فيها اكثر، وانما كان ذلك كذلك، لان المواليد تجتهد في التخلص من الطبائع وآثارها في الجبر والاختبار حتى يتهيأ لها بذلك الوصول الى العالم الروحاني، وكل مولود هو اسفل وكثف فهو في اثار الطبائع الطف وكل مولودهو اعلى والطف فهو في اثار الطبائع ابعد واصفى، ومثل ذلك كمثل درة وقعت في الغائط والبول فمتى ما رفعت منها كانت ملطخة بشيء منها، ولكن اذا غسلت ذهب عنها كل شيء ورجعت الى حالتها الاولى، وقد شبهنا الارواح بالدرة وشبهنا وقوع الدرة في الغائط والبول بتثبت المفردات بالمتولدات الاربعة الروحانية، وشبهنا صفاء الدرة عند ذهاب النتن عنها بالصورة المستقيمة الروحانية الخالدة الابدية والصافية التي هي الانسان بالفعل، وكما ان قوى الارواح كانت اثار في المتولدات الاربعة الروحانية

وقوالب المتولدات الاربعة الجسمانية، **وكأبدان** ونشوء المتولدات الروحانية في عالم الامهات وجب ان تكون قوالبهم في بدئهم من الامهات، وكما ان خروجها من حد القوة الى حد الفعل كان خارجاً من عالم الامهات، وجب ان تكون قوالبهم من الارواح. وقد ذكرنا هذا الفصل في كتابنا هذا عند ذكر الارواح والقوالب، وقد اعدنا ذكره في هذا المكان لحاجتنا الى ذلك.

فأمّا اهل الجنة الذين هم الانس بالفعل فانهم قد تخلوا عن جميع الطبائع وفارقوا جميع الامهات والمفردات من ارضهم الروحانية التي يكون بها قرارهم ـ القائم ـ سلام الله على ذكره ومأواهما الروحاني النفس وهو أهم الروحاني للعقل، وقامت الكلمة للعقل والنفس والقائم في العالم العلوي مقام النار للهواء والماء والارض في العالم الاسفل. وهنا يصح تأويل قول الله تعالى:

﴿ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون، واشرقت الارض بنور ربها... الخ..﴾.

وهذا التأويل هو تأويل الانتهاء به... وتأويل آخر في هذا المعنى وهو:

ان اسفل المتولدات الاربعة الجسمانيـة المعـادن وهـو مقـابـل الارض الجسمانية، وثانيها النبات وهو مقابل الماء الجسماني، وثالثها الحيوان الخرس وهو مقابل الهواء الجسماني، ورابعها البشر وهو مقابل النار الجسمانية، ثم ترجع المعقولات الاربعة الروحانية في الدوران معكوسة عندنا لا عندهم حتى يصل الرابع منهم الى القرار الذي هو الارض الروحانية، وذلك ان الابالسة مقابل النار الروحانية وكذلك عوقبوا بها في الآخرة عند بروز القائم سلام الله على ذكره بهويته البسيطة. والجن مقابل الهواء الروحاني، والملائكة مقابل الماء الروحاني، واهل الجنة مقابل الارض الروحانية، والعقل والنفس مقابل الشمس والقمر الروحانيين، والكلمة مقابل نور الشمس الروحاني، وجميع ما قلناه وفصلناه تقرباً الى الاوهام وتقريراً في الافهام، لان هناك مكاناً وزماناً وانتقالاً وتحويلاً يؤكد قولنا في هذا

البيان ما قاله: « بليانوس » الحكيم في كتابه المسمّى « مواريث الحكماء »:

بانه لمّا وجب ان تكون القوة الطبيعية في اول الحال ارجح، والقوة النفسية اضعف، وقد اوجب ان القوة الطبيعية في الآخرة تصير ضعيفة، والقوة النفسية تصير قوية، وكان الموجود اولاً من المواليد الخيال وكانت كثافته من النفس كثيرة غزيرة، ولطافة قليلة ضعيفة فوجب بذلك ان تصير القوة النفسية في آخر الحال عظيمة مثل الخيال، والقوة الطبيعية مثل اللطافات التي فيها ضعفاً وصغراً وان الغرض ان تصير اللطافة خارجاً كما كانت الكثافة خارجاً، ولكن اللطافة في الكثرة والقوة مثل ما كانت الكثافة وذلك ان المواليد وجب ان تنشأ من هذه الارض التي هي غاية الكثافة وكان انتهاءها الى النفس التي هي غاية اللطافة فلمّا ابتدأ في التولد جاء الولد بقشر يشبه والدته التي هي الارض، وفي الحالة الثانية بقشر يشبه والدته الاخرى التي هي الماء، وفي الحال الثالثة بقشر يشبه والدته الثالثة التي هي الهواء، وفي الحالة الرابعة بقشر يشبه والدته الرابعة التي هي النار، والحالة الاولى هي الياقوتية والذهبية في قشورها الحجرية الكثيفة، والحالة الثانية هي الاصباغ والارايح والمذاقات في قشورها النباتية النامية، والحالة الثالثة هي البهيمية في قشورها مقابل النار التي الانتصاب مثلها حسية، والحالة الرابعة هي البشرية في صورتها الصافية المستقيمة التي هي مقابل النار التي الانتصاب مثلها كانتصاب البشر، واذا تناهت به هذه الاحوال الاربع الى حال خامسة هي تكون الطف من هذه وصار يتدرج منها درجة درجة حتى ينتهي ثانياً الى الدرجة الارضية الا ان تلك الارض تكون حينئذٍ الطف من هذه النار الجسمانية بدرجات لا تحصى اعدادها، وهذا رمز له حقيقة، وذلك ان المولود اذا بلغ حد النار التي هي الحالة الرابعة من صورة البشرية رجع بعد الموت في الدوران معكوساً متقلباً تحت نار لطيفة روحانية مؤدية في التدبير اذا كان مستحقاً للثواب الى هواء لطيف روحاني يؤديه ذلك الماء الى ارض لطيفة روحانية ينتهي به القرار اليها، فلها اذن عند تدبير كل انتقال من الانتقالات الروحانية ايضاً ظهوراً في

عالمه بصورة لها قشر يشبهها الى ان ينتهي به القرار الى الارض التي تنعكس اليها، فبدايته ارضي ونهايته ارضية. وهنا نبين قول الله تعالى:

﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى﴾.

فالاخراج تارة اخرى معناه ان الصورة اذا انعكست اليها في الحال الآخرة لنشأت نشوءاً نباتيا فظهرت عجائبها وهو اخراج الارض اثقالها التي ذكرها الله تعالى بقوله:

﴿وأشرقت الارض بنور ربها﴾.

وتأويل ذلك مذكور في كتاب «الفصل» وفي كتاب «البرهان» ما فيه غنى عن ايضاحه هنا. وانمّا بيّنا طرفاً مرموزاً ليكون الباحث عند قراءته في طلب العلم الثالث الذي هو علم الحقائق حريصاً في البحث عنه عند اربابه. فنقول:

ان اشباه الانعام الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿اولئك كالانعام بل هم اضلّ... الخ﴾.

فلو انهم وقفوا على علم التوحيد لم يكونوا مقلدين، ولو لم يكونوا مقلدين لما كانوا في الدوران بين الامهات معذبين فيما بين الحياة والموت تشبيهاً بالحيوان الخرس والانعام، ثم ان الواقفين على الصناعات التي هي صناعة الطب وصناعة الهندسة وصناعة النجوم وصناعة الفلسفة وصناعة الفقهاء وصناعة الكلام لو كانوا قد وقفوا من جهة التأويل والحقائق على علم التوحيد والدلائل والتنزيل والارادة والمراد بكيمياتها وكيفياتها ولماتها وأنزلوا كل واحد منهم منزلته لما كانوا منكرين، ولو لم يكونوا منكرين ما صاروا شياطين، ولو لم يصيروا شياطين ما كانوا بين الافلاك الستة معاقبين على قدر بقاء صورهم التي تؤديهم الى الدوران بين الامهات... ثانياً: ان الواقفين على ما كان مستوراً عند الشياطين لو لم يجحدوا ما كانوا ابالسة، ولو لم يكونوا ابالسة ما صاروا معاقبين خالدين آبدين،

والدليل على ذلك ان «عزازيل» لو كان في علمه ان المعبود بالسجود هو الباري تعالى دون آدم، وان كان المدلول به آدم ما صار ابليساً، لكنه لمّا اراد لآدم ما كان يتمنى لنفسه جحد مرتبته لذلك وعصى المعبود والمدلول حتى صار ابليساً معاقباً، ثم ان كل شريعة الّفها رسول من الرسل بعد آدم كان بناؤها في الباطن على الدلائل والمدلول اذا كان سبيلهم في ذلك لان كل شيء اراد ان يحدث في اولاد آدم صلوات الله عليه وعليهم، وذلك لان كل شيء اراد ان يحدث في اولاد آدم جعله الله عز وجل مبروزاً في امور آدم، كما ان كل شيء يكون بدءه من شيء فيكون مبروزاً في ذلك الشيء الأول بالقوة، فلهذا نقول ان الله تعالى جمع في آدم وحواء كلما يجري في جميع اولادهما من الطاعة والمعصية والذنب والتوبة وغير ذلك لا يحدث في اولادهما ممّا قلّ او كثر او عظم او صغر الاّ وقد جرى على آدم وزوجته، وذلك لان اولادهما بين مطيع وعاصي وبين كافر متمرد ومؤمن مخلص، وبين رسول كامل وعدو تام العداوة بازائه، وان آدم وحواء كانا مجمع البشر كذلك اولادهما وان كثر عددهم لا يجاوزون من ذكر وانثى، وان عصيان ادم شبيه بما يرتكب العاصي من المنكرات وتوثبه شبيه بتوثبهم وقبول توبته شبيه بقبول توبتهم ومضادة ابليس شبيه باضداد الرسل والانبياء، وذلك كما قال الله تعالى:

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوّاً، شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض... الخ﴾.

فالذي لم يجر من ادم جرى من اولاده في حياته فوقف عليه من ذلك قتل قابيل لهابيل فجرى ذلك في البشر الى يوم القيامة، ومن البشر من يخرج من الدنيا على الطاعة المحضة في اول عمره الى آخر فهو شبيه بهابيل، ومنهم من يخرج من الدنيا على المعصية من اول عمره فهو شبيه بقابيل، ومنهم من يجري امراً على الطاعة والمعصية فهو شبيه بآدم. وقد قال الله تعالى:

﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه﴾.

فلهذا قلنا ان الشرائع التي شرعها الرسل بعد ادم كان بناؤها على علم التأويل والدلائل والمدلول لان السجود الذي امر الله تعالى الملائكة به لآدم بنيَ على علم التأويل والدلائل والمدلول، وكان المعبود بذلك السجود للباري جلّ ذكره، والمدلول به آدم، والعبادة هي السجود، والدلائل هي علم التأويل، كذلك الشريعة التي الفها محمد (ﷺ) فان سجودها مدلول آدم دورنا والمعبود بها الله جل ذكره دون آدم وذلك لان التنزيل والشرائع حكم الظاهر وحكم الباطن، فامّا حكم الظاهر فهو الوقت والوضوء والصلاة وما اشبههما، وحكم الباطن هو معرفة الدلائل والمدلولين ومراتبهم، وانزل كل واحد منهم منزلته والاقتباس من علومهم، وكما ان الصلاة لم تجر في حكم الظاهر الاّ بمعرفة الوقت ولم يكن المعبود بذلك الاّ الباري عز وجل دون الوقت، كذلك الصلاة لا يجوز في حد حكم الباطن الاّ بمعرفة المدلول ولم يكن المعبود بذلك الاّ الباري عز وجل دون المدلول، والاّ فما الفرق؟

وانّا لمّا رأينا ان الصلاة لا تجوز في حكم الظاهر الاّ بالقبلة والماء والتراب والمعبود هو الباري عز وجل دونهم علمنا بذلك ان الصلاة ايضاً في حكم الباطن لا تجوز الاّ بمعرفة التأويل والدلائل والمدلول والمعبود بها هو الباري جل ذكره دونهم. وقال الله عز وجل:

﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾.

اي عن تأويل صلاتهم غافلون... وهكذا سبيل اسماء الله وصفاته فهي السبيل التي وصفناها اذ كل صفة منها دليل على حد من الحدود الذين هم وسطاء بين الباري عز وجل وبين الباحث المستجيب، والمراد به الله دونهم، فالواصف هو الباحث، والصفات هي الدلائل، والموصوف هو المدلول، والمراد به هو الباري عز وجل دونهم، والمراد به ايضاً هو المعبود، وحد الصفات هو العبادة. وقد قال رسول الله (ﷺ):

« ان لله تسع وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة » .

وقد عنى بذلك المنصوبين لنشر امر الله بين المستجيبين وهو تسع وتسعين فرداً فمن عرفهم وتولاهم وأنزل كل واحد منهم منزلته الموهوبة له، وعلم ان المعبود هو الباري عز وجل دونهم استحق المفاتحة واطلق لسانه وابيح له التدرج في علم الحقيقة في هذا العالم، ووجب له الثواب الجزيل في معاده... ومثل هذا قول الرسول (ﷺ):

« من قال لا اله الاّ الله مخلصاً دخل الجنة » .

فقيل يارسول الله وما اخلاصها ؟ قال: معرفة حدودها واداء حقوقها، وتأويلها الموجز هو تأويل قوله: ان لله تسع وتسعين اسماً من احصاها دخل الجنة، امّا تأويلها التام فقد ذكره الحكيم الصادق في كتاب « المحصول » وفي ذلك غنى عن اعادتها هنا، واني تركت كل ذلك مخافة التطويل، لان الغرض من هذا الكتاب هو البيان عن امور الملائكة والجن والشياطين والأبالسة. ولهذا نقول:

ان الاشياء المخرجة من حد القوة الى حد الفعل من البدء الى الانتهاء منقسمة على سبع ارباع اثنان من كل اربعة لطيفان واثنان كثيفان، فالاربعة الاولى منها فوق الطبيعة والاربعة الثانية عناصر الطبيعة، والاربعة الثالثة عالم الطبيعة، والاربعة الرابعة علل القبل والبعد، والاربعة الخامسة الامهات الطبيعية والاربعة السادسة المتولدات الجسمانية والاربعة السابعة المتولدات الروحانية،... واني الآن ابين جميع ذلك بايجاز واختصار مخافة التطويل وملل القارىء المستفيد، واذا استغلق على المتعلم من هذا العلم شيء فعليه بالسؤال من المستنبطين او قراءة ما اورده الحكيم الصادق في كتاب « المحصول » .

ان الارباع السبعة كل واحد منهم اسم هو مجمعها والكلمة تجمع الاربعة التي هي فوق الطبيعة وان الاثنان منها مختاران سميعان بصيران حيّان

عالمان قادران وهما العقل والنفس وان كل واحد منهما محدودان لا الى غيرهما ولا نهاية لهما الاّ من جهته التي اتحد كل واحد منهما بصاحبه، وان العقل مبدع ابدعه الباري عز وجل لا من شيء، والنفس مخلوقة خلقها الباري تعالى من العقل، والاثنان منها مجبوران منفعلان من فوق وفاعلان بالجبر من تحت وهما الحركة الوهمية والسكون الوهمي، وهما متولدان من العقل والنفس، وذلك ان العقل لمّا كان تاماً بالفعل، والنفس تامة بالقوة، وصارت النفس محتاجة الى فوائد العقل لتفتدي بها وتصير تامة بالفعل، فمن اضطرابها لا ستدعاء الفوائد حدثت حركة وهمية ثم سمت راحتها عندما نالت الغذاء او السكون الوهمي وكلاهما متولدان من النفس، الاّ ان النفس لمّا كانت منبعثه من العقل اضيف تولدهما اليهما جميعاً. وامّا الاربعة التي هي عناصر الطبيعة فيجمعهم الهيولى وهي المفردات الاربعة التي هي الحر والبرد واليبس والرطب،فاثنان جوهران متولدان من الحركة والسكون الوهميان احدهما ذكر والآخر انثى فامّا الذكر فهو المتولد من الحركة الوهمية وهو الحر، والانثى متولدة من السكون الوهمي وهي البرد فمن هنا وجب ان الحركة تولد الحرارة حيثما كانت، والسكون يولد البرودة، وكما ان الحركة كانت فاعلة ولدت فاعلاً ذكراً، والسكون كان قابلاً ولد البرودة انثى مهيأة لقبول الفعل. واثنان ينتجان متولدان من الحر والبرد احدهما فاعلاً ذكراً والآخر قابل انثى، فامّا الذكر فهو المتولد من الحر وهو اليبس، والانثى متولدة من البرودة وهي الرطوبة،وكما ان الحركات فاعلاً ذكراً والبرد كان قابلاً انثى ولد قابلاً انثى. امّا الاربعة التي هي عالم الطبيعة فيجمعها الصورة اي المغرب والمشرق والجنوب والشمالي المتولدة من الهيولى التي هي المفردات، فاثنان منها ذو جسدين، لان كل واحد منها ذكر وانثى احدهما المشرق وهو حار رطب جوهره ذكره ونتيجته انثى وله من البروج الجوزاء والميزان والدلو، ومن الكواكب المدبرات المشتري والراس الآخر، والمغرب فهو بارد يابس جوهره انثى

ونتيجته ذكر وله مـن البروج الثـور والسنبلـة والجدي ومـن الكـواكـب المدبرات زحل والذب وعطارد، واثنان منها ثابتان لان كل واحد منهما من نوع واحد اعني الذكر به والانثيه. احداهما الجنوب وهي حارة يابسة وجوهرها ونتيجتها ذكر ولها من البروج الحمل والاسد والقوس ومن الكواكب المريخ والشمس والآخر.. امّا الشمال فهي باردة رطبة جوهرها ونتيجتها انثى ولها من البروج السرطان والعقرب والحوت، ومن الكواكب الزهرة والقمر، فمنتهى الجنوب خراب لشدة حرارته لا ينبت هناك نبات ولا زرع ولا يكون للحيوان فيه حياة، وكذلك منتهى الشمال خراب لشدة برودته فلا يبقى هناك نبات ولا حيوان، ومن هنا صار البشر من ناحية الجنوب سوداً والبشر في الشمال بيضاً، ومثلهم في ذلك كمثل الخبز الذي في التنور فاذا حرق كثيراً صار سوداً، واذا لم تكن هنالك نيران زائدة صار الخبز ابيضاً.

والمنجمون يسمون العالم الجرماني عالم الافلاك والنجوم، والفلاسفة يسمون عالم الطبيعة كما سميناه. امّا الاربعة التي هي علل القبل والبعد فيجمعهما الصيف والشتاء والربيع والخريف المتولدة من عالم الطبيعة الذي هو الافلاك والكواكب. والبروج اثنان منها اصلان احدهما الصيف وهو حار يابس بجوهره ونتيجته ذكر، والآخر وهو الشتاء وهو بارد رطب بجوهره ونتيجته انثى وقد ذكر الله تعالى الصيف والشتاء بقوله:

﴿رحلة الشتاء والصيف... الخ﴾.

ولم يذكر الربيع والخريف لان الشتاء والصيف اصلان، والربيع والخريف منسوبان اليهما متولدان من بينهما، واثنان منهما فرعان احدهما الربيع وهو حار رطب جوهره ذكر ونتيجته انثى شتوي، والآخر هو الخريف وهو بارد يابس وجوهره انثى شتوي ونتيجته ذكر صيفي. وامّا الاربعة التي هي الامهات فيجمعها الفضاء وهي: النار والهواء والماء والارض، فاثنان منها لطيفان احدهما النار وهي من عكس المريخ والشمس وهي حارة يابسة

جوهرها ونتيجتها ذكر، وثانيها الهواء وهو من عكس المشتري وهو حار رطب جوهره ذكر ونتيجته انثى، واثنان منها كثيفان احدهما الماء وهو من الزهرة والقمر بارد رطب ونتيجته انثى، والآخر هو الارض وهي من زحل والذنب وهي باردة يابسة جوهرها انثى ونتيجتها ذكر، ولمّا كان جوهرهما انثى صار اكثف من النار والهواء محيطاً بهما وصاروا ملونين لكثافتهما، ولا لون للنار او للهواء للطافتهما. وقد روى الحكماء القدماء من اصحاب الطبائع ان الملون بالحقيقة منها هي الارض وذلك لتماسك اجزائها لانها في طبعها باردة يابسة وهاتان الطبيعتان يوجبان الانحصار فاذا انحصر الجسم غاية الانحصار ولم يمتزج او تتبدل اجزاءه من ملاقاة الخامس ادرك البصر كيفيته ولونه. وامّا الماء فقد اوجبوا ان له لوناً ضعيفاً شديد الاستحالة، وذلك انه كان محسوساً بالبصر، فان لملاقاة الارض وما يحيط بها من الاماكن على قدر كيمته وفي انحصاره تختلف الالوان المحسوسة فيه فانه اذا كان متسطح على سطح الارض مضمر لوقوع الضياء عليه رأى لونه نهايته الصفاء والبياض، واذا كان محصوراً في موضع عميق وكان كثير الكيمية فيه ورأى لونه لتهيئة الخضرة والسواد والالوان المختلفة وذلك لرقته وتموج اجزائه وامّا الهواء فقد اوجبوا ان لا لون له اصلاً فان ظنَّ ظان ان ما يراد في اوقات الضباب والابخرة انمّا هو لون الهواء فقد اخطأ، لان ذلك المحسوس المرئي هو اجزاء ارضية صعدت بها الحرارة فوقعت تحت حاسة البصر . وقد قال بعض الحكماء من اصحاب الطبائع: ان للهواء لوناً ضعيفاً اضعف من لون الماء ولا يطاق رؤيته من ضعفه الاّ عند وقوع الشمس عليه في بيت مظلم وهو الدر الذي يرى، وأوجبوا ان جميع العالم مملوءاً منه،وامّا النار فقد اوجبت الحكماء ان لا لون لها اصلاً لحرارتها وانبساط اجزاءها. وامّا المحسوس الذي يسمّى ناراً فانما هو لهب ونار عاملة من بخار او دخان قد التهب وأسعر فحركت النار فيه، ومتى فارقتها البرودة ولم يلحقها البصر وان كان الاحراق قائما وكذلك اذا ضربها الهواء والريح تفرق اجزائها كما تفرق اجزاء الماء

المحصورة في موضع من الارض اذا ضربته ريح قاهرة له، وان الريح هو الهواء اذا تحرك، والماء اذا تحرك سمي موجاً، والارض اذا تحركت سميت زلزلة وهذه الامهات الاربع في افعالها مجبورة طبيعية، وذلك لان الفعل يكون فعل قدرة وفعل طباع ففعل القدرة انه يحتاج ويؤثر ويفعل في شيء واحد افعال متضادة ومتخالفة ومتشاكله كفعل الانسان في الثوب عندما يخيطه ويمزقه ويطويه وينشره، وكفعل الصائغ في الفضة ان يحدث فيها ومنها صوراً كثيرة، والطبيعة ايضاً تفعل في شيء واحد الاّ فعل واحد وتأثير واحد كفعل النار فانها محرقة ابداً وأفعال الطبيعة ثلاث فقط يدفع بين متضادين، ويقبل بين خلافين ليس بمتضادين او تقوية بين شكلين وليس غير هذه الافعال الطبيعية فعل البتة ومثال ذلك ان الحرارة دافعة للبرودة التي هي متضادة او قابلة الرطوبة، واليبوسة مضادة للحرارة، والبرودة مضادة للرطوبة والشكل متفق لشكله، فليس بين المتضادين قبول ولا تفرقة، ولا بين الخلافين دفاع ولا تقوية، ولا بين الشكلين دفاع ولا قبول لان اسم قبل لم يقبل انما يقع على ما لا يجوز ان يقبله ويقبل سواه الذي هو ضده، كالحرارة التي قبلت اليبوسة ثم خلتها عند قبول الرطوبة. واما المسمّى الحار واليابس والبارد والرطب فهي الامهات الشاغلة للفضاء الذي هو مجمعها حتى صار بتمكنها فيه مكاناً لها وهو الحامل لهذه الطبائع المتضادة فيصير بعد ان كان حاراً بارداً، بارداً حاراً ،وبعد ان كان يابساً رطباً، رطباً يابساً، والحرارة لا تصير برودة ابداً، ولا البرودة حرارة، ولا الرطوبة يبوسة ولا اليبوسة رطوبة ابداً، فعلى هذا السبيل سائر الاجسام من الفضاء هيئتها وعظمتها وكبرها ومساحتها حتى يصير ذلك الفضاء مكانها لا على مقدار زنتها وخفتها، وذلك لانا اذا اخذنا آنية وملأناها زئبقاً وكان وزن الزئبق الذي ملأ تلك الآنية الف درهم، ثم اخرجنا الزئبق وملأناها ماءً، فكان وزنه اقل من ثمانين وقد استويا في المساحة وشغل المكان، ثم اذا ملأناها زيتاً صافياً فكان وزنه اقل من سبعين، وكلما فرغنا الآنية من هذه المعاني، امتلأت من الهواء على مقدار ما كان فيها من الاجسام الى ان

فرغناها من الدهن واستوت الاقدار الاربعة اعني الزئبق والماء والدهن والهواء في العظم والكبر والمساحة، واختلفت في الاوزان اختلافاً متفاوتاً الى ان تمكن فيها الهواء الذي لا وزن له، لاننا اذا اخذنا آنية خالية من الهواء ثم وزناها ، وبعد ذلك ملأناها من الهواء ووزناها فلا تزيد الاَّ قليلاً .

واذا وصلنا الى هنا نضع امام القارىء هذه الدائرة:



ان الافلاك متحركة، كالذكر، والارض ساكنة من تحتها كالاناث والمتولدات تتولد فيما بينها . . . ثم انا وجدنا بعد ذلك الفلك الاعظم الاعلى المعروف بالفلك المستقيم ساكناً وسكونه لا كالسكون المشاهد المعروف عندنا ولا نجد بداً من ان نقول:

هو ساكن لما وجدناه مكاناً للمتحرك والساكن . . . ونقول: هو ساكن لا بنوع السكون المشاهد عندنا بل على ما ذكرنا لا يحويه الوهم، وذلك لان السكون الوهمي المتولد من النفس قام له مقام الروح للبدن . . ويقول بعض المنجمين: ان الفلك المستقيم يسير في كل مائة وعشرين سنة مقدار ما يسيره فلك البروج في يوم وليلة وذلك لان حركته بالحقيقة هي السكون الوهمي لان كل واحد من اجزائه على اي حال وجد في وقتين وفي مكان واحد، وهذا هو معنى السكون. وكل واحد من سائر اجزاء الافلاك لا يوجد في وقتين في مكان واحد ولذلك وجب في مسيره في قول بعض المنجمين في كل ماية وعشرين سنة مقدار ما يسيره سائر الافلاك في يوم وليلة، فكل حركة موجودة بينهما فهي من تأثير الفلك المستقيم ومستفادة منه، ولمّا ثبت ان الفلك المستقيم ساكن على ما ذكرناه سكوناً وهمياً لا حسياً وجب ان يكون فوقه حركة لطيفة هي في الفضل على السكون، وقد علم الخاص والعام ان طعم العسل حلواً طيباً — وكذلك هذه العلوم الربانية التي ذكرناها من تأويل الشرائع اذا عرضت على الارواح المريضة ثقل عليها قبولها وقبحت عندها اثارها مثل الكفر والزندقة، فلمّا كان الامر على ما وصفناه صح ان الجسم ينتفع من الغذاء ولا غذاء للروح ممّا ينتفع به الجسم وذلك لو ان رجلاً احتاج الى علم الطب والفلسفة والدين في الشرائع فجمع من غذاء الاجسام الطف الاغذية واعلاها من الفالوذج واللحوم وغيرها واكلها ليصير بتلك الاغذية عالماً فلا يتمكن لان غذاء الروح وعلمها لا ينتفع به الجسد، انما لو جاء اعلم الناس الى رجل جائع فتلى عليه علم الأولين والآخرين فلا يسكن ما في جسمه من الام الجوع ولم ينتفع بعلومه، وان رغيفاً يقدمه اليه في تلك الحال احب اليه من كافة علوم الدنيا وقد صحّ بما ذكرناه ان غذاء الجسم لا تنتفع به الروح لان الروح

تحتاج الى غذاء تتناوله من الجوهر الذي ظهرت منه — وظهور كل من الكلمات التي تعلمها من والديه ايام الصغر، ومن العلماء ايام الكبر، وظهور الكلمات كان من الكلمة المحضة التي هي علة العقل والنفس فكل من اكثر الغذاء من الحكمة من طريق الاستماع من معادن الحكمة وخزانها امكنه العودة الى جوهره الذي بدأ منه، وهي الكلمة التي ايد بها الرسل تنزيلاً وتأويلاً، وهو معدن الثواب لان الثواب معناه الرجوع، وامّا الفروع الاربعة فهم: الامام واللاحق والداعي والمأذون... اثنان منها لطيفان مؤيدان احداهما الامام والآخر اللاحق، لان اللاحق يقبل العلم بالخيال الذي هو خاصية الامام لكن يتهيأ له بالكلام المؤلف من الحروف، واثنان منها كتيفان احدهما الداعي والآخر المأذون، لان لا حظ لهما في التأييد، وامّا العوالم الاربعة، وهو العالم الروحاني والعالم الجرماني والعالم الجسماني والوضعي، اثنان منها لطيفان احدهما العالم الروحاني والآخر العالم الوضعي الذي يتصل به واثنان منها كتيفان وهما: العالم الجرماني والعالم الجسماني، والابتداء في العالم الروحاني من القلم واللوح: كذلك الابتداء في العالم الجرماني من الفلك المستقيم وفلك البروج، والابتداء في العالم الجسماني من الهيولى والصورة، والابتداء في العالم الوضعي من الناطق والصامت، والابتداء في الشهادة من النفي والاثبات والفروع في الروحاني ثلاثة: جد وفتح وخيال، وكذلك مناطق الافلاك ثلاثة: الغربية والشرقية والوسطى، كذلك قوام العالم الجسماني ثلاثة اشياء: طول وعرض وعمق، كذلك قوام العالم الوضعي ثلاثة اكوار: الاقرار والتعبد والعلم لاقرار الاسلام والتعبد ايقان والعلم ايمان كذلك قوام الشهادة ثلاثة احرف «الف — لام — هاء» والارواح التي تتصل من العالم الروحاني في العالم الجسماني اربعة: النامية، والحسية، والناطقة، والعاقلة، كذلك جهات العالم الجرماني اربعة: المشرق، المغرب، الجنوب، الشمال، كذلك قوام العالم الجسماني الامهات الاربع: النار، والهواء، والماء، والتراب، كذلك قوام كل كور في العالم الوضعي بأربعة ادوار النطقاء قوام الشهادة بأربع كلمات لا اله الاّ الله، والحروف العلوية في العالم الروحاني سبعة احرف على عدد اسباب الاصلين احدهما:

العلة والثاني العقل والثالث النفس والرابع نظر العقل الى علته لا تفارقها كملازمة كل شيء خاصته، والخامس نظر العقل الى من دونه بالافادة، والسادس نظر النفس الى العقل بالاستفادة، والسابع نظر النفس الى من دونها للافادة، كذلك مدار العالم الجرماني على المدبرات السبع، وكذلك في العالم الوضعي من دور الى دور السبعة الأئمة وكذلك كلمات الشهادة على سبع قطع والاصلان والفروع ثلاثة والحروف السبعة في العالم الروحاني في اثني عشر حد، وايضاً فان حروف القلم واللوح والجبر والفتح والخيال غير مكررة — اثني عشر حرفاً — وكذلك قوام العالم الجرماني اثني عشر برج وكذلك قوام العالم الجسماني باثني عشر جزيرة، وكذلك قوام العالم الوضعي من اوله الى اخره اثني عشر ابواب نطقاء وايضاً فان العلوم في العالم الوضعي ينتشر من جهة اللواحق الاثني عشر وكذلك الشهادة اثني عشر حرفاً، فانها الدرجات الاربع وهي: الأيسية، والكيمية، والكيفية، والليمية، اثنان منها كثيفان وهما الايسية والكيمية لان الواقف عليهما مهمل، واثنان منها لطيفان وهما الكيفية والليمية، فان الواقف عليها مستحق للجزاء. وفينا ذكرناه من تأويل الدرجات الاربع عند الصورة التي عضناها في هذا الكتاب، وفيها بلاغ للعاقل.

امّا العلل الاربع فهي العلل التي توجد الاشياء الموجودة ومنها: علة فاعلة وهي التي تفعل الشيء. وعلة جوهرية وهي التي منها فعل الشيء، وعلة صورية وهي التي تصور الشيء، وعلة متممة وهي التي لها جعل الشيء، وكل شيء وجدت له علة جوهرية اعني الجوهر الذي منه فعل الشيء، فالعلة المتممة لازمة له ولا محالة، وكل ما لم يقف له على جوهر صنع منه لم يوجد له علة متممة، واذا كانت العلة المتممة موجودة كانت العلة الجوهرية موجودة ايضاً لان هاتين العلتين يجريان مجرى الصفات، فلم يتحد شيء بشيء الآ من شيء واحد ومثال ذلك ان الارض هي اقرب الاصول من الحس وهي قرارنا وقد وجدنا لها العلة المتممة، لان الحكماء قالوا انها جعلت لتكون قابلة الاجرام السماوية فتؤدي الصور المعدنية والنباتية والحيوانية، فاذا وجدنا علة الاخرية التي هي المتممة فالاضطرار

اوجب لها العلة الجوهرية التي منها جعلت الارض، واذا وجبت العلتان وجبت العلة الصورية التي بها شيء من الشيء، ولما لزمتها العلل الثلاث لزمتها العلة الرابعة التي هي العلة الفاعلة وقد ركبتها فتصورت بصورة مهيأة بهيئتها لاخراج الصور المعدنية والنباتية والحيوانية، واذا وجبت ذلك الاصل واحد من الاصول فيعلم يقيناً ان الباقي من الاصول ايضاً كذلك الى ان يشتهي الارتقاء درجة درجة الى سدرة المنتهى التي هي العقل الذي لا يوجد له علة متممة لانه تام من الوقت الذي ابدع وهو الخلق الاول الذي لم يخلق من شيء ، وانما وجب ان يقول انه لا من شيء لانّا لم نرَ له علة متممة في الحس ولا في العقل وما لا يستبد له في العقل ولا في الحس وهو علة متممة ولم يوجد له علة متممة جوهرية بل قد ثبت ان له علة فاعلة، اعني ان الباري عز وجل ابدعه لا من شيء. امّا الابحاث الاربعة، فانها بها يسأل عن الاشياء وبها يعرف كل ما يتصور معرفته في النفس من اصناف العلوم . . . اولها هل، والثاني ما، والثالث أي والرابع لم، فهل يبحث بها عن انية عن الشيء،وما هو الشيء، ولماذا يبحث بها عن صورة الشيء، ولم يبحث بها عن علة التامية التي اوجبته فكل مطلوب ادرك علته في هذه الابحاث الاربعة فقد علم بحقيقته وكل ما لم يعلم بهذه الابحاث الاربعة بجميعها فالعالم بها منقوص، وأشرف هذه الابحاث هو البحث بم لانه هو الغاية والتميم فليس وراءه[٥٥] مطلب ولا بحث،واثنان من هذه الابحاث بسيطان وهما هل وأي واثنان مركبان وهما، ما ولم، فما ولم ، اللذان المركبان افضل والطف من هل وأي اللذين هما بسيطان لان البسيطين مشتركان لعامة الحيوان والمركبات مخصوص بهما الانسان، وانّما صار هل واي بسيطان لانهما لا يشابها شيء اشارة فط ولا يحتاج الى تركيب جواب فيما كقول القائل: هل الاشياء؟ فيقول: نعم، وامّا ما فان الجواب فيها يكون مركبا، لانه اذا قيل لو كان الشيء تاماً احتاج المجيب ان يأتي بجنسه ونوعه. وننتقل الى الحديث عن الحدود.

ان الفهم والذهن والهمة والحواس الظاهرة دلائل على الحدود الجسمانية والحواس الباطنة دلائل على الحدود الروحانية، فالفكر دليل على السابق،

والحفظ دليل على التالي، والفهم دليل على الجد والذهن دليل على الفتح، والهمة دليل على الخيال والحواس الظاهرة، فان البصر دليل على الناطق لان العين لا ترى ما وراءها انما ترى ما قدامها كذلك الناطق لم يبين التأويل انما بين التنزيل فقط، والعين لا تبصر الآ في النهار كذلك الناطق لا يفيد الآ من جهة الظاهر، لان النهار دليل على الظاهر وفي النهار لا يرى الآ الشمس يعني ان اهل الظاهر لا يعرفون شيئاً من الحدود الآ الناطق، والعين لا ترى في الليل الآ بواسطة النار التي هي دليل التأييد، يعني ان التأييد لا يستفيده احد من الناطق الآ من كان له حظ من التأييد، والعين لا ترى الآ للشاهد والموجود، وكذلك الناطق لا يخبر الآ عن الاجسام والاعمال والدنيا ويعرف الاعمى والبصير بالعيان، كذلك الناطق يعرفه الخلق طرّاً عياناً فيقبلون شرائعه طوعاً وكرهاً ظاهراً مكشوفاً، ولا يرى اليد التي هي دليل على الداعي عند غمض العين الآ ما يغني، كذلك الدعاة الى الناطق في وقته يدعون ما فيه صلاح الدنيا الفانية.

قال (ﷺ): «امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الآ الله، فاذا قالوها فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم الآ بحقها وحسابهم على الله.

وليس لسائر الاعضاء في الروية شركة مع العين كذلك النطقاء معدودون وليس لسائر الخلق في النبؤة شركة، ومن فضل العين على الاذن ان الانسان يرى الشيء من بعيد مثل الخيال والنيران والشمس والقمر والكواكب ولا تطيق الاذن الاستماع الآ من قرب كذلك الناطق يستفيد من العلم الروحاني الذي هو ابعد الاشياء من جسده ولا يستفيد الصامت الآ من الناطق الذي هو اقرب الناس منه.

فالاذن دليل على الصامت، وكما ان الاذن تسمع من ورائها ومن قدامها ومن فوقها ومن تحتها كذلك الصامت يبين التأويل والتنزيل والظاهر والباطن جميعاً، والاذن تسمع بالليل والنهار جميعاً كذلك الصامت يفيد من جهة الظاهر والباطن معاً، والاذن تسمع الاشياء الشاهدة والغائبة والموجودة والمعدومة الماضية والآتية كذلك الصامت يدعو الاجساد والارواح الى الظاهر والباطن اللذان بهما صلاح الدنيا والآخرة، والاصم والسامع لا

يعرفان الآ بالتجربة كذلك الصامت لا يعرفه احداً الآ من جهة التطلب والتجارب، ولا يقف على تأويله الآ المؤمنون المجيبون المقرون بوصايته، ولا تسمع اليد التي هي دليل على الداعي، وليس لسائر الاعضاء في الاستماع مع الاذن شركة كذلك الاسس معدودون ليس لأحد من الناس في الاساسية معهم نصيب، ومن فضل الاذن على الانف ان الانسان يسمع الاصوات من حيث لا يطيق شم الارايح لبعد المسافة كذلك الصامت يدرك العلوم ويصيبها من حيث لا يستطيع الامام الوصول اليه في اقتباسها لان الانف دليل على الامام، والانف يدرك الارايح في الليل والنهار كذلك الامام حافظ التنزيل للمسلمين وموصل التأويل للمؤمنين، وليس لسائر الاعضاء في الشم مع الانف شركة، والائمة معدودون ليس لسائر الناس في الامامية معهم حظ.

وكل هذا قد ذكرناه وافصحنا عنه ما لا فائدة من اعادته هنا، كما ان الدائرة المستديرة يتبين فيها كل شيء من الاعلى الى الاسفل وهذه دائرة المراتب السبعة.

واذا قد بلغنا الى هنا بعون الله وبتأييده وهدايته. نقول:

الحمدلله العلي الأعلى، والصلاة على محمد نبي الهدى، وعلى وصيه واساس دينه، وعلى الائمة من ذريتها. حسبنا الله نعم المولى ونعم الوكيل والسلام على المرسلين.

KITAB

SHAJARAT AL — YAQĪN

by

AL — DĀ C I AL — QURMUṬI
C ABDĀN

edited by
Dr. C ĀRIF TĀMIR

Dar al-Afaq al-Jadida BEIRUT-LEBANON

KITAB

SHAJARAT AL — YAQĪN

KITAB

SHAJARAT AL — YAQĪN

by

AL — DĀʿI AL — QURMUṬI
ʿABDĀN

edited by
Dr. ʿĀRIF TĀMIR

الثمن: ١٥ ل.ل.